السيف المسلول

في

الذب عن الرسول صلى الله عليه وسلم

في هذا البحث تحقيق علمي، وتحليل فكري لتفنيد أقوال ضالة وردت في روايات أسباب نزول بعض الآيات القرآنية، أقام عليها أعداء الله ورسوله ﷺ قديماً وحديثاً طعونا على رسول الله ﷺ للتشكيك في أمره، والصد عن دينه. وهذا البحث كشف لباطلها، وإظهار لفسادها، وبيان لخطرها في الاعتقاد، والعمل، والسلوك.

تأليف

الدكتور عويد بن عياد بن عايد الكحيلي المطرفي

جامعة أم القرى - كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الكتاب والسنة

٢٣٩ المطرفي ، عويد بن عياد
٦١٧ م السيف المسلول في الذب عن الرسول صلى الله عليه
وسلم / عويد بن عياد بن عايد الكحيلي المطرفي. - ط ١ -
مكة المكرمة : ع . ع . المطرفي ، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م .
٢٦٠ص ؛ ٢٤ × ١٧ سم
١. السيرة النبوية . ٢ . القرآن - أسباب النزول .
أ . العنوان .

ردمك ٤ - ٢٢١ - ٢٧ - ٩٩٦٠
رقم الايداع ١٥٣٢ / ١٤

الطبعة الأولى عام ١٤١٤هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا اصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحملنا ما لاطاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين ﴾ **(البقرة ٢٨٦)**

قال الله تعالى في وصف رسوله محمد ﷺ ، وتزكيته وبيان ماهو عليه من الأمانة ، والصدق ، والإخلاص في دعوته لربه : ﴿ والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى . وماينطق عن الهوى ﴾ **(سورة النجم ١ - ٣)**

وقال في الثناء على خُلُقِهِ العظيم ﴿ وإنك لعلى خلق عظيم ﴾ **(القلم ٤)**

وقال في تأديب المؤمنين لرسوله ﷺ ، وإيجاب توقيره عليهم ، والثناء على المؤمنين الذين يتأدبون في مخاطبته ، وفي التخاطب عنده : ﴿ ياأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون . إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم ﴾ **(الحجرات ٢، ٣)**

أخـرج البـيهـقي في الأسـمـاء والصفـات (٢٣/٢) ، وابن مـاجـه في السنن (٧/١) واللفظ لـه أن علي بن أبي طالب رضي الـله عنه قـال : « إذا حَدَّثتُكُمْ عن رسـول الله ﷺ بحديثٍ فظنوا به الذي هو أهيَاهُ ، وأهْنَاهُ ، وأتْقَاهُ » .

وقال عبد الله بن مسـعود رضي الله عنه : « إذا حُدِّثتُم بالحديث عن رسول الله ﷺ ، فَظُنُواْ به الذي هو أَهيَأ ، والذي هو أهْدَى ، والذي هو أَتقَى »

سنن ابن ماجه ٧/١ ـ وسنن الدارمي ١٤٥/١ ـ والأسماء والصفات للبيهقي ٢٣/٢

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : « ترك الاحترام للرسول (ﷺ) ، وسوء الأدب معه مما يخاف معه الكفر المحبط » .

الصارم المسلول على شاتم الرسول ٥٧ .

تَوَجُّهٌ وَدُعَاءٌ

اللهم إن كثيراً من الناس يتقربون بإهداء جهودهم العلمية ، وثمراتهم الفكرية إلى ذوي الجاه ، والسلطان الدنيوي طلباً لنوالهم ، والتماساً لعوائد جاههم ، أو يهدونها إلى من يرون تكريمه بإهداء عملهم العلمي إليه أداءً لما يرون له عليهم من حق لازم ينبغي أن يُشْكَرَ ، وسعي لابُدَّ أن يُذْكَرَ .

ألاَ إني أتوجه إليك ياربي ، وأتقرب منك ياإلهي بكل ماأقول ، أو أعمل ، أو أكتب طلبا لنوالك ، ورغبة في عطائك ، ولجوءًا إلى كنف عزك الدائم ، والتماساً لهداك المأمول الذي تطمئن به القلوب ، وتطيب به الأنفس .

اللهم فاجعل كُلَّ ذلك مني خالصاً لوجهك الكريم ، ثم حباً لرسولك العظيم ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين .

اللهم هيء لي من أمري يسرا ، ومن همي فرجا ، ومن ضيقي مخرجاً ومُتَّسَعاً واشرح لي صدري ، واجعلني في عبادك الصالحين .

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين .

عويد بن عياد بن عايد الحربي الكحيلي المِطْرفي

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة البحث

الحمد لله رب العالمين ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبد الله ورسوله الأمين ، صلى الله عليه ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين ، ومن سار على هداه إلى يوم الدين .

وبعد فيسرني أن أقدم لإخواني القراء الكرام هذا البحث الذي أريد به ماعند الله عز وجل من عظيم الثواب لمن ذَبَّ عن رسول الله - ﷺ - مايؤذيه ، وحمى ساحته الطاهرة عن أ يُدْخَلَ إليها ماهو غريب عنها ، أو أن يَقْرُبَ منها ماهو بعيدٌ عنها ، أو أن يُنْسَبَ إليه - ﷺ - ماهو بريءٌ منه ، ومُنَزَّهٌ عنه ، ومعصوم منه ، ومِنْ قُرْبِهِ فَضْلاً عَنْ أنْ يَهِمَّ به ، أو يُلِمَّ ؛ إذ أنه ﷺ على هدى من ربه ، وفي عصمة منه .

سبب التأليف

وهذا البحث الذي أُزْجِيهِ للقارئ الكريم راجياً أن أنال به عفو ربي ، ومغفرته ، وواسع فضله في الدنيا ، والآخرة ، هو حاصل جوابي على سؤال حول آياتٍ من سورة الإسراء زلقت ألسنة بعض من الناس في الحديث عن معنى خطاب رسول الله ﷺ بها ، فحمّلوا اللفظ من أمره عسرا ، وتَقَحَّمُوا في القول نُكراً .

وسيجد القارئ المستنير في بحثي هذا بيان وجهة نظري في تحقيق إظهار المراد بخطاب رسول الله ﷺ بتلك الآيات الكريمات من سورة الإسراء ، كما سأقدم لك أخي الكريم بعد ذلك إيضاحاً وافياً شافياً - إن

شـاء الله ـ روايةً ، ودراية للروايات التي زُعِمَ أنهـا كانت سببـاً لنزول هذه الآيات الكريمة إظهاراً لأحقية مارأيت ، وتدليـلاً على صدق ماعنيت تحقيقاً لقـول علي ـ رضي الله عنـه ـ الذي أخرجـه البيـهـقي بسنده في الأسـمـاء والصـفـات أنه قـال : « إذا حُدِّثتم عن رسـول الله ـ ﷺ ـ حـديثـا ، فظنوا برسول الله ﷺ أهيَأَهُ ، وأهْدَاهُ »[1]

ورواه عنه ـ أيضـاً ـ الـدارمي في سننـه بلـفظ : « إذا حدثتم شـيئـاً عن رسـول الله ﷺ فظنـوا بـه الـذي هو أهدى ، والـذي هو أتـقى ، والذي هو أهيَأ »[2] .

وأخرجه ابن ماجه في سننه بلفظ : « إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ بحديث فَظُنّوا به الذي هو أهيَاهُ ، وأهْنَاهُ ، وأتْقاه »[3]

وجوب اعـتـقـاد الـهُدَى والتُّقَى في رسول الله ﷺ

وقـول عبـد الله بن مسـعود ـ رضـي الله عنه ـ الذي رواه ابن ماجـه ـ أيضـاً فـي سننه[4] والـدارمي[5] ـ واللفظ له ـ والـبـيـهـقي فـي الأسـمـاء والصفات[6] ، أنه قـال : « إذا حُدِّثتم بالحـديث عن رسـول الله ﷺ ، فظنوابه الذي هو أهيَأ ، والذي هو أهدى ، والذي هو أتقى » .

وأرجـوك ـ أخي الكريم ـ أن تشمـلني بدعائك الصـالح جـعلني الله ، وإياك من المقبولين المستورين في الدنيا ، والأخرة .

---

(١) الأسماء والصفات ٢/٢٣ .
(٢) سنن الدارمي ١/١٤٦ .
(٣) سنن ابن ماجه ١/٧ .
(٤) نفس المصدر السابق .
(٥) سنن الدارمي ١/١٤٥ .
(٦) الأسماء والصفات ٢/٢٣ .

وأرجو أن تُحْسِنَ الظن في اجتهادى في هذا البحث المبارك الذي أَرَدْتُ به الذَّبَّ عن رسول الله ﷺ ، وتنزيه ساحته الطاهرة الشريفة عما لايليق به ، ولايصلح أن يكون منه لما أكرمه الله به من صفاء النفس ، ونقاء السريرة ، وطهارة القلب ، وعظيم القدر ، والبُعْدِ الكبير عن جميع أمور الجاهلية .

وقد نزهه الله عن كل مايُثَرِّبُ النَّاسُ عليه من الأقوال والأفعال ، حتى جعله المثل الأعلى ، والأسوة الحسنة ، والقدوة المثلى لكل من كان يرجو الله ، واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا) (٧) .

وهأنذا أزجي لك ـ أخي العزيز ـ خالص النصح بالشروع في بيان المطلوب ، فأقول مستعيناً بالله ، ومعتمداً عليه لبلوغ الأرب في غاية من الأدب في التعبير ، والتروي في التفكير تَطَلُّباً للصواب ، والتزاماً بالحق ، وبُعْداً عما يَهْرِفُ به المتعجلون في القول ممن لايعرف لله وقاراً ، ولا لرسوله ﷺ مِقداراً .

قال محدثي ـ وقد جاءني بعد أن قرأ كتابي (آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد) : « كنت أتوقع أن أجد قول الله تعالى (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلا . إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا . وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لايلبثون خلافك إلا

---

(٧) الأحزاب ٢١ .

قليلا)(٨) ضمن الآيات التي تناولتها بالبحث في كتابك (آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد) لما في هذه الآيات من شدة في الخطاب ، وقوة في المضمون ، ولما يذكره المفسرون من رواياتٍ ، وأقوالٍ في أسباب نزولها ، تُقَرِّبها مما يمكن أن يكون أكثر من العتاب الذي جعلته موضوعا لكتابك الذي أجدت فيه ، وأفدت جزاك الله خيراً ، بيد أن عدم تناولك لهذه الآيات بالكلام عنها حملني على سؤالك عنها لما ذكرته لك في أسباب نزولها » ا . هـ

فلما رأيته يسترسل في كلامه في فدامة لاتعرف الملامة قاطعت حديثه عَجِلاً خوفاً من أن يكبُوَ في التفكير ، فيجره لسانه إلى عثرة أخرى في التعبير فيؤزر بدلاً من أن يؤجر ، وقد قال رسول الله ﷺ : « وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلاَّ حصائدُ ألسنتهم »(٩) ، فقلت له مقاطعاً حديثه : على رِسْلِكَ ياهذا ، ولاتُؤْخَذَنَّ بالنظرة العَجْلَى ، ولا بالرأي الفطير ، فإن آفة العلم في التَّعَجُّلِ بالقول ، وتقرير النتائج قبل النظر في المقدمات .

وصف الله لرسوله ﷺ بأكرم الصفات وأجل الأخلاق وأفضل الأعمال

وهنا بَيَّنْتُ له أننا حين نقرأ خطاب الله عز وجل لرسوله ﷺ في القرآن الكريم ، فإننا نرى أن الله تعالى قد وصفه ﷺ بأحسن الصفات وأكرمها ، وأجل الأخلاق ، وأقومها ، وأفضل الأعمال وأرشدها، وَبَرَّأَهُ مما كان يصفه به المشركون من أوصاف مستكرهة يَصُدُّونَ الناسَ بها عن

(٨) سورة الإسراء ٧٣ - ٧٦ .

(٩) سنن الترمذي ١٢/٥ .

اتباعه ، والإيمان به ، بل قد تَوَلَّى الله عز وجل في القرآن العظيم الرَّدَّ على أعداء رسوله ﷺ دفاعاً عنه ، وتصديقاً له ، وأقسم بحياته ﷺ في قوله (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون) (١٠) تعظيماً لشأنه ، وبياناً لمكانه ﷺ عند ربه عز وجل .

امتنان الله تعالى على المؤمنين ببعث الله فيهم رسولاً من أنفسهم

وامتَنَّ على المؤمنين بإرساله فيهم من أنفسهم (لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين) (١١) إظهاراً لمكانه العظيم من هذا الدين القويم .

تأديب الله المؤمنين لرسوله ﷺ

وقد أدَّبَ الله تعالى المؤمنين لرسوله ﷺ في مخاطبتهم له ، تخاطبهم في مجلسه فقال : (ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم . ياأيها الذين آمنا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأنتم لاتشعرون)(١٢)

ايجاب الإيمان به ، وتوقيره وتعظيمه ﷺ

وأوجب عليهم توقيره ، وتفخيمه ، وتعظيمه في أمره لهم بذلك في قوله (لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه)(١٣) ، وعَلَّقَ بذلك فلاحهم العام والخاص في الدنيا ، والآخرة فقال : (فالذين آمنوا به وعزروه

---

(١٠) الحجر ٧٢ .

(١١) آل عمران ١٦٤ .

(١٢) الحجرات ١ ، ٢ .

(١٣) الفتح ٩ .

ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)[14] ليغرس في قلوب المؤمنين ماأوجبه عليهم من الحب الخالص لرسوله ﷺ والأدب العظيم الواجب له عليهم حيّاً، وميتا، ليعرف كل منا له ذلك عليه حين يَتكَلَّمُ عما خاطبه به ربه عز وجل في القرآن الكريم، أو يذكر عنه شيئاً مماجرى منه، أو لَهُ ﷺ مع قومه في دعوته لهم إلى الله، أو يَتَحَدَّثُ عن سيرته العطرة، وسنته الشريفة وحديثه الكريم، أو عن شيءٍ من أحواله الشريفة، وأعماله المنيفة، ليستشعر كُلٌّ منا عند ذكره ﷺ في أيٍّ حالٍ من أحوالنا التي نذكره - ﷺ - فيها كما لو أننا نجلس بين يديه، ونتحدث إليه، فلا نُسْمِعُهُ إلاَّ خيراً ولانَقُولُ له، ولاَعَنْهُ إلاَّمايَرْضَى به عَنّا، ويُحِبُّهُ مِنَّا، فإن مَحَبّتناَ لله تعالى لا تتحقق إلا باتباع رسوله ﷺ وتوقيره وتعظيمه، وتفخيمه، قال تعالى: (قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم)[15].

شرط تحقيق محبة الله

واتِّباعُ رسوله - ﷺ - مَشْرُوطٌ بقَبُولِ قَوْلِهِ: أَمـرِهِ: ونَهْيِهِ، وشَرْطُ اتباع قوله طَاعَتُهُ، والتَّأَدُّبُ معه بما أوجبه الله له علينا من التكريم، والتعظيم، والتوقير، والنصر الذي ألزم الله به جميع المؤمنين، وأن يحرص المؤمنون جميعاً على عدم إذايته بقولٍ، ولابفعل؛ إذ إذايته ﷺ إِذَايَةٌ لله تعالى، وإذايةُ الله تعالى موجبةٌ لِلَّعْنِ، والطرد، والإبعاد من رحمته عز وجل قال تعالى: (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا

إذاية رسول الله ﷺ إذاية لله عز وجل

(14) الأعراف 157 .

(15) آل عمران 31 .

والآخرة وأعدَّ لهم عذاباً مهينا)[١٦] ، وقال : (والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم)[١٧] .

منهج النظر في البحث عن معنى الخطاب بهذه الايات الأربع من سورة الإسراء

ومن هذا المنطلق استعرضت لمحدثي معاني تلك الآيات الكريمة التي زعم في معنى الخطاب بها مازعم ، استعرضتها له في هدى سباقها[١٨] ، وسياقها[١٩] ، وبسطت بين يديه تحليلاً لغوياً لاستعمال بعض الألفاظ التي وردت في هذه الآيات الكريمة ، ودخل في نفسه من الخطاب بها مادخل ، لأُبَيِّنَ له المراد من خطاب رسول الله ﷺ بها في ظل ماله ﷺ من قدرٍ عظيمٍ عند ربه عز وجل ، ومكانةٍ في الدين الذي ارتضاه الله للناس ، ومَقَامٍ كريمٍ في تبليغ رسالات الله ، وماجعله الله فيه ﷺ من الأسوة الحسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيرا .

ومِنْ ثَمَّ نظرنا فيما أورده المفسرون من أقوال في الروايات التي زُعِمَ أنها كانت سببا لنزول هذه الآيات الكريمة ، وما عسى أن نجده من هذه الأقوال ملائماً لما هدانا إليه السبَّاق ، وأرشدنا إليه السياق ، ودلنا عليه التركيب اللفظي ، والوضع اللغوي من معنى الخطاب بها ، فَنُقِرُّهُ ، وما كان بعيداً عنه فلا ندخله على معنى الخطاب بها لئلا نُحَمِّلَ معناها ماليس له به وشيجة ، حتى لانضيف إلى معنى النص مالا يحتمله من معنى الخطاب به ، كماهي عادتنا في دروس تفسير القرآن العظيم ، وشروح

(١٦) الأحزاب ٥٧ .

(١٧) التوبة ٦١ .

(١٨) سباق الآية ماسبقها من الآيات التي قبلها من السورة التي هي منها .

(١٩) سياق الآية هو مايأتي بعدها من الآيات التي في السورة التي هي منها .

السنة النبوية المطهرة في محاضراتنا في الجامعة الكريمة جامعة أم القرى بمكة المشرفة زادها الله تكريماً ، وتشريفا .

وبعد أن شرحت له ذلك ، وَوَضَّحْتُ له ماهنالك على ماأشرت إليه آنفاً ، فَهِمَ الخطاب على مراده ، وعَرَفَ الحق على وجهه ، فَتَهَلَّلَ وجهه اطمئنانا بما سمع ، وارتاح قلبه بما عَلِمَ ، وَهَدَأَتْ نفسه إلى ماوجَّهْته إليه من معنى ، ونَبَّهتُهُ عليه من مبنى ، وبسطته بين يديه من تَنْبيهٍ ، وتَوْجِيهٍ لبيان معنى الخطاب بهذه الآيات الكريمات .

وتَمَنَّى أَنْ لَوْ لم يَفُهْ بشيء مما بدر منه من قبل في شأن الخطاب بهذه الآيات .

ثم وَدَّعَني مطمئنا داعيا ، فَتَوَجَّهْتُ إلى ربي حامداً خاضعاً شاكرا .

حرج القلوب المؤمنة بوسوسة ساقط الروايات

ثم نظرت - أيضاً - فإذا على شاكلة هذا الرجل بَعْضٌ من الناس غيره في مثل هذا الفهم الفطير ، والفَوْهِ الجَنَفِ الخطير ، ومنهم - أيضاً - من هو على مثل فهمه ، ولكنَّ إيمانهم برسول الله ﷺ ، وحُبَّهم له ، وتَوْقِيرَهم إياه ، وتعلُّقَهُمْ به يمنعهم من التَّفَوُّهِ بمثل مايَتَفَوَّهُ به غيرهم ، وتَجِدُ قُلُوبُهم بسبب مايدخل عليها من وسوسة ساقط الروايات مالاتستطيع أَفْواهُهُم النَّبْسَ به ، ولاالتَّكَلُّمَ بشيء منه ، فتبقى نُفُوسُهم حَرِجَةً ، وقُلُوبُهم وَجِلَةً يَتَمَنَّوْن أنْ لو يجدوا سبيلاً إلى كشف ماالتَبَسَ عليهم ، وإزَاحَةِ ماغَامَتْ به عليهم تلك الروايات .

ورَغْبَةً مني في إشاعة الطمأنينة في قلوب أمثال هؤلاء ، وغيرهم من إخواني المؤمنين رأيْتُ تدوين حاصل ماعرضت به هذه الآيات الكريمة على الوصف الذي ذكرته آنفاً في حواري مع محدثي الآنف الذكر ؛ لما للكلمة المكتوبة من أثر باقٍ ، ونفع دائم ، وأجر متصل إن شاء الله تعالى .

تقديم مايدل عليه السياق من معنى

وهأنذا سأعْرِضُ بين يديك ـ في الباب الأول من هذا الكتاب ـ أخي القارىء الكريم ـ معنى هذه الآيات الكريمات في ضوء سباقها ، وسياقها ، ومايوجهان إليه من معنى الخطاب بها في السورة التي هي فيها ؛ إذ أنَّ المعنى الصحيح المستمد من دلالة سباق ، وسياق الآية الكريمة ، أو الآيات الكريمات هو الأصل الذي يجب المصير إليه ، والاعتماد عليه عند اختلاف وجهات النظر ومضايق الفكر في فهم المراد بالخطاب في مثل هذه الآيات .

وأما مايذكره المفسرون ، أو الأخباريون من أقوالٍ في أسباب نزول تلك الآيات ، فما صَحَّ منها ـ وأكثر أسباب النزول مما لاأصل [٢٠] له كما قال الإمام أحمد [٢١] ـ رحمه الله ـ فهو مُعِينٌ على فهم معنى الآية [٢٢] ،

(٢٠) قال الإمام أحمد : « ثلاثة ليس لها أصل : التفسير ، والملاحم ، والمغازي » الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ١٦٢/٢ ، الاتقان للسيوطي ١٧٨/٤ ، وانظر ١٨٠ منه أيضاً ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٤٦/١٣ .

(٢١) هو الإمام الجليل الناصر لدين الله ، المدافع عن سنة رسول الله ﷺ أحمد بن حنبل الشيباني (١٦٤ ـ ٢٤١هـ) وأحد الأئمة الأربعة المتبوعين والعلماء الربانيين ، انظر تاريخ بغداد ٤١٢/٤ وغيره .

(٢٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٣٣٩/١٣ .

وليس تفسيراً لها كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية [٢٣] رحمه الله ، بل إن المعنى المستفاد من وَجْهِ المناسبة مقدم على مايدل عليه سبب النزول عند المحققين من أهل العلم بالقرآن العظيم ، وحذاقهم « لأن المناسبة هي المصححة لنظم الكلام » [٢٤] مالم يكن وَجْهُ المناسبةِ متوقفاً على السبب ، فحينئذٍ يُقَدَّمُ السَّبَبُ لا لأنَّهُ مُقَدَّمٌ عليها ، بل « لأنه حينئذ من باب تقديم الوسائل على المقاصد » [٢٥] كما قال بدر الدين الزركشي [٢٦] رحمه الله تعالى .

تقديم المعنى المستفاد من السياق على مايدل عليه سبب النزول

ولما كان القرآن الكريم قد نَزَّله الله عز وجل على رسوله ﷺ نجوما [٢٧] . بحسب الحاجات البشرية والمناسبات التي جعلها الله تعالى

---

(٢٣) هو الإمام العلامة الحافظ الناقد المجتهد شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الدمشقي الحنبلي (٦٦١ - ٧٢٨هـ) كان من بحور العلم الأذكياء ، كثير المحفوظ ، إماماً في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، والنحو ، واللغة ، وجميع العلوم النقلية والعقلية ، عالماً باختلاف العلماء ، حتى ليقال : إنه كان أعرف بفقه المذاهب من أهلها ، أجتمعت فيه شروط الاجتهاد على وجهها رحمه الله . انظر البداية والنهاية ١٣٥/١٤ - ١٣٩ ، تذكرة الحفاظ ١٤٩٦/٤ .

(٢٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي ٣٤/١ « بتصرف »

(٢٥) نفس المصدر .

(٢٦) هو محمد بن بهادر بن عبد الله ، وقيل : بهادر جده ، وعبد الله أبوه ، كان أحد العلماء الأجلاء ، إماماً في التفسير ، والحديث ، والفقه ، والأصول ، شافعي المذهب ، تركي الأصل . كان منقطعاً للاشتغال بالعلم ، له مؤلفات كثيرة .
الأعلام ٦٠/٦ وانظر المقدمة القيمة التي كتبها الاستاذ سعيد الأفغاني عنه لكتاب الإجابة لما استدركته عائشة على الصحابة . ومقدمة تحقيق كتاب البرهان التي كتبها محمد أبو الفضل ابراهيم رحمه الله .

(٢٧) نجوما : أي منجما مجزأ آيةً آيةً ، أو أكثر خلال ثلاث وعشرين سنة .

أسباباً لذلك ـ ومن هذه المناسبات ماكان ينزل ردًا على المشركين ، أو ذَوْداً عن حمى النبوة المطهرة ـ فإنَّ البحث يدعونا بجديَّةٍ ، وإخلاص إلى استجلاء ، واستلهام المواقف التي نزلت في شأنها هذة الآيات الكريمة من سورة الإسراء هل هي مايذكره رواةُ أسبابِ النزولِ من أحداثٍ تاريخيةٍ ، وأقوالٍ هي أشبَهُ بالخيال منها بالواقع لما فيها من دَغَلٍ تأباه القلوبُ الزكيةُ ، وأُمُورٍ تأنف الأنفس المطمئنةُ بالإيمان من نسبة شيءٍ منها إلى أخلص خلق الله إيماناً بالله تعالى ، وأصدقهم على الإطلاق لساناً ، وأعلمهم بما لله من حق على خلقه ؟! أو أنّ هناك أمْراً آخر يرشد إليه السباق ، والسياق لهذه الآيات الكريمات ، ويدعمه ظاهرُ حال سيرة رسول الله ﷺ في دعوته ، واستقامةُ منهجه في تبليغ رسالة ربه عز وجل ، وقوتُهُ البالغة في الصدع بما أمره به ربه في وجه المعارضين لدين الله عز وجل من قومه مهما كلفَّهُ ذلك من عنت ، وتَعَدٍّ عليه ؟

لاشك أن ترجيح المعنى الموحى به السياق والسباق ، والذي تؤيده أحداث السيرة المطهرة ، ويشهد له منهج الرسالة الخاتمة ، وترفع ألْوِيَتَهُ أُصولُ دعوةِ التوحيد الخالص لله هو الحق الذي يجب المصير إليه ، ويلزم الأخذُ به ، والاعتمادُ عليه ، والاسترواحُ بما يشير إليه .

وقد سميت كتابي هذا « السيف المسلول في الذب عن الرسول ﷺ » إعلاماً بما يتضمنه موضوعه من غرض عظيم ، ونهج سليم ، وهدف شريف نبيل ، تَتَلَقَّاه القلوب المطمئنة بالقبول ، وتَسْعَدُ العقولُ الواعيةُ بتبصرتها بالتنبيه إليه ، والإيقاف عليه .

منهج البحث

وسنعرض ـ أولاً ـ معاني هذه الآيات الكريمة ـ التي هي موضوع بحثنا هذا ـ في سياقها تحقيقاً لما قررناه آنفا عن المحققين من أهل العلم بالقرآن من وجوب تقديم مايدل عليه السباق ، والسياق من معنى على ماسواه ، بيد أننا نَزِفُّ بين يديه لأخي القاريء الكريم عرضا إجمالياً لمعاني آيات سورة الإسراء من أولها باعتبار أن هذه الآيات سباقٌ للآيات التي نحن بسبيل الحديث عنها ، ليظهر من خلال إزجاء معاني وحقائق هذه الآيات في سباقها ، وسياقها وَجْهُ الخطاب بها من الموقف الذي نزلت فيه ، والغرض الذي ترمى إليه .

ومن ثَمّ نعود ـ ثانياً ـ إلى استعراض ماورد فيها من روايات أسباب النزول ، ونزنها سَنَداً ، ومتنا على ميزان أهل الحق في علم الرواية ، والدراية ، وماعُلِمَ يقينا ، وجزما من صدق رسول الله ﷺ في دعوته ، وإخلاصه ﷺ في تبليغ رسالات ربه عز وجل ، ونزاهته ﷺ اعتقاداً ، وقولاً وعملا عن كل أمور الجاهلية قبل النبوة وبعدها ظاهراً ، وباطنا .

وتجدر الإشارة هنا إلى أن لشيخ الإسلام ابن تيمية كتاباً بعنوان (**الصارم المسلول على شاتم الرسول**) ألفه لبيان وجوب قتل من سب الرسول ﷺ أجاد فيه ، وأفاد بما لامزيد عليه في بابه رحمه الله رحمة الأبرار ، ولتقي الدين السبكي رحمه الله كتاب آخر في الموضوع ذاته بعنوان (السيف المسلول على من سب الرسول) لم نتمكن ـ بعد طول البحث عنه ـ من الاطلاع عليه ، لامطبوعاً ، ولامخطوطا .

الباب الأول

عرض إجمالي لبيان معنى آيات سورة الإسراء

المعنى الإجمالي لآيات سورة الإسراء

بَيْنَ يَدَي تفسيرِ السورة

لما كان الغرض من إقامة هذا البحث هو بيان معنى وجه خطاب رسول الله ﷺ بتلك الآيات الكريمة التي هي موضوع بحثنا هذا على الوجه الصحيح من المراد بالخطاب بها ، وكان الغرض من الإشارة إلى تفسير آيات هذه السورة من أولها باعتبارها سِيَاقاً للآيات التي هي موضوع هذا البحث يُوَجِّهُ النَّظَرَ إلى بيانِ المراد بالخطاب بها ، ويُعينُ على فَهْمِ ذلك المطلوب ، فإن تناولنا لتفسير آيات هذه السورة من أولها لن يكون تفسيراً تحليلياً لمفرداتها ، وجملها ، وعباراتها على الوجه الذي وَفَّاهُ المفسرون من علماء الإسلام حقه من العرض والبيان ، بل سيكون تناولنا لها أَشْبَهَ بالعرض الإجمالي لمعنى تلك الآيات الكريمة في سباقها على شكلٍ يوضح معناها العام للقاري الكريم ، ويفتح له معنى وجه مخاطبة الله تعالى لرسوله ﷺ بهذه الآيات الكريمة التي أَلْصَقَ الأَخْباريون بتفسيرها من الأقوال مَا أَوْقَعَ البَلْبلة في عقول مَنْ لاَدِرَايَةَ له بعلم الرواية الحديثية ، ولاخبرة له بوجوه أساليب الخطاب في القرآ الكريم ، فانحصر فهمه لمعنى الخطاب بالآية أو الآيات في مازعموا أنه كان سبباً لنزولها من أقوالٍ كثيراً ماتكون بعيدةً كل البعد عن المراد بالآية ، بل قد تنافر المعنى المراد بها لمجانبة تلك الأقوال وَجْهَ الصواب في المراد بالخطاب بها ، فوقعوا بذلك في إشكالاتٍ فكرية ، وشبهاتٍ عقلية ماكانوا ليقعوا في شيءٍ منها لو فهموا معنى

الخطاب بالآيات كما فهمه أولئك الصحابة الكرام الذين عايشوا رسول الله ﷺ في عصر التنزيل ، فبرأهم الله مما وقع فيه غيرهم من إشكالاتٍ ، وشبه ، ووسوسات .

تفسير الآيات

تنزيه الله تعالى للذاته العلية وتسليته لرسوله ﷺ

يرى الناظر في سورة الإسراء أن آياتها الكريمة قد بدأت بِتَنْزِيهِ الله تعالى عن كل نقصٍ لإظهار بالغ حكمته ، والإنباء عن عظمته ، وكمال قدرته ، إذ هو الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ليريه من آياته ودلائل عظمته تصديقاً لعبده محمد ﷺ في دعوته ، وتسلية له عما كان يجده من إيذاء قومه ، وتكذيبهم له ، وصدهم ، وصدودهم عما جاءهم به من الهدى [(١)]

ثم بين الله عز وجل في هذا السياق أنَّ الذي أنزل الكتاب على موسى ـ عليه السلام ـ وجعله هدى لبني إسرائيل هو الذي أنزل القرآن العظيم على عبده ، ورسوله محمد ـ ﷺ ـ وجعله هادياً لأقوم السبل لجميع البشر مابقي الزمان [(٢)] .

إيجاز الايات لشيء من أحداث بني إسرائيل

وبين الآية الثانية ، والآية التاسعة من هذه السورة الكريمة ذَكَرَتْ الآياتُ إيجازاً لشيء من أحداث بني إسرائيل ، وماوقع لهم مع جبابرة الأمم الذين سَلَّطَهم الله عليهم ، ونَبَّههم في هذه الآيات ـ أيضاً ـ إلى أن

---

(١) هذا إجمال لبعض معنى الآية الأولى من سورة الإسراء .

(٢) انظر الآية ٢ ، ٩ فهذا حاصل معناهما .

إحسانهم وإساءتهم أمرٌ مختص بهم ، وعائدٌ عليهم وحدهم ، ووعدهم فيها برجاء رحمته ، وتوعَّدَ الكافرين منهم بعذاب الجحيم بعد أن استنهض هممهم للاستجابة لدعوته بتذكيرهم بنعمه على أسلافهم بإنجائهم مع من حملهم نوح عليه السلام في السفينة من المؤمنين لَمَّا استجابوا لدعوة نوح عليه السلام ، وآمنوا برسالته ، واتبعوا النور الذي جاءهم به من عند ربه عز وجل ، ليُوَجِّهَ أنظارهم بذلك إلى وجوب الإيمان برسول الله ﷺ الذي به نجاتهم ، وفلاحهم في دنياهم ، وأخراهم [٣] .

سبب إعراض الكفار عن قبول الإيمان بالله

ثم ذكرت الآيات الكريمة أن هؤلاء الكفار تغلب عليهم الطبيعة الإنسانية المجبولة على حب السرعة ، والتسرع وعدم التروي ، ولذلك فإنهم يُعْرِضُونَ عن قبول الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة نزقا وحمقا وتكبراً ، ويستعجلون العذاب استهزاء بالنبي ﷺ ، وكفراً بما جاءهم به من عند ربه عز وجل ، ومادَرَوْا أن نزول العذاب له أجل مُعَيَّنٌ ، ووقتٌ محدودٌ عند الله تعالى ، لايتقدمه ، ولايتأخر عنه ، كما أن الليل ، والنهار لايتأخران عن موعدهما ، ولايسبق أحدهما الآخر ؛ فإن لم يؤمنوا به ، ويتبعوا سبيله فليستأنوا ، ولينتظروا ؛ فإن وعد الله ، ووعيده لايتخلفان ، فكل إنسان مسئول عن عمله ، ويوم رجوعه إلى الله يَجِدُ حصيلةَ ماقَدَّمَ مَحصياً مسطوراً ، ولايمكنه يومذاك إنكارٌ ، ولاتَنَصُّلٌ من تبعة ماقدَّمَتْ يداه بعد أنْ قامت عليه الحجة ولزمته المسئولية بمن بعثه الله إليه رسولا [٤]

---

(٣) حاصل معنى الآيات ٣ ـ ٨ .

(٤) انظر الآيات ١٠ ـ ١٥ .

توعد الكفار المعرضين بالتدمير والإهلاك

ثم عَقّبت الآياتُ الكريمة بعد ذلك موجهةً الأمر في الدرجة الأولى إلى زعماء الكفار الذين هم سبب الكفر ، ورأس المحادة لاغترارهم بقوتهم ، وأموالهم بأنَّ سُنَّةَ الله عز وجل أن يُدَمِّرَ العاصين الخارجين عن طاعته(٥) .

إيثار الدنيا على الاخرة لاينيلُ غير المقسوم منها

وأن من يُؤْثِر الدنيا الفانيةَ بعدم الإيمان بالله تعالى واتباع رسوله ـ ﷺ ـ على الآخرة الباقية لن ينال من هذه الدنيا شيئا أكثر مما قسمه الله له منها ، وقد استحق ـ بما أراده هو لنفسه من دنياه ـ الصغار والبُعدَ من رحمة الله تعالى في الآخرة (٦) .

وذكر في المقابل أن (من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا)(٧) .

دعائم المجتمع المسلم

ثم قرر السياق الكريم دعائم المجتمع المسلم ، فَبَيَّنَ أنه مجتمع مؤمن بربه ، مخلص له العبادة ، نَقِيٌّ الأخلاق ، موفٍ بالعهد ، مستقيم المعاملات ، متوسط في إنفاقه ، فلا إسراف ، ولاتقتير ، يُحْسِنُ كل فرد من أفراده إلى أخيه ، ويصون عرضه ، ويحافظ على ماله ، ونفسه محافظته هو على نفسه ، وعرضه وماله (٨) .

---

(٥) انظر الآيات ١٦ ـ ١٧ .
(٦) انظر الآية ١٨ .
(٧) آية ١٩ .
(٨) انظر الآيات ٢٦ ـ ٣٥ .

أساس الانحراف الفكري وقاعدة الضلال

وخلال ذلك نهى الله تعالى عن الشرك بالله ؛ لأنه أسَاسُ اضطراب التفكير ، وقاعدة الضلال ، ومنبع الذم ، والخسران ، والخذلان المبين .

قاعدة الصلاح

وأمر بإخلاص العبادة له سبحانه وحده دون من سواه ؛ إذ عبادة الله وحده هي أصل الصلاح الفردي ، والجماعي ، وهي قاعدة الإصلاح الإجتماعي، ولايصلح العمل ، إلا بصلاح الاعتقاد قبله .

روى الإمام مسلم في صحيحه بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : « قال الله تبارك وتعالى : أنا أغنى الشركاء عن الشرك . مَنْ عمل عملاً أشرك فيه معي غيري ، تَرَكْتُهُ ، وشِرْكَهُ » (٩)

ماقَدَّمته من القول آنفا هو حاصل معنى قوله تعالى (لاتجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولا . وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه) (١٠)

سبب عطف الأمر بطاعة الوالدين على الأمر بعبادة الله وحده

وعطف على الأمر بعبادته وحده دون سواه في الآية السابقة الأمرَ بالإحسان إلى الوالدين في الآية نفسها ، فَقَرَنَ في الآية ذاتها الأمْرَ بإخلاص العبادة له تعالى بالأمر بالإحسان إلى الوالدين لحاجتهما إليه ، ورجائهما له من ولدهما ، وبخاصة في وقت الْكِبَرِ ، والضعف لِما جَعَلَ الله لهما من عظيم الحق المؤكد على ولدهما الذي لايعلوه حَقٌّ غير حق الله تعالى المتفضِّل بالخلق ، والإيجاد على جميع المخلوقات ، المنعم عليها بالمِنَح العظيمة ، والأفضال الجزيلة ، المستغنى بنفسه عن جميع الخلق

---

(٩) صحيح مسلم ٤/ ٢٢٨٩ .

(١٠) انظر الآيتين ٢٢ ، ٢٣ .

«ياعبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»[(١١)]

وقد خَصَّ الله الوالدين في هذه الآية ، وفي الآيتين التاليتين لها بمزيدٍ من الأمر بطاعتهما ، ووجوب رعايتهما ، ولين القول لهما ، والإحسان إليهما ، والتَّحَنُّنِ عليهما .

وأَمَرَ الْوَلَدَ بالدعاء لهما بالرحمة لِقَاءَ رحمتهما ، وتربيتهما له ، وتَحَنُّنِهما عليه يوم كان صغيراً ، لايجلب لنفسه نفعاً ، ولايدفع عنها ضراً[(١٢)] .

النهي عن قتل الأولاد

وخلال مجموعة الآيات السابقة نهى الله عز وجل عن قتل الأولاد خشية إملاقٍ ، ووعد بفتح باب الرزق لهم قبل فتحه لوالديهم (نحن نرزقهم وإياكم) ليرفع بفيض عطائه وواسع رحمته عن قلوب الوالدين كُلَّ همومِ الاشتغال بالتفكير في إطعام الأولاد ، وَيَمْحُوَ من أنفسهما هَواجِسَ الانشغالِ بشيء من ذلك ، ويُرَغِّبَ في المحافظة على حياتهم صغاراً بضمان الرزق لهم قبل الإعلام برزق والديهم[(١٣)] .

وفي سورة الأنعام قَدَّم الإعلام برزق الآباء على الإعلام برزق الأولاد ، فقال : (ولاتقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم)[(١٤)] لِيُبَيِّنَ لهم أنه تعالى كما ضَمِنَ لهم الرزق ، فلم يموتوا جوعا ، فإنه عز وجل

---

(١١) صحيح مسلم ٤/١٩٩٤ - ١٩٩٥ .

(١٢) انظر الآيات ٢٣ - ٢٥ .

(١٣) انظر الآية ٣١ .

(١٤) الأنعام ١٥١ .

يرزق أولادهم كذلك ، فَبَيَّنَ لهم في الآيتين أنه تعالى هو الذي يرزقهم ، ويرزق أولادهم ، فلا داعي إذن للوأد خوف الفقر ، والجوع ، والضياع .

نهي الإنسان أن يقفو ماليس له به علم

وعَقَّبَ مجموعة الآيات التي بَيَّنت دعائم بناء المجتمع المسلم بالنهي عن أن يَقْفُوَ الإنسانُ ماليس له به علم ، لئلا يُعَرِّضَ وسائِلَ المعرفة ، وسُبُلَ تحصيل العلوم لديه : السمع ، والبصر والفؤاد ، لمساءلة الله تعالى ، وعظيم عقابه الأليم (١٥) .

وهذا من التأديب الخلقي ، والإصلاح العقلي ، والاجتماعي العظيم الذي أدَّبَ الله به المؤمنين ليحفظوا به أنفسهم من الوقوع في المساويء ، والآثام ، والمنازعات ، والمهالك التي توقعهم في عذاب الله ، وأليم عقابه.

التكاليف الشرعية من الحكمة البالغة

ثم خُتِمَ السياقُ الكريمُ ـ بعد أن نَهي اللهُ فيه عن التكبر ؛ والاختيال في الأرض بقوله (ولاتمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا . كل ذلك كان سيئة مكروها)(١٦) خَتَمهُ بالإشارة إلى أن ماذُكِرَ في هذه الآيات الكريمة المتقدِّم ذكرها(١٧) وعددها سبع عشرة آية ـ من جميع أنواع التكاليف المفصلة في الأوامر ، والنواهي إنما هو بَعْضٌ مما أوحاه إليه ربه آنذاك من التكاليف ، وليس جَمِيعَ التكاليف المطلوبة في الشريعة ، وأنَّ هذه التكاليف الموحاة في هذه الآيات الكريمة

---

(١٥) انظر الآية ٣٦ .

(١٦) آية ٣٧ ، ٣٨ .

(١٧) من الآية ٢٢ إلى ٣٨ .

من الحكمة البالغة لما اشتملت عليه من التحريض الشديد على اتباع ماجاء فيها من الأوامر ، والنواهي التي يجب لزاماً الأخذ بها ، وتطبيقها حتْماً في الحياة الاعتقادية ، والاجتماعية ، والسلوكية لكل فرد من المسلمين ؛ « لأن حاصلها يرجع إلى الأمر بالتوحيد الذي هو رأس كل حكمة ، وملاكها ، وإلى أنواع الطاعات ،والإعراض عن الدنيا ، والإقبال على الآخرة »(١٨) .

توبيخ المشركين على ادعائهم اتخاذ الله الملائكة إناثاً

ثم وبّخَ اللهُ تعالى المشركين الذين ادّعَوْا أن الله خَصّهُمْ بالبنين ، وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ، وبيّنَ شناعةَ قولهم هذا ، وقُبْحَهُ فقال : (إنكم لتقولون قولاً عظيما) ليقرر الإنكار عليهم ، ويؤكده في تذييل الآية الكريمة بعد أن استنكر عليهم في صدرها زعمهم الباطل ، ودعواهم الكاذبة ، ويبيّن أن ادعاءهم ذلك إنما جاء من إرسالهم القول على عواهنه دون رَوِيَّةٍ ، ولاتَعَقُّلٍ ؛ لأن مَنْ لايرضى بالشيء الناقص لنفسه ، فمن باب أولى أن لايرضاه لخالقه ، ورازقه ، ومالك أمره .

سبب عدم انتفاع المشركين بمواعظ القرآن

ثم ذكر أن هؤلاء المشركين لايَنْتَفِعُون بالمواعظ ، ولا يستفيدون مما في هذا القرآن من بيناتٍ ، وحججٍ يهتدي بها العقلاء ، بل إنهم لبعدهم عن الحق ، وفرارهم عنه ، وكرههم له تصطبغ تصرّفاتهم بما انغرس في أنفسهم من طبائعهم الحيوانية(١٩) ، فوصفوا لذلك في فاصلة الآية بالنفور الذي هو « من أوصاف الدواب الشديدة الشّماس »(٢٠)

(١٨) البحر المحيط ٣٨/٦ ، الكشاف للزمخشري ٢٥٠/٢ .

(١٩) انظر الآية ٤١ .

(٢٠) البحر المحيط ٤٠/٦ . والشماس هو شدة شرود الدابة وجموحها ، ومَنْعُهَا ظهرها ودابة شموس : إذا كانت لاتستقر لشغبها ، وحدتها . لسان العرب ١١٣/٦ .

الرد على من يزعم أن لله شريكاً

ثم توجه السياق الكريم إلى الرد على من يَدَّعِي أن لله شريكا رَدًا عقلياً قاطعا مفحما ، مُرْدَفاً بتنزيه الله عما لايليق بجلاله ، وعُلُوِّ عظمته ، فقال تعالى : (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا . سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)(٢١)

تسبيح جميع المخلوقات لله تعالى

وأردف ذلك الرد المفحم ، والتنزيه العظيم بالإخبار عما تنطق به كل المخلوقات في هذا الكون العظيم من تنزيه الله ، وتعظيمه ، وتقديسه عما يقول المشركون ، وأن تنزيهه تعالى أَمْرٌ ثابتٌ وحقٌّ قائمٌ تنطق به السماوات السبع ، والأرض ومن فيهن ، وإن من شيءٍ إلا يسبح بحمده ، ويشهد له بالوحدانية في ربوبيته ، وإلهيته وإنْ لَم يَفْقَهْ ذلك المعرضون عن قبول الهدى ، الصَّادُّونَ عن سبيل الله ، المكذبون الله ورسوله ، ولولا أن الله تعالى (كان حليما غفورا) لَعَجَّلَ لهم العذاب والعقاب الشديد في دنياهم ، واستأصلهم بكفرهم به ، وتكذيبهم لرسوله(٢٢)

نفور المشركين على أدبارهم عند سماعهم لكلمة التوحيد

ثم صورت الآياتُ الكريمة موقف المشركين من رسول الله ﷺ ، ومن القرآن العظيم ،وبَيَّنَتْ كيف أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ القرآن أعرضوا عنه ، وكأن بينه ، وبينهم حجابا مستوراً لايصل الهدى إلى قلوبهم لشدة إعراضهم عنه ، وكأن بهم صمما لايفقهون من هداه شيئا ، ولايَعُونَ من الحق أمْراً .

---

(٢١) آية ٤٢ ، ٤٣ .

(٢٢) هذا إجمال لمعنى الآية ٤٤ .

وإذا ذُكِرَ الله وحده ولّوْا على أدبارهم نفورا ، وهربا إنكاراً لما يسمعون من توحيد الله تعالى ، وخوفا من أن تتأثر قلوبهم بما في القرآن من الهُدَى ، والنور فتميل بهم إلى الإيمان ، وقبول الهداية ، وهم لها كارهون (٢٣).

تسلية رسول الله ﷺ عما يلقاه من قومه

ثم تَوَجَّهَ السِّياقُ الكريمُ إلى تسلية رسول الله ﷺ عما يلقاه من قومه من صَدٍّ ، وصدودٍ ، واستهزاءٍ ، وإيذاءٍ ، فَطَمْأَنَتْ قلبه الطاهر الرحيم ، وهَدَّأَتْ نفسه الكريمة بِألَّا يحزن عليهم ، ولايَغْتَمَّ بفعلهم ، ولايكْرَبَ بقولهم فيه ، ووصفهم السَّيِّء لدعوته .

وقد وَصَمَهُمْ الله في هذا السياق الكريم ـ أيضاً ـ بالظلم ، والضلال لكثرة تشاغلهم بالتناجي بينهم عند استماعهم للقرآن ، وقول بعضهم لبعض للصدِّ عن اتباع رسول الله ﷺ ، والإعراضِ عن دعوته ، والتنفير منه ، وتكريه بعضهم بعضا فيه ، وفي دعوته : (إن تتبعون إلا رجلاً مسحورا) إذ لم يعرفوا لرسول الله ﷺ حَقَّهُ ، ولم يَقْدُروا له قدره ولم ينتفعوا بشرعه (٢٤).

إلزام الكفار بالتصديق بالبعث بعد الموت

ثم عرضت الآيات الكريمة جدل الكفار ، وشبهتهم الضالة في البعث ، واستبعادهم إياه ، ورَدَّتْ عليهم رَداً قويا مفحما مُبَيِّنَةً أن البعث الذي يستبعدون وقوعه واقعٌ لهم لامحالة مهما كانت طبيعتهم المادية

---

(٢٣) انظر الآيتين ٤٥ ، ٤٦ .

(٢٤) هذا حاصل معنى الآيتين ٤٧ ، ٤٨ .

حجارةً ، أو حديداً ، أو أيَّ شيء يكبر في صدورهم ، وتَستَبعِدُ عقولُهم الضَّالةُ إعادته ، وإيجاده بعد فنائه ، فَلاَ بُدَّ من بعثهم ، وإعادتهم إلى الحياة لموقف الحساب ، ونيل العقاب الذي تَوَعَّدَهم به رسول الله ﷺ إن لم يؤمنوا به ويتبعوا سبيله ويقبلوا هدى الله الذي جاءهم به (٢٥)

أمر المؤمنين بالتزام الأدب والملاطفة في المخاطبة

ثم أمر الله تعالى رسوله ﷺ بأن يأمر المؤمنين بالتزام الأدب ، والملاطفة في مخاطباتهم ، ومحاوراتهم للناس مَنْعاً لدخول الشيطان عليهم بإثارة الفتن بينهم بسبب عداوته لبني آدم ، وأخبرهم بأن خواتيم أعمال الناس تحت مشيئة الله فلا ينبغي الحكم على أحد منهم بما يثيره على الشر ، ويصده عن الإسلام ، لئلا يفسد المؤمنون منهجهم في الدعوة إلى الله ؛ إذ أنَّ رسول الله ﷺ ، وهو المبعوث لدعوتهم ، ورحمتهم ، وهدايتهم لم يَكِلْ الله تعالى له قسرهم على الإسلام ، ولا إجبارهم على الدخول في الإيمان .

وقد تضمن هذا المعنى في الآية الكريمة تسْلِيَةَ رسول الله ﷺ ، وتعزيتهُ عما كان يجده في نفسه الكريمة من حرجٍ ، وضيقٍ شديدٍ بسبب عدم إيمانهم مع ماكان يبذله لهم من بالغ النصح ، والإرشاد ، والحرص العظيم على دخولهم في حظيرة الإيمان (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا ربكم أعلم بكم إن يشأ يرحمكم أو إن يشأ يعذبكم وما أرسلناك عليهم وكيلا)(٢٦)

---

(٢٥) انظر الآيات ٤٩ - ٥٢ .

(٢٦) الآيتان ٥٣ ، ٥٤ .

تكريم الله لرسوله ﷺ بتوجيه الخطاب له وتشريفه بحمل الرسالة

ولما بيَّنَ للمؤمنين في الآية السابقة أنه تعالى هو الذي يعلم مايؤول إليه أمرهم من سعادة ، أو شقاء ، وحذَّرهم من أن يقطعوا لأحَدٍ بسوء الخاتمة لئلا يثيروا الإحن ، والأحقاد في نفوس الناس ، وَجَّهَ الخطاب إلى أعلم خلق الله به ، وأخشاهم له تَلَطُّفاً به ، وإكراماً له ، وإظهاراً لمكانه من هذا الدين ؛لأنَّ غيره ﷺ لايعلم ذلك حق العلم ، ولايقدر الله حَقَّ قدره ، فذكر أنَّ عموم علمه تعالى يشمل جميع المخلوقات وأنه أعلم بأحوال مَنْ في السماوات ، والأرض ، وماهيَّأ لِكُلٍّ منهم من حالٍ ، وشأنٍ خَلَقَهُ له ، ويَسَّرَهُ للقيام به ، ومن ذلك تفضيله لعبده ، ورسوله محمد ﷺ ، وإكرامه له بالرسالة دونهم ، وتشريفه بحمل أعبائها ، وإرساله إلى الناس كافةً ، فليس لهم ، ولا لأحدٍ من الناس غيرهم الاعتراض على تخصيصه بالرسالة دونهم إذ (الله أعلم حيث يجعل رسالته) [٢٧] .

تفضيل بعض المخلوقات على بعض سنة من سنن الله عز وجل

وهذا التفضيل ، والتكريم ، والاصطفاء قائم على علم الله المطلق الذي جعل تفضيل بعض المخلوقات على بعض سنة من سننه ، فَضَّلَ به بعضَ خلقه على بعض .

فَفَضَّلَ الإنسان على غيره من المخلوقات ، بل فضل بعض الآدميين على بعض ، حيث فضل العلماء على الجهلاء (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون) [٢٨] .

---

(٢٧) الأنعام ١٢٤ .

(٢٨) الزمر ٩ .

(وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرًا عظيمًا)[٢٩] ، (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق)[٣٠] ، (الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض)[٣١] وقبل ذلك كله فضل الله الأنبياء على غيرهم من البشر ، بل فضل بعضهم على بعض بما آتاهم من كريم فضله ، وعظيم منحه ، وعزيز سلطانه مع ما هم عليه جميعًا من هُدى ، وتُقى لله عز وجل ، وقيام بواجب تبليغ رسالات ربهم التي كلفهم بالقيام بها ، وألزمهم تبليغها إلى أقوامهم على الوجه الذي أراده منهم (وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا)[٣٢]

وجه ذكر زبور داود عليه السلام في مقام ذكر تفضيل بعض النبيين على بعض

ويظهر لي – والله أعلم – أن الله تعالى قد خص الكتاب الذي أنزله على داود عليه السلام بالذكر في هذه الآية في مقام الإخبار بتفضيل بعض الأنبياء على بعض لما اشتمل عليه هذا الكتاب من المواعظ العظيمة ، والحكم البليغة ، وتسبيح الله العظيم « وتنزيهه وتبعيده ، وتقديسه عن الأنداد ، والأشباه »[٣٣]

اجتماع الأنبياء على توحيد الله وتقديسه

وهذا هو الأمر الجليل الأعظم الذي اجتمع عليه كل الأنبياء توحيدً الله ، وتعظيمًا ، وتقديسًا ، والله عز وجل (هو أهل التقوي وأهل

---

(٢٩) النساء ٩٥ .

(٣٠) النحل ٧١ .

(٣١) النساء ٣٤ .

(٣٢) الإسراء ٥٥ .

(٣٣) لسان العرب ١٣/٥٤٨ .

المغفرة) [٣٤] .

إبطال عقائد المشركين

ثم تأخذ الآيات الكريمة في هذه السورة في مناقشة هؤلاء المشركين الضُلالِ في عقائدهم الفاسدة ، فتُظهِرُ لهم عوارها، وتُريهم بطلانها ، وتكشف لهم زيفها ، ودَغَلها مما أشعل نار الحقد في قلوبهم ، فذهبوا يتعنّتون في طلب الآيات والمعجزات على مقتضى أهوائهم الضالة ، وشهواتهم المنحرفة ، وتُطَمْئِنُ رسول الله ﷺ بأن ربه قد أحاط بالناس ، وهم جميعًا في قبضته ، وتحت قدرته وسطوته ، فلا ييْئَس بحركات ، وتحركات المشركين ، ولا باستهزاءاتهم به ، وبدعوته ، ولا بتَنَدُّرِهم ببعض ما ذكر في القرآن العظيم من العجائب التي اتخذوها هزوا ، ومجالاً للدعاية ضده لصرف الناس عنه ، وإبعادهم عن دعوته [٣٥] .

احتياج جميع المخلوقات لله تعالى وخوفها منه

وخلال هذه الآيات الكريمه بين لهم أن ما يُؤَلِّهُهُ أولئك المشركون من وسائط يعبدونها من دون الله يطلبون نفعها هي نفسها محتاجة لله تعالى الذي يدعوهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى طاعته ، وعبادته ، وتوحيده .

وهذه الوسائط التي يعبدونها ، هي نفسها تطلب الله تعالى المنزلة العالية ، وتتسابق إليه بفعل الأعمال الصالحة التي تقربها إليه زلفى رجاءً لرحمته ، وخوفًا من عذابه (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة

---

(٣٤) المدثر ٥٦ .

(٣٥) انظر الآيات ٥٦ - ٦٠ من هذه السورة .

أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا)[٣٦] فلا وجه إذن عند العقلاء لتألية ، وعبادة هذه المخلوقات

تحذير المشركين المعارضين لرسول الله ﷺ من إنزال العذاب عليهم

وفي هذه المجموعة من الآيات الكريمة[٣٧] - أيضًا - حذر الله المشركين المعاندين لرسول الله ﷺ المُتَقَدِّمين له بأنواع من المقترحات التَّعَنُّتِية ، حذَّرهم أليم عذابه ، وشديد عقابه الذي دَمَّرَ به الأمم السالفة التي عصت الله ورسله ، وتوعدهم بأنهم قد استحقوا إنزال العذاب عليهم ، وأنه لايؤخره عنهم إلا أنه تعالى قد جعل لهم أجلاً سيبلغهم إياه .

وبين لهم في الوقت ذاته أنه لو أَرَاهُمْ ما اقترحوه من الآيات ، وأجابهم بها لما زادهم ذلك إلا إصرارًا ، وضلالاً ، وكفرًا ، وعنادًا وتكبرًا ، ولاستأصلهم حينئذ من الأرض وقطع دابرهم كما قطع دابر قوم ثمود لما أصروا على كفرهم بعد أن جاءتهم آية الله حجة ظاهرة واضحة بينة (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات إلا تخويفا)[٣٨] .

وجه ذكر ثمود في معرض التهديد بإنزال العذاب

وخص قوم ثمود بالذكر في هذا المقام من الوعيد ، والتوعد الشديد دون غيرهم من الأمم التي أبادهم الله بكفرهم لعلمهم بهم ، وذيوع خبرهم بينهم ، ومعرفتهم لديارهم وقربها منهم ، ومن ديارهم التي يتخذونها معقلاً للمعارضة والعصيان ، ومرورهم عليها في تجاراتهم وتجوالهم في

---

(٣٦) الإسراء ٥٧ .

(٣٧) ٥٦ - ٦٠ .

(٣٨) الإسراء ٥٩ .

الأرض لتكون الصورة ماثلة للعيان ، والوعيد أنكأ في قلوبهم كلما غدوا ، أو راحوا .

تهديد ابليس واتباعه بالتعذيب

ثم ذكرت الآيات الكريمة في هذه السورة عِصْيانَ ابليس لأمر الله عز وجل ، واعتراضهُ الأحمق على أمره له بالسجود لأدم عليه السلام ، وتبجحه واستكباره المخذُول مُتَوَعِّداً بأحتناك ذرية آدم – عليه السلام – إلا قليلاً منهم – وهم الذين حفظهم الله منه ، ولم يجعل له عليهم سلطانًا من عباده المخلصين – وكيف أن الله تعالى توعده بعظيم العقاب ، وأليم العذاب في جهنم هو من اتبعه من الناس لعصيانه لأمره ، وخروجه من طاعته بتكبره ، وعناده [٣٩] .

وجه ذكر عصيان ابليس بعد ذكر عصيان الكافرين

ولعل في ذكر عصيان إبليس في هذا السياق بعد ذكر عصيان الكافرين إشعارًا بأن ما يجمع إبليس ، والكافرين معًا في طريق واحدٍ من العصيان ، والفسوق عن أمر الله تعالى في الدنيا سيجمعهم به – أيضًا – في الآخرة في نار جهنم دار الحسرة والبوار .

التذكير بالنعم

ثم ذَكَّرَتْ الآيات الكريمة أولئك الكفار بنعم الله عليهم في كل حال من أحوالهم ، وعلى أي وجه من وجوه تصرفاتهم الحياتية كانوا علَّهُمْ يثوبون إلى رشدهم ، فيشكرون الله تعالى على سوابغ نعمه التي لاتحصى، يشكرونه بالإيمان به ، واتباع رسوله ﷺ بطاعته فيما يأمر به ، ينهى عنه [٤٠] .

---

(٣٩) انظر الآيات ٦١ ـ ٦٤ .

(٤٠) انظر الآيات ٦٥ ـ ٦٩ .

إخلاص في الشدة وكفر في الرخاء

وخلال هذه الآيات التي ذَكَّرَهم فيها بنعمه الكثيرة وعدد عليهم جملةً منها ذكَّرهَمْ - أيضًا ببالغ غبائهم في تغير أحوالهم، وتَلَوُّنِ أفعالهم، وتذبذب أقوالهم بين اليسر، والعسر حيث يخلصون له الدعاء إذا ركبوا في الفلك، وأصابتهم الشدة، وجاءهم الموج من كل مكان، ويكفرون به إذا نجاهم إلى البر متناسين أنه قادر على إهلاكهم في البر خَسْفًا، أو حصبًا، كما هو قادر على إهلاكهم في البحر غَرَقًا [(٤١)].

تكريم بني آدم مدعاة لاستجابتهم للإيمان

وختم هذه الآيات بالإخبار عن تكريم الله لبني آدم عمومًا مما يقتضي أن يقابلوا تكريمه المطلق لهم بالاستجابه له، والإيمان به، واتباع رسوله ﷺ.

وامْتَنَّ عليهم فيها بما يسره لهم، وأَرَاحَهُمْ به في البر، والبحر من حملهم في البر على الدواب وغيرها، وفي البحر على السفن وغيرها - أيضًا - وأنه قد جعل رزقهم من الثمرات الطيبات، والأقوات المستلذات، ولم يجعله من المستكرهات، ولا مما تأكله البهائم من حشائش، وقش، وعَصْفٍ، فقال: ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾[(٤٢)].

الحث على اتباع الرسول ﷺ والاستجابة له

ثم عَقَّبَ على ذلك ببيان أحوال الناس في الآخرة، والإخبار عن تفاوت درجاتهم فيها يوم يدعو الله كل أناس بإمامهم حثًا للمدعوين بالقرآن في الدنيا على اتباع رسول الله ﷺ، والاستجابة لدعوته ضمانًا

---

(٤١) انظر نفس الآيات السابقة.

(٤٢) الإسراء ٧٠.

لنجاتهم بـه ، واتباعهم له يوم القيامة حين تنادى كل أُمّة بمن ائتمت به في الحياة الدنيا .

اغتباط المؤمنين وفرحهم يوم القيامة

وهناك يفرح الناجون بنجاتهم ، ويُعْطَوْن كُتُبَهُمْ بأيمانهم ، يقرأونها مرارًا ، وتكرارًا سرورًا بما قَدَّمُوا من أعمال صالحة ، ونيات خالصة ، وأخلاق طاهرة ، ويقولون على رؤوس الأشهاد (هاؤُمُ اقرأوا كتابيه)(٤٣) اغتباطًا بما هم فيه من فرح ، وسرور وإنْبَاءً بما أَحَلَّهُم الله فيه من دار الكرامة ، والحبور (٤٤) .

عود إلى التحذير من الكفر

ويختتم السياق الكريم – بعد الذي سبق – بالتحذير البالغ من الكفر ببيان عاقبته السيئة في الآخرة فيقول : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا)(٤٥) .

البحث في معنى الخطاب بهذه الايات

وهنا يخلص بنا السياق الكريم إلى الآيات التي نُصبَ هذا البحث لدراستها ، وإجالة الفكر في بيان معنى الخطاب بها ، وهي قوله تعالى (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره وإذاً لاتخذوك خليلاً ، ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً . إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرا . وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لايلبثون خلافك إلا قليلا . سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلا)(٤٦) .

---

(٤٣) الحاقة ١٩ .

(٤٤) انظر الآية ٧١ .

(٤٥) الإسراء ٧٢ .

(٤٦) سورة الإسراء ٧٣ - ٧٧ .

البحث في معنى الخطاب بهذه الايات

فما المقصود بهذه الآيات ؟

وما المراد بالخطاب بها ؟

وما وجه اتساقها وانتظامها بسباقها ، وسياقها في هذه السورة الكريمة ؟

وما الذي آثار الشبهة في قلب سائلي عنها ؟

أقول : لعل التعبير بلفظ « كاد » في هذه الآية ، ثم إضافة لفظ « الفتنة » إلى ضمير خطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومواجهته عليه الصلاة والسلام بالخطاب في قوله (لتفتري علينا غيره) ، وقوله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً) والتوعد بمضاعفة عذاب الدنيا ، والآخرة فيما لو مال إليهم – وحاشاه من ذلك – هو الذي أثار السؤال في نفس سائلي .

تحليل لغوي لبعض ألفاظ هذه الايات

وسيتضح المراد بالخطاب بهذه الآيات ، والجواب عن هذه الأسئلة الآنفة الذكر من خلال ما سنبسطه من الكلام عن هذه الآيات الكريمة في ما يلي :

أ ـ اسلوب « كاد» في الاستعمال العربي

ونبدأ بذكر تحليل لبعض ألفاظ ، وتراكيب هذه الآيات ، إذ أن معنى الآية وليد تركيبها اللغوي ، ونظمها البياني ، وسياقها المعنوي ، فأقول : إنَّ تصدير هذه الآية الأولى من هذه الآيات بالفعل الماضي « كاد » لايعني لا من قريب ، ولا من بعيد قرب النبي صلى الله عليه وسلم من الافتتان عما أوحاه إليه ربه كما توهم من لا تحقيق له من القوم .

وذلك أن هذا الفعل ، وإن كان من أفعال المقاربة التي تفيد في اصطلاح النحويين قرب زمن وقوع الخبر من الإسم ، فإن الاستعمال العربي لأسلوب « كاد » قد أثبت أن خبرها قد يقع ، أو لايقع ، بل قد يستحيل وقوعه كما في قوله تعالى (يكاد زيتها يضيء) [(٤٧)] .

وهذا يعني أن مجرد وجود هذا الفعل في العبارة لايدل على وقوع الخبر حتمًا ، بل كل مايفيده إنما هو « الدلالة على التقارب بين زمن وقوع الخبر ، والاسم » [(٤٨)]. بيد « أن كلا منهما يظل منفصلا عن الآخر ، لايخالطه ، ولا يتصل به فعلا ، ولايندمج فيه مباشرة » [(٤٩)] .

والدلالة على التقارب الافتراضي بين زمن وقوع الخبر ، والاسم ، لايعني وقوع الخبر ، ولايدل عليه ، كما أنه لايفيد الاتصاف به ، إذ لايوصف بالشيء إلا من فعله ، ولابسه .

ولهذا قال علماء اللغة ، وحذاقها : « كاد إذا وقعت مجردة من الجحد لم يقع ذلك الشيء (أي لم يقع خبرها) تقول : كاد يفعل ، فهذا لم يفعل » [(٥٠)]

وذكر الجوهري في الصحاح [(٥١)] وابن فارس في المجمل [(٥٢)] وابن منظور في لسان العرب [(٥٣)] أن « كاد » إذا وردت « مجردة عن الجحد

---

(٤٧) النور ٣٥ .

(٤٨) النحو الوافي لعباس حسن ٤٥٩/١ .

(٤٩) نفس المرجع الهامش رقم (٢) .

(٥٠) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ١٤٥/٥ « بتصرف » .

(٥١) الصحاح ٥٣٢/٢ .

(٥٢) المجمل ٧٣٣/٣ .

(٥٣) لسان العرب ٣٨٢/٣ .

تنبئ عن نفي الفعل » .

وهي في هذه الآية التي نحن بسبيل البحث فيها من هذا القبيل مجردة من الجحد ، فتفيد نفي وقوع الفتنة له صلى الله عليه وسلم عن الذي أوحاه الله إليه .

المراد بأسلوب «كاد» في هذه الآية

وعلى هذا فالاستعمال العربي المحض الذي صرح به أئمة اللغة لمعنى « كاد » مجردة عن الجحد يفيد نفي ما ذكر في هذه الآية الكريمة عن رسول الله ﷺ ، وتبرئته عليه الصلاة والسلام من ذلك ، وأنه - ﷺ - لم يفعل شيئا يطمع المشركين فيه ، بل لم يقرب من شيء عروضه عليه .

تأييد مايدل عليه اسلوب « كاد » لُغَةً بما ورد رواية

ويؤكد هذا المعنى ، ويرسخهُ ما أخرجه ابن أبي حاتم « من طريق الضحاك (٥٤) عن ابن عباس قال : كل شيء في القرآن (وإن كادوا) و (ويكاد) فإنه لايكون أبدًا » (٥٥) .

وأخرجه - أيضا - الطبري بإسناده من طريق الضحاك عن ابن عباس - رضي الله عنهما - بلفظ « .. وكل شيء في القرآن (كاد) ، أو (كادوا) ، أو (لو) فإنه لايكون ، وهو مثل قوله (أكاد أخفيها) (٥٦ - ٥٧) .

---

(٥٤) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي الخراساني تابعي جليل ، كان إماماً في التفسير ، وغيره ، من أشراف المعلمين ، يعلم القرآن حسبة ، وكان في مكتبه ثلاثة آلاف طالب .. البداية والنهاية ٩/٢٢٣ ، المحبر ٤٧٥ .

(٥٥) معترك الأقران في إعجاز القرآن ٢/١٨٨ .

(٥٦) سورة طه ١٥ .

(٥٧) تفسير الطبري ١/٣٥٤ .

طريقة ماإذا أُرِيدَ تقريب وقوع خبر « كاد »

ويشهد لهذا ، ويعززه – أيضا – ماهو معلوم عند حذاق العربية من أن الفعل « كاد » إذ أريد به تقريب وقوع الخبر جيء به فعلاً ماضيًا مقروناً بـ « قد » .

وهذا مالم يقع في هذه الآية الكريمة مما يدل على أنه – ﷺ – كان في مأمن من فتنتهم ، بعيداً عن رغبتهم ، وفي غاية المنعة منهم بربه عز وجل .

عصمة الله لرسوله من فتنة الناس سابقة له من الله قبل تفكيرهم في أمر فتنته

ولايعني هذا قرب ركونه إليهم في قوله عز وجل « لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلا » في هذه الآيات التي هي موضع بحثنا هذا لاقتران «كاد » فيها فعلا ماضيًا بـ« قد » لأن حفظ الله تعالى لرسوله – ﷺ – منهم ، وعصمته إياه مما يكيدون له أمرٌ ثابتٌ له ، ومتحقق فيه بفضل الله منذ أن بعثه الله إليهم رسولا ، وقبل شروعهم في التفكير في فتنته الذي إنما نشأ في أنفسهم بعد أن صدع فيهم رسول الله ﷺ بأمر ربه ، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله تعالى ، وترك ماهم فيه من كفر بالله ، وشرك به . ويسدد قولي هذا ، ويصححه ما أخرجه ابن راهويه (٥٨) في مسنده عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قال : « بعثني الله تعالى بالرسالة ، فضقت بها ذرعًا ، فأوحى الله تعالى إن لم تبلغ رسالاتي عذبتك ، وضمن لي العصمة فقويت » (٥٩)

---

(٥٨) هو اسحاق بن ابراهيم بن مخلد الحنظلي المعروف بابن راهوية . إمام من أئمة المسلمين ، وكان من سادات أهل زمانه فقهاً ، وعلما ، وحفظا ، وصنف الكتب وفروع السنن ، وذب عنها ، وقمع من خالفها .

توفى سنة ٢٣٧هـ ، وقيل ٢٣٨ هـ ، تهذيب التهذيب ٢١٦/١ - ٢١٩ .

(٥٩) روح المعاني ١٨٩/٦ .

فهذا الحديث دليل صريح على تحقق العصمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم من المشركين في ابتداء بعثته بالرسالة إلى الناس ، وقد أخبره ربه بعصمته له منهم في قوله (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس) [٦٠] .

اقتضاء « لولا » الامتناعية عدم ركونه ﷺ في شيء إلي المشركين

وحتى على القول بأن « كاد » كغيرها من الأفعال نفيها نفي ، وإثباتها إثباتٌ « فإن عدم ركونه في قوله (لقد كدت تركن) – لاقليلاً ، ولا كثيراً مفهوم من جهة أن « لولا» الامتناعية تقتضي ذلك » [٦١] .

أي تقتضي عدم ركونه صلى الله عليه وسلم إليهم كما صرح السيوطي – رحمة الله – بذلك في كتابه معترك الأقران في إعجاز القرآن

حاصل مايدل عليه أسلوب « لولا » في معنى الاية

وإذن فحاصل ما يدل عليه هذا الأسلوب في قوله تعالى (لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً) . وقوله (وإن كادوا ليفتنونك) إنما هو بيانٌ لما وصل إليه أولئك المشركون المعايشون لرسول الله ﷺ من خداع ، ومكرٍ ، وما بذلوا من جهود يحاولون بها ثني رسول الله ﷺ عما كان يقوم به من بالغ الدعوة إلى توحيد الله تعالى ، وإخلاص العبادة له ، حتى خُيِّلَ إليهم – في تقديرهم ، وظنهم لعظيم ما قالوه ، وهول ماتوعدوه به ، وبالغ ما قاموا به من سعايات ، وإرجاف ، وترغيب ، وترهيب وتَقَوُّلاتٍ – أنهم في حسبانهم كادوا يفتنونه ، ويُرْكِنُونَهُ إليهم شيئًا قليلاً بزعمهم .

---

(٦٠) المائدة ٦٧ .

(٦١) معترك الأقران القسم الثاني ١٨٨ « بتصرف »

فهم يحسبون حَدْساً وظناً ، وتَوَجُّساً في أنفسهم أنهم نالوا منه شيئًا قليلاً مما يمنون به أنفسهم ، ويزعمونه لشياطنهم من قومهم ، بيد أن شيئا مما طمعُوا فيه ، أو زعموه لم يقرب فضلاً عن أن يحدث ، وإن كان مكرهم ، وخداعهم ، وإرجافهم لتزول منه الجبال كما أخبر الله عنهم بذلك في قوله (وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال)(٦٢) .

ثبات رسول الله ﷺ على تبليغ رسالة الله إلي الخلق

وقد حفظ الله تعالى رسوله ﷺ من مكرهم ، ودفع عنه كيدهم ، فكان ﷺ على غاية البعد عما كانوا يرجُون أنفسهم به من القرب من شيء مما هم فيه من الإشراك بالله مستمسكًا بدعوته بالغ الاستمساك ، مخلصاً فيها غاية الإخلاص ، قائما بحقها ، قد زكاه الله ، وزكى دعوته فقال : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض)(٦٣) .

وقد عبر رسول الله ﷺ عن بالغ عزمه على نشر دعوة الحق ، وقوة استمساكه بها ، وصدق إخلاصه في القيام بها لله رب العالمين ، فقال مجيبًا عمه أبا طالب حين سعت قريش إليه أن يكف رسول الله ﷺ عن عيب آلهتهم ، وتسفيه أحلام المشركين بشركهم ، فاستدعاه عمه ، فأخبره بالذي قالوا له ، فظن رسول الله ﷺ أن عمه « مسلمه ، وخاذله ،وأنه قد ضعف عن نصرته ، والقيام معه »(٦٤) فقال ﷺ معلنا صموده ، وإصراره

---

(٦٢) سورة إبراهيم ٥٦ .

(٦٣) الشورى ٥٢ ، ٥٣ .

(٦٤) سيرة ابن هشام ١/٢٧٨ .

وقيامه بأمر ربه ، وإن تَخَلّى عنه الناس جميعًا : « يا عم ، والله لو ضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته »(٦٥)

وإلى هذا التوجيه الوجيه أشار قبل ذلك أبو بكر الباقلاني (٦٦) في كتابه (نكت الانتصار لنقل القرآن) حيث قال فيه : « والأولى في قوله (وإن كادوا ليفتنونك) أن يقال : إنها صدرت من الله تعالى على وجه الإخبار عن كيدهم ، وقال في موضع آخر : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك) (٦٧) ، وكل هذا تسكين لقلبه عليه السلام » (٦٨) .

ب – البحث الثاني أسلوب « لولا » في الاستعمال العربي

وقد صدرت الآية الثانية من هذه الآيات الكريمة وهي قوله : (ولولا أن ثبتناك ..) الآية بأداة الشرط الامتناعي « لولا » التي « تدل على امتناع شيء لثبوت غيره » بمعنى أنها تقتضي امتناع وقوع خبرها في الماضي لحصول مضمون الوصف بجملة شرطها في الماضي – أيضًا ـ التي تسبق خبرها في الحدوث دومًا .

---

(٦٥) سيرة ابن هشام ٢٧٨/١ .

(٦٦) هو محمد بن الطيب أبو بكر المعروف بالباقلاني ، إمام وقته ، وعالم عصره ، وجهه عضد الدولة سفيراً عنه إلى ملك الروم ، وجرت بينه ، وبين علماء النصرانية مناظرات بين يدي ملك الروم انتصر فيها عليهم انتصاراً مبينا ، حتى خافوا على نصرانيتهم من قوة حجته ..
انظر ترجمته ومناظرته لهم في كتاب تاريخ القضاة للنباهي ٣٧ .

(٦٧) النساء ١١٣ .

(٦٨) نكت الانتصار للباقلاني ٣١٠ ـ ٣١١ تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام .

وهذا يعني أن جواب شرطها لايقع أبدًا ، وأن مضمونه لايحصل مطلقًا ، وقطعًا لتعليقه في الماضي على وقوع جملة الشرط التي تقع دومًا بحسب الاستعمال العربي لهذا الأسلوب قبل وقوع جوابها في الماضي أيضًا ، فيمتنع وقوع جواب شرط « لولا » حتماً لوقوع شرطها قبل جوابها .

المراد بأسلوب «لولا» في هذه الاية

وهذا يعني أن أسلوب « لولا » في هذه الآية الكريمة جعلها بيانًا لما قبلها ، فيفيد قطعًا امتناع وقوع الركون الذي هو هنا في هذه الجملة جواب شرط « لولا » لوجود التثبيت » له ﷺ من الله كما هو ظاهر في جملة شرط « لولا » وتحققه من الله تعالى لرسول الله ﷺ في السابق ، قبل همهم بفتنته ، وتفكيرهم في شيء من ذلك ، إما بالوحي منذ اصطفاه الله ، وبعثه رسولاً إلى الناس .

وإما بتثبيته ﷺ ، وضمان العصمة له منهم بعد أن بعثه ، كما يدل على هذا حديث أبي هريرة الذي سبق أن أوردناه عند أبي راهويه نقلاً من روح المعاني للألوسي – رحمه الله – وقال أيضًا « وأخرجه أبو الشيخ ، وابن حبان في تفسيره من مرسل الحسن » (٦٩) .

ونقل النحاس (٧٠) في تعليقه على هذه الآية ، وهي قوله تعالى (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً) . في كتابه « إعراب القرآن » أن الله عز وجل ، ثبته بالعصمة ثم قال : « وقيل ثبته بالوحي ،

---

(٦٩) روح المعاني ١٨٩/٦ .

(٧٠) هو أحمد بن محمد بن اسماعيل المرادي ، أبو جعفر المتوفى سنة ٣٣٨هـ كان من أهل العلم بالفقه ، والقرآن له مصنفات كثيرة منها اعراب القرآن ، والمعاني وهما كتابان جليلان أغنيا عما صنفت قبلهما في معناهما .. انباه الرواه ١٣٦/١ .

وبإعلامه أنه لاينبغي أن يركن إليهم ، فإنهم أعداء »[٧١]

استحالة ركون رسول الله ﷺ لأحدٍ من المشركين

وإذ قد حذر الله تعالى المؤمنين عن أن يركنوا إلى المشركين الذين ظلموا ، ويميلوا إليهم في أي أمر من الأمور مهما كان ، وتوعدهم بعذاب النار ، فقال : ﴿ ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لاتنصرون ﴾[٧٢] فإن رسول الله ﷺ أبعدُ من أن يركن إلى أحد من المشركين وقد شرفه الله بالرسالة ، وكلفه بتبليغها إلى الأمة التي حُذِّرت هي الأخرى من الركون إلى المشركين الذين ظلموا أنفسهم بالشرك بالله ، والكفر به تعالى ، وجعل تحذيره من الشرك ، والمشركين عمود رسالته ، وسنام دعوته ، وأصل رسالته ، فكيف يتأتى عقلاً أن يزعم زاعم أنهم كادوا يفتنونه بالميل إلى تعظيم آلهتهم ، أو بالتمسح بها ؟ !!

هذا من مستحيلات النظر عند ذوي العقول القويمة ، الأفهام المستقيمة .

ولاشك أنه ﷺ لم يركن إليهم ، ولاخطر بباله شيء من ذلك أبدًا ، لأن الإيحاء إليه من الله تعالى ، وتحذيره منهم ، وعصمته مما يكيدون أمرٌ سابقٌ له من الله تعالى قبل هجومهم عليه بما أرادوا منه ، كما سبق أن أوضحنا ذلك فيما قدمناه آنفاً .

---

(٧١) إعرابي القرآن للنحاس ٢/٢٥٤ تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد .

(٧٢) هود ١١٣ .

وجه الامتنان على رسول الله ﷺ بالتثبيت في مقام الدعوة

وامتنان الله تعالى عليه - ﷺ - بعد ذلك بالتثبيت في قوله (ولولا أن ثبتناك) إنما هو من باب التكريم له ، والتعظيم لشأنه ، والإشادة بمكانه من الدين لإظهار ما ينبغي أن يعرف له من عظيم القدر عند الله ، وما أحاطه به من سامي العناية ، وبالغ الرعاية المبين له في معرض الامتنان ، والإخبار بضمان العصمة له ، ودفع الضر عنه في قوله : (ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم أن يضلوك وما يضلون إلا أنفسهم وما يضرونك من شيء وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيماً)(٧٣) .

وهذه الآية دليل ظاهر قاطع على أن الله تعالى قد منعهم من الهم بإضلال رسوله ﷺ قبل أن يحدث منهم هم به لذلك .

الممنوع من فعل الشيء لايُعْقَلُ فعلُه له

وهي - أيضاً - إخبار له - ﷺ - ولكل من يتلوها من بعده بما تضمنته من المنطوق الذي يبطل الزعم بأنهم كادوا يضلونه ، لأن من منعه الله من الهم بفعل شيء لايقال إنه قد فعله ، ولايصح أن يُرَتَّبَ على ما لم يفعله ذلك الممنوع من الفعل أمرٌ لايتصور حدوثه منه لعدم حدوث مقدماته منه أيضاً .

لامحل لافتعال الإشكالات

وبهذا التحليل العلمي لدلالة الوضع اللغوي للألفاظ التي أثارت الإشكال في أذهان بعض الناس حول المعنى المراد بالخطاب في هذه الآيات يتضح أن ليس للإشكال الذي أثاروه محل ، ولامستمسك وجيه ، بل ولامقبول عند أهل العلم بالعربية ، لا وضعاً ، ولا دراية .

---

(٧٣) النساء ١١٣ .

ظنون خاطئة وتوقعات ضالة

ويتضح – أيضًا – أن هذه الآيات الكريمة تدل بصريح معنى ألفاظها ، ومنطوق عباراتها – على الوجه الذي بيناه آنفاً – على عدم وقوع فتنتهم لرسول الله ﷺ ، وعدم ركونه إليهم في شيء مما كانوا يؤملون ، وإن كانت الفتنة في نظرهم ، هم بسبب ما دبروا لها من وسائل وما حشدوا لها من جهود مأموله الوقوع في حسابهم ، وتقديرهم ، وظنهم هم ، بيد أن رسول الله ﷺ كان في مأمن من فتنتهم ، بعيدًا كل البعد عن الركون إليهم في شيء ، معصومًا مما يكيدون له بفضل الله عليه ، ورحمته به ﷺ

قال برهان الدين البقاعي – رحمه الله – في تفسيره : « وهذه الآية [(٧٤)] من الأدلة الواضحة على ماخص به النبي ﷺ من الفضائل في شرف جوهرة ، وزكاء عنصره ، ورجحان عقله ، وطيب أصله ، لأنها دلت على أنه ﷺ لو وكل إلى نفسه ، وما خلق الله في طبعه ، وجبلته من الغرائز الكاملة ، والأوصاف الفاضلة ، ولم يتدراكه بما منحه من التثبيت زيادة على ذلك حال النبوة لم يركن إليهم » [(٧٥)] .

خطاب الأمة وتحذيرها بتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ

ويرى حبر الأمة الإسلامية ، وترجمان القرآن العظيم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن هذه الآيات الكريمة من قبيل خطاب الأمة ، وتحذيرها بتوجيه الخطاب فيها إلى النبي ﷺ ، لأنه هو المبلغ عن الله تعالى، حيث قال رضي الله عنه في ماذكره القرطبي في الجامع لأحكام

---

(٧٤) أي قوله (ولولا أن ثبتناك ...) الآية .

(٧٥) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ١١/٤٨٧ .

القرآن « كان رسول الله ﷺ عليه وسلم معصومًا ، ولكن هذا تعريف للأمة لئلا يركن أحد منهم إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالي وشرائعه »[٧٦] .

وهذا يعني أن هذه الآيات مما خوطب به النبي ﷺ ، والمراد به غيره ، لأنه لايصح ، ولايجوز أن يفتنه الكفار عما أوحاه الله إليه ، ولا أن يفتري على الله ، ولا أن يركن إلى المشركين ، ولا أن يطيع منهم أحدًا ، وإنما هي على حد قوله تعالى (لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين)[٧٧] .

ومحال أن يقع من النبي ﷺ إشراك بالله ، وإنما الآية من قبيل تحذير الأمة أن يقع منها ما يخالف أصول رسالة نبيها محمد - ﷺ - وآدابه ، وما شرعه الله له من أحكام .

حُسْنُ توجيه ابن عباس للمراد بالخطاب في هذه الاية من فقهه في الدين وعلمه بالتأويل

ولعل هذا التوجيه الوجيه الذي ترتاح إليه النفس ، ويطمئن إليه القلب ، وتسكن به الجوارح من حبر الأمة ، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما للمراد بالخطاب بهذه الآية الكريمة هو من فقه ابن عباس في الدين الذي ناله ببركة دعاء رسول الله ﷺ في دعائه له بقوله : « اللهم فقهه في الدين ، وعلمه التأويل »[٧٨] .

---

(٧٦) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٠٠ .

(٧٧) الزمر ٦٥ .

(٧٨) مسند أحمد ١/٢٦٦ ، وانظر فتح الباري ١/١٧٠ .

حاصل القول في بيان مورد هذه الايات

وبما قدمنا يظهر أن هذه الآيات الكريمة وإردة في بيان موقف الكفار من رسول الله ﷺ ، ومن القرآن العظيم الذي أنزله الله عز وجل على رسوله ﷺ يبطل بها كفرهم ، وإشراكهم به ، ويكشف عنادهم ، وخداعهم ، وخفايا أنفسهم المنحرفة ، وفساد قلوبهم المريضة ، ويحذر الأمة من الركون إلى الكفار في شيء من أمر الدين ، وشرائعه .

كما أن هذه الآيات الكريمات تعرض على رسول الله ﷺ حال ، وشأن أولئك الكفرة الفجرة معه - عليه الصلاة والسلام - زيادة في تثبيته ، وتسليته في مقام اشتداد المشركين عليه ، وإحداقهم به تذكيراً له بفضل الله عليه ، وعظيم عنايته به ، ليقوي بذلك قلبه ، ويشتد به أزره ، وتطمئن قلوب المؤمنين بنصر الله له ، ودفع الله عنه .

وليعلم أعداؤه أن لاسبيل لهم عليه ، ولا طاقة لهم بكفه عن دعوته ، ومنعه من تبليغ رسالته ، وإقامة حجته .

وفي هذا إظهار لرفعة مكانه ﷺ عند ربه ، وبيان لعظمته في حياة الناس أجمعين .

وجه الخطاب بقوله (إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)

وأما قوله تعالى في سياق هذه الآيات (إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيراً) فقد جاءت هذه الآية تبين جزاء من فعل ما ذكر في الآية التي قبل التي قبلها ، وهي قوله : (وإن كادوا ليفتنونك عند الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره) وهو ﷺ لايفعله ، ولا يهم به ، بل لايخطر له على بال أبداً ، لأنه عليه الصلاة والسلام معصوم من ذلك كله بعصمة الله له ، ومكلف بتبليغ رسالات ربه و (الله

أعلم حيث يجعل رسالته)[٧٩] فالآية على هذا هي – كما قال ابن عباس رضي الله عنهما – « تعريف للأمة لئلا يركن منهم أحد إلى المشركين في شيء من أحكام الله تعالى ، وشرائعه » .

وهي تحذير ، ووعيد شديد لجميع المومنين حكامًا ومحكومين في كل زمان ، ومكان من الركون إلى المشركين ، والكفار أعداء الله ، ورسوله ، ونهي لهم عن الإصغاء إليهم في شيء من تعطيل ، أو تأخير تنفيذ أحكام الله عز وجل .

ولما كان رسول الله ﷺ أتقى الناس لله تعالي ، وأخشاهم له ، وأعلمهم به ازداد خوفه من الله تعالي لما نزلت هذه الآية الكريمة ، فكان يقول – ﷺ : فيما رواه البزار عن ابن عمر رضي الله عنه – داعيًا ربه ، ضارعًا له ، ملتجئًا إليه : « اللهم لاتكلني إلى نفسي طرفة عين ، ولاتنزع مني صالح ما أعطيتني »[٨٠] .

فهذه الآية على هذا بيان لسنة الله تعالي في جزائه للعباد على أعمالهم ، إذ يجازي كل عبد منهم على قدر ما وهبه من أفضال ، وتأهل في طبيعته التي خلقه عليها ، ومنحه إياها ،و أكرمه بها .

ولم يمنح بشر – قط – مثل ما منح سيدنا محمد رسول الله ﷺ في طبيعته ، ورسالته ، وحسن أدبه ، وكمال خلقه وتمام خشيته لربه ، وتقواه

---

(٧٩) الأنعام ١٢٤ .

(٨٠) الفتح الكبير في ضم الزيادة إلي الجامع الصغير ٢٤٤/١ ، والجامع لأحكام القرآن ٣٠٠/١٠

له ، وبالغ رحمته ، وعظيم جوده ، وقوة صبره ، وبأس شجاعته ، وكل شأن من شئونه الخاصة والعامة ﷺ .

وَجْهُ مجيء التهديد بالعذاب شديداً في هذه الآية

وإنما جاء التهديد والوعيد بالعذاب في هذه الآية شديدًا مرعبا للتحذير البالغ من قرب شيء مما ذكر في الآية الكريمة من أي من الناس كان .

ووجه الخطاب فيها إلى النبي – ﷺ – باعتبار أنه هو المبلغ عن الله تعالى ، ولزيادة التحذير ، وبيان أن ما تُوُعِّدَ عليه فيها مما لايسامح فيه أحدٌ من الخلق ، ولو افترض فعله ممن لايفعله لعظيم قدره عند الله تعالى ، وعصمته منه ، فإنه لو فعله – جدلاً وهو لايفعله أبدًا – لأصابه الأمر المتوعد به في هذه الآية .

إيّاك أعني واسمعي ياجارة

ولعل هذا من باب « إياك أعني ، واسمعي ياجارة »[٨١] وإلا فإن رسول الله ﷺ معصوم ، ومحروس بعناية الله ، وفضله ، ورحمته من فعل شيء من ذلك كله .

قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية – وهي قوله (إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) قال : « وهذا غاية الوعيد ، وكلما كانت الدرجة أعلى كان العذاب عند المخالفة أعظم ، قال تعالى : (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين)[٨٢] .

---

(٨١) مجمع الامثال للميداني ١/٤٩ .

(٨٢) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣١٠ ، والآية من سورة الاحزاب ٣٠ .

وقال الزرقاني[٨٣] – في شرح المواهب اللدنية – تعليقًا على هذه الآية الكريمة : « ذنب الشريف أعظم من غيره ، لأنه لشرفه حقه ألا يقرب مما يلام عليه ، بل يصون نفسه عن الهفوات ، وإن صغرت »[٨٤] .

وقال ابن قيم الجوزية[٨٥] – في مدارج السالكين – : « وقد أعاذه الله تعالى من الركون إلى أعدائه بِذَرَّةٍ من قلبه »[٨٦] .

وجه الإبهام في التهديد بالعذاب في الآية الكريمة

والظاهر أن التهديد بالعذاب إنما جاء في هذه الآية مبهما ، لأنه قمين بل متحقق الوقوع على من افترى على الله ، أو ركن إلى المشركين ، فكان معروفًا حاضراً في الذهن ، لايحتاج إلى بيان .

ومع قيامه في الذهن ، وحضوره فيه إلا أن صورته ، ونوعه مجهولان مما يجعل المتوعد به على حذر دائم لكيلا يقرب من شيء يعرضه للعذاب فضلا عن أن يضاعفه عليه .

وقول ابن عباس – رضي الله عنهما – عندي من أحسن ، وأرضى ما قيل في بيان المراد بالخطاب في هذه الآيات ، لأنه يرمي عن قوس العصمة

---

(٨٣) هو محمد بن عبد الباقي (١٠٥٥ - ١١٢٢هـ) خاتمة المحدثين بالديار المصرية له مؤلفات كثيرة الأعلام ١٨٤/٦ .

(٨٤) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٢٧٧/٦ .

(٨٥) هو محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي (٦٩١- ٧٥١ هـ) كان من أركان الاصلاح الإسلامي ، وأحد كبار العلماء ، برع في علوم كثيرة ولاسيما في التفسير ، والحديث ، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ولازمه حتى صار فريداً في بابه في فنون كثيرة ...

الاعلام ٥٦/٦ ، البداية والنهاية ١٤/٢٣٤ - ٢٣٥ .

(٨٦) مدارج السالكين ٣٣٣/١ .

التي أختص الله بها أنبياءه ، ورسله ، وجعل لخاتم النبيين - ﷺ - أوفر حظ منها ، وأوفى نصيب .

أمر الأمة بالتأسي برسول الله ﷺ

ويؤيد هذا أن النبي - ﷺ - قد جعله الله عز وجل قدوة المؤمنين في جميع أقواله ، وأفعاله ، وكل تصرفاته ، وأحواله إلا ماخصه الدليل به عليه الصلاة والسلام ، قال تعالى :

(لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً)(٨٧) .

والأمة مأمورة بأن تأخذ عن رسول الله ﷺ ما يأتيها به من قول ، أو فعل ، أو تقرير ، وأن تنتهي عما نهاها عنه قال تعالى : (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب)(٨٨)

وجه استحالة ركونه ﷺ إلى المشركين

وهذا يدل يقينا على استحالة ركونه إلى المشركين في شيء من الفتنة التي أرادوا إيقاعه فيها لما لمنهجه - ﷺ - في الحياة من مكانة عظيمة في حياة الناس ، ومعادهم ، ولأن الله عز وجل جعله لهم هاديا ورائداً إلى سبيل الخير ، والنجاة ، فلايعقل أن يكون تابعًا ، ولامشاركًا لهم في مهاوي الردى ، والضلال ، وهو الذي كان يبالغ - ﷺ - في تحذير أمته مما يضرها لما جعل الله في قلبه الطاهر من كمال الشفقة عليها والرحمة بها ، وشديد الحرص على نجاتها ، وسلامتها كما ثبت في الحديث

---

(٨٧) الأحزاب ٢١ .

(٨٨) الحشر ٧ .

الصحيح الذي اتفق عليه الشيخان : البخاري ، ومسلم – واللفظ لمسلم – وفيه أن رسول الله ﷺ قال : « أنا آخذٌ بحجزكم عن النار ، هلم عن النار ، هلم عن النار ، فتغلبوني تقحمون فيها »(٨٩) .

تسلية رسول الله عما كان يلقاه من أذى قومه

وقد كان رسول الله ﷺ يجد فيما يخبره الله به مما يعلمه – ﷺ – من شأنهم معه ، وعنادهم له عزاء ، وتسلية ، وتخفيفًا عما يلقاه منهم ، فيتسع لذلك صدره ، ويقوى به قلبه ، يشتد به عزمه ، وتطمئن به نفسه ، ويزداد بذلك صبره ، وحرصه على هدايتهم ، وإيمانهم ، بل رحمته بهم تعلو إلى أن يطلب من الله عز وجل أن لا يهلكهم بعذاب يقطع دابرهم عَلَّهُ يأتي من أصلابهم من يستجيب لدعوته ، ويؤمن برسالته ، ويخلص لربه العبادة .

قول الشاطبي في التثبيت بهذه الاية

وقد عَدَّ الشاطبي (٩٠) – في كتابه الموافقات – هذا التثبيت لرسول الله ﷺ الذي في قوله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً) عَدَّه الوجه الثاني والعشرين(٩١) من وجوه « المزايا ، والمناقب العامة التي أعطيها رسول الله – ﷺ – وأعطيت أمته منها أنموذجًا باعتبار هذه المزايا ،

---

(٨٩) صحيح مسلم ١٧٨٩/٤ ، وانظر صحيح البخاري كتاب الرقاق باب الانتهاء عن المعاصي ١٢٧/٨ .

(٩٠) هو ابراهيم بن موسى الغرناطي الشاطبي أحد العلماء الأثبات ، فقيه ، أصولي ، مفسر ، محدث قدير كان مشهوراً بالصلاح ، والعفة ، والورع ، واتباع السنة ، ومحاربة البدعة ، له كتب كثيرة جليلة منها كتاب الاعتصام الذي قال الشيخ رشيد رضا في بيان قدره : « لولا أن هذا الكتاب ألف في عصر ضعف العلم ، والدين في المسلمين لكان مبدأ نهضة جديدة لإحياء السنة وإصلاح شئون الأخلاق ، والاجتماع » مقدمة رشيد رضا لكتاب الاعتصام ٤/١ وانظر شجرة النور ٢٣١ .

(٩١) الموافقات ٢٥٦/٢ .

والمناقب عامة كعموم التكاليف »[٩٢] .

واعتبر – رحمه الله – أن هذا الوجه يكون في حقه ﷺ « عند توقع التفلتِ البشري »[٩٣] ونَظَّرَهُ في حق الأمة بقوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)[٩٤] .

الرد على الشاطبي في تنظيره تثبيت النبي ﷺ في هذه الايات بتثبيت المؤمنين في الدنيا والاخرة

ولو أنه –رحمه الله – نظر في حق رسول الله ﷺ فيما يدل عليه معنى خطابه ﷺ بهذه الآية على الوجه الذي بيناه فيها من الوضع اللغوي لأسلوب « كاد » وما يرشد إليه سياقها ، وسباقها من معنى مخاطبته – ﷺ – بها لما قال ما قال في حقه ﷺ .

الفرق بين تثبيت النبي ﷺ وتثبيت الذين آمنوا بالقول الثابت

أما تنظيره تثبيت النبي – ﷺ – في هذه الآية بتثبيت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ففيه لنا نظرٌ ظاهرٌ لما بين التثبيتين من التفاوت ، والاختلاف في الزمان ، والمكان ، إذ أن تثبيت النبي ﷺ في الحياة الدنيا قد كان بالوحي إليه أولاً ، وبضمان العصمة له من الناس ثانيًا منذ اصطفائه للنبوة ، والرسالة كما سبق أن بيناه ، ووضحناه بحديث أبي هريرة رضي الله عنه آنفاً .

وأما تثبيت المؤمنين في الحياة الدنيا فيكون « بالإيمان بالله ، ورسوله محمد ﷺ »[٩٥] .

---

(٩٢) الموافقات ٢/٢٤٩ « بتصرف » .

(٩٣) الموافقات ٢/٢٥٦ .

(٩٤) سورة إبراهيم ٢٧ .

(٩٥) تفسير الطبري ١٣/٢١٨ .

وتثبيتهم في الآخرة هو تثبيتهم عندما يسألون في قبورهم كما ثبت ذلك عن النبي ﷺ في الصحيحين ، والسنن من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه – واللفظ لمسلم – عن النبي ﷺ قال : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت » قال نزلت في عذاب القبر ، فيقال له : من ربك ؟ فيقول : ربي الله ، ونبي محمد ﷺ ، فذلك قوله عز وجل (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة »(٩٦) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : « وهذا الحديث قد رواه أهل السنن ، والمسانيد مطولاً .. »(٩٧) .

وبهذا يظهر أن لا وجه لتنظير تثبيت النبي ﷺ بتثبيت المؤمنين لا في الحياة الدنيا ، ولا في الآخرة .

أما في الدنيا فلما دل عليه حديث البراء ابن عازب هذا

وأما في الآخرة فلهذا الحديث – أيضًا – بالنسبة للمؤمنين ، وأما بالنسبة للنبي – ﷺ – فـ« الذي يظهر أنه – ﷺ – لايُسأَلُ (أي في القبر) ، لأن السؤال يختص بمن شأنه أن يُفْتَنَ »(٩٨) كما قال الحافظ ابن حجر في الفتح ، بل إن الرسول ﷺ هو موضوع السؤال ، أي هو المسئول عنه في القبر ، فقد روي البخاري – واللفظ له – ومسلم بإسناديهما من

---

(٩٦) صحيح البخاري ١٢٢/٢ وصحيح مسلم ٢٢٠١/٤ ، الترمذي ٢٩٥/٥ - ٢٩٦ أبو داود ٢٣٨/٤ ، ابن ماجه ٤٤٢/٢ تحقيق الأعظمي ، النسائي ١٠١/٤ ، مسند أحمد ٢٨٢/٤ ، تفسير الطبري ٢١٣/١٣ ومابعدها .

(٩٧) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ٢٨٧/٤ .

(٩٨) فتح الباري ٢٣٩/٣ .

طريق قتادة عن أنس بن مالك رضي الله عنه « أنه حدثهم أن رسول الله ﷺ قال : إن العبد إذا وضع في قبره ، وتولى عنه أصحابه ، وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان ، فيقعدانه ، فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمد ﷺ ؟

فأما المؤمن ، فيقول : أشهد أنه عبد الله ، ورسوله . فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة ، فيراهما جميعًا .

وأما المنافق ، والكافر ، فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟

فيقول : لا أدري كنت أقول ما يقول الناس . فيقال له : لا دريت ، ولاتليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين » (٩٩) .

أقول : من يسأل عنه ، وعما جاء به ، لايسأل هو نفسه عن نفسه ، ولا عما جاء به من عند ربه ، إذ السؤال في القبر عنه هو .

وجعل أتباعه في الحياة الدنيا محلا للنجاة من عذاب القبر بالسؤال عنه - ﷺ - في القبر يدل على تجاوزه - عليه الصلاة والسلام - لموضع المساءلة له فيه أصلاً .

ونقل القاضي عياض (١٠٠) في كتابه الشفاء عن بعض المتكلمين أنه

---

(٩٩) صحيح البخاري ١٢٣/٢ ، ومسلم ٤/٢٢٠٠ - ٢٢٠١ .

(١٠٠) هو عياض بن موسى اليحصبي (٤٧٦ - ٥٤٤هـ) الإمام العلامة ، إمام وقته في الحديث وعلومه ، كان عالماً بالتفسير وجميع علومه ، فقيهاً ، أصولياً ، عالماً بالنحو ، واللغة وأيام العرب ، وانسابها ... الديباج ٤٦/٢ - ٥١

ملاحظة جاء في الصفحة ٥١ من هذا الجزء من الديباج بتحقيق =

قال تعليقًا على هذه الآية : « عاتب الله تعالى الأنبياء ، عليهم السلام بعد الزلات ، وعاتب نبينا عليه السلام قبل وقوعه ، ليكون بذلك أشد انتهاء ، ومحافظة لشرائط المحبة ، وهذه غاية العناية »[١٠١] .

وبمثل هذا القول قال القاضي عياض – أيضا – في الموضع نفسه من كتابه الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ[١٠٢]

الرد على من يزعم أنه عوتب قبل وقوعه فيما يعاتب عليه

وتوجيه هذا المتكلم لمعنى الخطاب بهذه الآية على المعنى الذي ذكره توجيه غير وجيه أبدًا لمخالفته ما علم ضرورة عند أهل العلم باللسان ، وغيرهم من عقلاء البشر من أن العتاب لا يكون إلا على نوع من المخالفة التي استدعت العَتْبَ على المعاتب .

والرسول ﷺ « وإن كان معنى عتاب الله له هو تذكيره بما ينبغي أن يكون عليه اجتهاده عليه الصلاة والسلام من كمال الموافقة لمراد الله تعالى »[١٠٣] كما بينا ذلك في كتابنا « آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد » فإن هذه الآية لاتدل على أنه – ﷺ – قد وقع منه شيء يعاتب عليه كما بينا ذلك في بياننا لمعنى الخطاب بها فيما سبق من

(=) الدكتور محمد الأحمدي أبو النور المنشور بمكتبة دار التراث بمصر أن عياضاً ولد سنة ست وتسعين واربعمائة

والصحيح كما هو معلوم عند مترجميه أنه ولد سنة ست وسبعين واربعمائة . ولعل هذا من خطأ المطابع .

(١٠١ ـ ١٠٢) الشفا ١/٣٨ ـ ٣٩ تحقيق علي محمد البجاوي .

(١٠٣) آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد للدكتور عويد المطرفي « بتصرف »

هذا البحث ، وكما يدل على ذلك – أيضًا – كلام هذا المتكلم .

فلم إذن ضاق به الفكر ، فعاد يزعم أنه – ﷺ – عاتبه الله قبل وقوعه فيما يستدعي العتاب ؟ !!

فكأنه – عفا الله عنه – بزعمه هذا افترض تحميله – عليه الصلاة والسلام – تبعة أمر لم يفعله ، بل لم يقرب منه ، ونسب إليه – لوصفه إياه بالعتاب قبل وقوعه فيما يعاتب عليه – ما لم يصدر منه ، فوقع هذا المتكلم ، ومن قال بقوله فيما أراد إبعاد رسول الله ﷺ عنه ، وإخراجه منه من حيث أرادا – رحمهما الله تعالى – تبرئة رسول الله ﷺ دون أن يُلْقِيا بالاً لاستلزام قولهما ذلك .

وهذا غاية في التناقض ، إذ كيف يبرئه – وهو البريء بذاته ، وصفاته – من الأمر مرة ، ويزعم أنه عوتب عليه أخرى قبل أن يفعله ؟ !!

هذا ما لا يكون أبدًا ، ولا يُعْقَلُ أن يكون .

تأييد الله لرسوله ﷺ وتسليته في مقام اشتداد المشركين عليه

وأما قوله تعالى في سياق هذه الآية (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذاً لايلبثون خلافك إلا قليلاً) فإنما يدل على الحال التي كان عليها المشركون في استفزازهم لرسول الله - ﷺ - وإزعاجهم إياه ، وتنغيصهم الحياة عليه في كل آنٍ ، وحين . كما أنها تصور موقفهم من رسول الله - ﷺ - ومن دعوته ، وكيف أنهم كانوا يشنون عليه حربًا نفسية ، وإزعاجات قلبية ليجعلوه بذلك في قلق دائم بما يحيكونه ضده من مؤامرات ومكائد كادوا يستفزونه بها ، ويستثيرونه ليحملوه - إن استطاعوا - على الخروج من بلده ، ووطنه حرم الله الآمن ، بتكالبهم عليه ، وإزعاجهم له ، وإرجافهم حوله ، بيد أن الله عز وجل طمأن رسوله ﷺ ، وقوى عزيمته ، وشد أزره في مواجهته لتحديهم الظالم له ، وسلاه عما يلقاه منهم ، فقال في ختم هذه الآية الكريمة جوابًا وجزاءً ، وتهديدًا لهم بإنزال العذاب العاجل عليهم فيما لو أخرجوا رسوله - ﷺ -من بلده مكة مُسْتَفَزّاً مزعجًا :(وإذًا لايلبثون خلافك إلا قليلاً) ، لأن سنة الله تعالى التي لاتتخلف أن كل أمة أخرجت رسول الله إليها من بين أظهرها أن يهلكهم الله بعذاب عاجل .

وهذا هو ما يدل عليه سياق هذه الآيات الكريمات حيث قال تعالى تتميما لها ، وبياناً لسنته عز وجل في ذلك : (سنة من أرسلنا قبلك من رسلنا ولاتجد لسنتنا تحويلا)

فكان هذا تأييدًا من الله تعالى لرسوله محمد ﷺ ، وتسليةً له في

مقام اشتداد المشركين عليه ، واستهزائهم به ، وإزعاجهم إياه ، وخداعهم له (فوقاه الله سيئات ما مكروا) »(١٠٤) تحقيقًا لقوله عز وجل (ولا يحيق المكر السيء إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً)(١٠٥) .

أمر الله تعالى للرسول ﷺ بالإشتغال بعبادة الله وترك أذى المشركين

ولما كان مثل هذه المواقف الرهيبة قد تشغل القلب بالتفكير في سبل مواجهتها ، ودرئها وإزالتها عن طريق الدعوة إلى الله تعالى ، وفي الاشتغال بها إشغال لبال رسول الله ﷺ عما ينبغي التفرغ له ، والتوجه إليه ، إذ قد ضمن الله له العصمة منهم سلفًا ، فإن توجهه إلى ما ينبغي له الاهتمام به ، والاستغراق فيه مما هو زاد له في دنياه ، وذخرٌ له في أخراه أسعد لحاله ، وأهنأ لقلبه الطاهر ، وأرفع لمقامه المحمود عند ربه .

وهنا يأتي سياق الآيات الكريمة موجها إليه ، ودالاً عليه ، فيأمره الله عز وجل فيها بالتفرغ لعبادته ، والإكثار من ذكره آناء الليل ، وأطراف النهار ، متلطفًا به غاية التلطف مظهرًا له بالغ الإنعام عليه بأجل النعم ممتنًا عليه بأعظم المنن في قوله عز من قائل كريم رحيم (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهودا . ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقامًا محمودا . وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك

---

(١٠٤) سورة غافر ٤٥ .

(١٠٥) سورة فاطر ٤٣ .

سلطانًا نصيرا . وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) (١٠٦) .

مايدل عليه الأمر لرسول الله ﷺ بالتوجه إلي الله بالعبادة

فهذا التلطف البالغ من الله تعالى برسول الله ﷺ ، وحسن الامتنان عليه بهذه الآيات الكريمة ، وتوجيهه بها إلى دوام الاستزادة من طلب سوابغ النعم بإقامة الصلوات المفروضة في أوقاتها ، وإدامة تلاوة القرآن العظيم ، وتحين ساعات استجابة الدعاء في أوقات هجوع الأنفس من حركاتها ، واستسلامها لوسناتها ، وأن يسأل ربه أن يبعثه يوم القيامة مقامًا محمودًا يغبطه عليه الأولون ، والآخرون ، وأن يؤتيه في الدنيا من القوة والسلطان ، والحجة ، والبرهان ما يستطيع به إقامة حدود الله ، وشرائعه حتى ينشر سلطانه على هذه الأرض ، ويمنع بسلطان الله تعالى جميع المعاصي ، والآثام ، فإن الباطل لا قيام له مع الحق ، ولا بقاء له مع العدل . أقول : إن مجيء هذه الآيات الأربع في هذا النظم الإلهي الكريم سياقًا لتلك الآيات التي هي موضوع بحثنا هذا ، وتعقيبًا عليها لايتأتى إلا أن يكون الأمر منحًا من الله تعالى لرسوله الكريم - ﷺ - إظهاراً لفضله العظيم على عبده ورسوله الأمين الذي صبر في القيام بدعوته صبرا بالغاً ، وثبت في جهاده للكفار ثباتًا راسخًا ، فرد الله به كيدهم ، وأبطل بجهاده ، وإخلاصه فيه سوء تدبيرهم ، وليظهر بذلك أنه تعالى قد جبل رسوله - ﷺ - على استعداد بشرى وروحي ، ونفسي أفرده به عن سائر البشر أجمعين فهيأه بذلك الخلق ، والخلق العظيم لحمل

---

(١٠٦) الإسراء ٧٨ - ٨١ .

رسالته ، وتبليغ دعوته ، ونشر رحمته على العالمين ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

وعد الله لرسوله ﷺ بإعلاء دينه وإظهار شأنه وشرعه

وقد تضمنت الآية الأخيرة من هذه الآيات الأربع وعداً كريماً من الله عز وجل لرسوله ﷺ في موقف اشتداد المشركين عليه ، واستفزازهم له بإظهار شأنه ، إعلاء دنيه ، وغلبته على الكفار الذين كانو يناصبونه العداوة ؛ والبغضاء ، ويكيدون له ، ويضيقون عليه السبل حيث بشر الله فيها رسوله بإعلاء الحق الذي هو دعوته ، وأصل رسالته ، ونهجه وشرعته ، وزهوق الباطل الذي هو الشرك بالله ، والكفز به ، وخروجه مكسوراً مدحوراً مهلكاً (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً) .

وكما أعظم الله تعالى شخص نبيه ﷺ بوعده له أن يرفع مقامه فوق كل مقام بقوله له (عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً) .

وهذا يعني رفع شأنه ﷺ ، ونصره في الدنيا والآخره أعظم - أيضاً - شأن رسالته ، وأعلى معجزتها الكبرى الخالدة القرآن العظيم أبد الدهر إذ يقول الله تعالي في الإخبار عن ذلك (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً)[١٠٧] .

فوعده على سبيل الإخبار بأنه معجزة خالدة باقية على مر الدهور ، والأزمان يعجز الخلق جميعاً إنسهم ، وجنهم عن أن يأتوا بمثله ، فهو خالد بخلود رسالته ، عظيم بعظم منزله ، باق ببقاء هذه الرسالة الخاتمة .

(١٠٧) الإسراء ٨٨ .

ومما قدمنا يظهر أن هذه الآيات الكريمة التي هي موضع بحثنا هذا خالية من معنى العتاب لرسول الله ﷺ.

آيات توجيه وتربية وتعليم لاعتاب فيها

ويظهر - أيضًا - أنها بالنسبة له - ﷺ - على أقصى ما يمكن أن تحمل عليه في حقه - ﷺ - أنها من باب التربية ، والتعليم ، والتوجيه لرسول الله ﷺ ، وتحذيره من المشركين ، ومن كيدهم .

وقد حذره الله عز وجل منهم ، ومن اليهود ،ومن المنافقين في مواطن كثيرة من القرآن الكريم ، ولم يقل أحد من أهل العلم بالقرآن أن تحذيره - ﷺ - من هؤلاء عتاب له .

تحذيره من اليهود

فمن تحذير الله عز وجل له من اليهود قوله تعالى (وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون)(١٠٨).

تحذيره من المنافقين

وقال في تحذيره - ﷺ - من المنافقين : (هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أن يؤفكون)(١٠٩)

ومن تحذيره من المشركين والكافرين

وحذره من المشركين فقال : (وأن أقم وجهك للدين حنيفا ولاتكونن من المشركين)(١١٠).

---

(١٠٨) المائدة ٤٩ .

(١٠٩) المنافقون ٤ .

(١١٠) يونس ١٠٥ .

وقال : (فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً)[١١١] إذ النهي هنا مراد به التحذير كما في قوله (فأصبر لحكم ربك ولاتطع منهم آثماً أو كفوراً)[١١٢] .

تحذيره من الكافرين والمنافقين معا

ومثله تحذيره بأسلوب النهي عن طاعة الكافرين والمنافقين ، وأمره بأن لايعبأ بأذاهم ، ولايكترث به وأن يتوكل على الله ، ويستمر في دعوته ، وتبليغ رسالته ، ويعرض عما يؤذونه به من الأقوال والأفعال حتى يقيم عليهم حجة الله الذي يكفيه شرهم ، ويمنعه منهم ، وينصره عليهم حيث قال : (ولاتطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفي بالله وكيلاً)[١١٣] .

وهذا كله من باب تعليمه – ﷺ – وتربيته ، وتنبيهه، وبيان أعدائه له بكشف دسائسهم له ، وإظهاره على فساد قلوبهم ، وحقدهم عليه ، وعلى دعوته ، ليصرف همه ، وحبه الكريم عنهم ، ولئلا تتعلق نفسه الكريمة ، وقلبه الرحيم بحب اهتدائهم ، وهم في الواقع ليسوا أهلاً لذلك التعلق منه ، ولذلك عزاه الله عنهم ، وسلاه ، فقال : (إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل)[١١٤] ، وقال : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين . وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين)[١١٥]

---

(١١١) الفرقان ٥٢ .
(١١٢) الانسان ٢٤ .
(١١٣) الأحزاب ٤٨ .
(١١٤) النحل ٣٧ .
(١١٥) يوسف ١٠٣ - ١٠٤ .

وقال : (وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين)(١١٦) .

وأما ادعاء العتاب بها ، فيعني - والعياذ بالله من ذلك - إلصاقُ الركون برسول الله - ﷺ - إذ لاوجه للقول به إلا على ذلك ، وحاشاه عليه الصلاة والسلام من شيء من ذلك كله .

تبرئة الإمام ابن قيم الجوزية لرسول الله ﷺ من الركون إلى المشركين بذرة من قلبه

وقد دفع العلامة المحقق ابن قيم الجوزية في كتابه مدارج السالكين - دعوى زعم الركون إليهم الذي لو قع منه - وحاشاه من ذلك - لكانت العقوبة المضاعفة التي ورد التهديد بها في قوله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئًا قليلاً . إذًا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لاتجد لك علينا نصيرًا) ، وفي قوله (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)(١١٧) فقال - رحمه الله - في دفعه لذلك عن رسول الله ﷺ ، وإنكاره له ، وتبرئته منه ظاهرًا ، وباطنًا ، قال : « وقد أعاذه الله من الركون إلى أعدائه بذرة من قلبه ، ومن التقول عليه سبحانه » (١١٨) .

وقد ذكر القسطلاني (١١٩) عبارة ابن قيم الجوزية هذه بألفاظها

---

(١١٦) الأنفال ٦٢ .

(١١٧) الحاقة ٤٤ - ٤٦ .

(١١٨) مدارج السالكين بين منازل « إياك نعبد وإياك نستعين » لابن قيم الجوزية ٣٣٣/١ بتحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية عام ١٣٧٥هـ .

(١١٩) هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (٨٥١ - ٩٢٣هـ) القسطلاني من علماء الحديث مولده ووفاته بالقاهرة فهرس الفهارس للكتاني ٩٦٧/٢ ، الاعلام٢٣٢/١ .

من بركة العلم نسبة القول إلى قائله

تعليقًا على هذه الآية الكريمة – أيضا – في كتابه « المواهب اللدنية بالمنح المحمدية »[(١٢٠)] ، ولم ينسبها إليه – رحمهما الله تعالى – مع ما في نسبة القول إلى قائله من الخير ، البركة ، فقد قال أبو عمر ابن عبد البر رحمه الله في جامع بيان العلم وفضله : « إن من بركة العلم أن تضيف الشيء إلى قائله »[(١٢١)] .

وبعد فهذا ما يسر الله لنا من الكشف عن بيان معنى خطاب الله تعالى لرسوله – ﷺ – بهذه الآيات الكريمة التي سألني عنها ذلك السائل الذي أشرت إلى قصة سؤاله إياي في مفتتح بحثي هذا ، وأرجو الله تعالي أن أكون قد وفقت في بيان ما أردت ، وإيضاح ما قصدت لأولى الألباب ، والتقي الذين يعرفون ما لرسول الله ﷺ من قدر عظيم عند الله عز وجل ، وماله من حق التوقير ، والتعزير ، وخالص الإيمان به ، والاتباع له ، والتبرئة له من كل ما يغض من منصبه الشريف ، ومكانه المنيف .

والله الهادي إلى سواء السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل .

ومن هنا أنتقل إلى الشق الثاني من الكلام في بيان ما يتعلق بهذه الآيات في الباب الثاني من بحثي هذا .

وهو الكلام على ماقيل إنه كان سببًا لنزولها .

---

(١٢٠) شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٢٧٧/٦ .

(١٢١) جامع بيان العلم وفضله ١٠٩/٢ .

الباب الثاني
ما قيل في اسباب نزول هذه الايات
وردنا عليه

الباب الثاني

ما قيل في أسباب نزول هذه الآيات وردنا عليه

قدمنا في الباب الأول الكلام على ما يتعلق بتفسير الآيات الكريمة التي نصب هذا البحث لبيان معنى خطاب رسول الله ﷺ بها في سباقها ، وسياقها ، وفي حيز ما علم حقًا من إخلاص رسول الله ﷺ في طاعته لربه ، وتقواه له ، ومبالغته في تبليغ شرعه ، وحرصه الشديد على إيمان أمته ، وبعده ظاهرًا ، وباطنًا عن جميع أمور الجاهلية ، وتنزيه الله له منها قبل النبوة ، وبعدها .

ووفاءً بما وعدنا به في صدر بحثنا هذا من استعراض ما ورد في من الأقوال في أسباب نزول هذه الآيات من روايات ، وتميمًا للكلام في بحثنا في معنى الخطاب بها نبدأ الآن في عرض هذه الروايات التي قيل : إنها كانت سببًا لنزولها ، وامتلأت كتب التفسير بالمأثور ، والشبيهة بها من كتب التفسير المازجة بين الرواية ، والدراية ، وكتب أسباب النزول بمثل هذه الأقوال ، فَتَلَقَّفَهَا أعداء الله ، ورسوله ، وأخذوا يطعنون بها على رسول الله – ﷺ – حتى تَقَحَّمَ بعض قاصري النظر ، وضعيفو الفكر الكلام في الخروج بالخطاب بهذه الآيات الكريمة إلى توهمات ، وتخرصات ، وتقولات ما كان لهم ، ولا لغيرهم من العقلاء أن ينسبوا إلى رسول الله – ﷺ – شيئًا مما نسبوه إليه في هذه الأقوال التي زعموا أنها هي أسباب نزول هذه الآيات ولا ممازعموه في تلك الأسباب من أقوال ، وأعمال يأنف أحدهم أن ينسب إليه شيء منها ، فضلا عن أن ينسب إلى

المعصوم – ﷺ – الذي قال الله تعالى في تزكيته ، وتصديقه في رسالته وتنزيهه : (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى)[١] ، وقال (ولو تقول علينا بعض الأقاويل . لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنا منه الوتين . فما منكم من أحد عنه حاجزين)[٢] .

ونهجنا في تناول هذه الأقوال أن نعرض هذه الروايات التي قيل إنها كانت سبب نزول هذه الآيات ، ثم نكر عليها بسيف الفكر ، والعلم ، والحق ، فنزنها سنداً ، ومتناً ، رواية ودرايةً على ميزان أهل الحق ، والمعرفة من حذاق العلم بالرواية ، والدراية ، أصحاب الحديث الذين هم « حفظة الدين ، وخزنته ، وأوعية العلم ، وحملته »[٣] ، و « أصحاب الحديث (هم) المأمونون على الدين »[٤] الذين « ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين »[٥] فأقول معتمداً على الله عز وجل ، ومستمداً منه العون وأسأله التوفيق والسداد :

إن ما ورد في أسباب نزول هذه الآيات ينسب كيدودة الفتنة المذكورة فيها مرة إلى قريش ، وينسبها أخرى إلى ثقيف .

ثم تختلف الروايات في موضوع ما طلبته قريش – فيما يزعم فيها –

---

(١) النجم ٣ ، ٤ .
(٢) الحاقة ٤٤ - ٤٧ .
(٣) شرف أصحاب الحديث ص٩ .
(٤) شرح طرح التثريب ٦/٢٠١ .
(٥) شرف اصحاب الحديث ٢٨ .

إختلاف الروايات في موضوع ماطلبته قريش من رسول الله ﷺ

من رسول الله ﷺ ، فرواية تذكر أنهم طلبوا منه أن يتمسح بآلهتهم ، أو أن يلم بها ، أي يأتيها أو أن يستلمها .

وهذه تروى عن ابن عباس ، وجابر رضي الله عنهما ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومجاهد ، وابن شهاب رحمهم الله تعالي .

ورواية تذكر أنهم طلبوا منه أن يطرد الذين آمنوا به ، واتبعوه على ماجاء به من عند ربه من سقاط الناس ، ومواليهم كما كان المشركون يسمونهم .

وهناك رواية أخرى تذكر أن هذه الآيات – التي هي موضوع بحثنا هذا – نزلت في قريش بسبب قصة الغرانيق .

وهذا القول ينسب إلى محمد بن كعب القرظي .

ماقيل من أن سبب نزولها هو ماطلبته ثقيف

وأما ثقيف فينسب إليهم في هذه الروايات التي زعم أنها كانت سببًا لنزول هذه الآيات أنهم طلبوا من رسول الله ﷺ أن يؤجل دخولهم في الإسلام سنة ليمتّعهم بعبادة اللات ، وأن يحرم واديهم : شجره ، وطيره ، ووحشه كما حرم مكة.

وهذا القول يروى في روايات أسباب النزول عن ابن عباس أيضًا .

ماقيل أن سبب نزولها ماطلبته قريش من رسول الله ﷺ

أما ما يروى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – من أن قريشًا طلبوا من رسول الله ﷺ أن يستلم آلهتهم فعزاه السيوطي في الدر المنثور في التفسير بالمأثور إلي ابن اسحاق ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه بدون إسناد ، فقال : « أخرج ابن اسحاق ، وابن أبي حاتم ، وابن مردويه عن ابن

عباس قال : إن أمية بن خلف[٦] وأبا جهل بن هشام [٧] ، ورجالاً من قريش أتوا رسول الله ﷺ فقالوا : تعال ، فاستلم آلهتنا ، وندخل معك في دينك ، وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه فراق قومه ، ويحب إسلامهم فَرَقٌ لهم ، فأنزل الله (وإن كادوا ليفتنونك ..) الآية إلى قوله (نصيراً)[٨].

وذكر السيوطي – أيضاً – هذه الرواية معزوة إليهم في كتابه « لباب النقول في أسباب النزول » ببعض الاختلاف في ألفاظها فقال : « اخرج ابن مردويه ، وابن أبي حاتم من طريق (ابن [٩]) اسحاق عن محمد بن

(٦) هو أمية بن خلف بن وهب بن حذافة الجمحي ، كان شريفاً في قومه ، ومن ذوي الأسنان فيهم . وقد كان من رؤوس الكفر والطغيان في مكة ، ومن أشد الناس عداوةً ، وإيذاءً لرسول الله ﷺ ، ولأصحابه . وقد قتل يوم بدر كافراً .
سيرة ابن هشام ١/٣٣٩ - ٣٤٠ ، ٣٥٥ ، ٣٧٩ ، ٣٨٦ ، ٤٢٣ ، المنمق في أخبار قريش ٤١٢ ، جمهرة النسب للكلبي ٩٥ ، الكامل لابن الاثير ٢/٤٩ .

(٧) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ، كان من أشراف قومه ، وذوي الرياسة فيهم . وكان من أشد الناس إيذاءً لرسول الله ﷺ ، ولأصحابه واستهزاءً بهم ، وكان فاحشاً خبيثاً .
وكان مع شدة عداوته وبغضه لرسول الله ﷺ يهاب رسول الله ، ويخافه خوفاً شديداً .
كنيته أبو الحكم ، فسمّضاه المسلمون « أبا جهل » قال حسان بن ثابت :
سماه معشرة أباحكَم * والله سماه أبا جهل
قتل يوم بدر كافراً . سيرة ابن هشام ١/٢٧٧ ، ٣١٢ ، ٣١٨، ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٧١، ٤١٦، ٤١٧، ٢/١٦، ١٠٠، ٢٧٦، ٢٧٧، ديوان حسان بن ثابت ١٠٦ ، الاشتقاق لابن دريد ١٤٧ - ١٤٨

(٨) الدر المنثور ٥/٣١٨

(٩) في المطبوع « اسحاق » بدون لفظ « ابن » والصحيح اثباتها كما أثبتها في الدر المنثور ٥/٣١٨ ، وكما اثبتها غيره من المفسرين .

أبي محمد عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خرج أمية ابن خلف ، وأبو جهل بن هشام ، ورجال من قريش ، فأتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا محمد تعال تَمَسَّحْ بآلهتنا ، وندخل معك في دينك ، وكان يحب إسلام قومه ، فرق لهم ، فأنزل الله (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) إلى قوله (نصيرا) (١٠) .

ثم قال السيوطي تعقيبًا على هذه الرواية التي أوردها في لباب النقول : « قلت هذا آصح ما ورد في سبب نزولها ، وهو إسناد جيد ، وله شاهد » (١١) .

استشهاد السيوطي لما تزعمه هذه الرواية

ثم قال مستشهدًا لهذه الرواية : « أخرج أبو الشيخ عن سعيد بن جبير ، قال : كان رسول الله ﷺ يستلم الحجر ، فقالوا : لاندعك تستلم حتى تلم بآلهتنا ، فقال رسول الله ﷺ : وما عَلَيَّ لو فعلتُ ، والله يعلم مني خلافه ، فنزلت » (١٢) .

ثم قال السيوطي – أيضًا – معززًا هذه الرواية ، ومستشهدًا لها : « وأخرج (١٣) نحوه عن ابن شهاب » (١٤) .

وجه تقوية السيوطي لهذه الرواية

أخي القاريء الكريم ألا ترى معي كيف يجتهد السيوطي رحمه الله في محاولة إثبات هذه الرواية الخرقاء بما يلي :

---

(١٠) لباب النقول ١٣٩ .

(١١) لباب النقول ١٣٩ .

(١٢) نفس المصدر .

(١٣) أي أبو الشيخ .

(١٤) المصدر السابق .

أولاً : بالحكم على أن إسنادها إسناد جيد .

ثانيًا : بالاستشهاد لها بقول سعيد بن جبير .

ثالثًا : بتقوية ذلك بما أشار إليه من قول ابن شهاب في هذا الشأن من إخراج أبي الشيخ عنه .

تكثُّر في غير ماحاجةٍ إليه

وكل ذلك لا لشيء يدفع به عن رسول الله ﷺ قالة الظلم هذه التي تنطق بها هذه الرواية ، وتُنحِي به على رسول الله ﷺ ، ولا لتنزيه الساحة النبوية المطهرة من الطعن الخبيث عليها بالذي تَدْسَعُهُ هذه الفرية المسمومة ليعكرمنتحلها - بزعمه - بافترائه هذا على معنى تحقق العصمة من الله تعالى لرسوله - ﷺ - وحفظه عليه الصلاة والسلام من رجس الأصنام ، وعبادة الأوثان التي حماه الله تعالى من القرب منها قبل النبوة ، وبعدها ، ولا لشيء يشير إلى توثيق هذه الرواية ، أو يدعو إلى التمسك بها سوى الغرام ، والتكثر بِلَمِّ الروايات ، وجمع الأقاويل ، والجري في شوطها ، والتكثر منها دون النظر بوعي ، وترو فيما تحمله هذه الروايات ، والأقاويل من دغل في المحتوى ، وفساد في المعنى سنذكره فيما بعد إن شاء الله تعالي حين نتناول هذه الروايات بالنقد سندًا ، ومتنًا .

قول سعيد بن جبير

وقد أخرج الطبري بسنده قول سعيد بن جبير هذا بشيء من التفصيل في العبارة فقال : « حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القمي ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : كان رسول الله ﷺ يستلم الحجرَ الأسود فمنعته قريش ، وقالوا : لاندعه حتى يلم بآلهتنا فحدث نفسه ، وقال : ما

علي أن ألم بها [١٥] بعد أن يدعوني استلم الحجر ، والله يعلم أني لها كاره ، فأبى الله ، فأنزل الله (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك لتفتري علينا غيره) [١٦].

أثر مجاهد

وساق الطبري - أيضا - أثر مجاهد الذي بمعنى أثر سعيد بن جبير ، فقال : « حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : قالوا له : ائت آلهتنا فامسسها ، فذلك قوله (شيئاً قليلاً) [١٧] .

أثر ابن شهاب

وقد ذكر السيوطي رواية ابن شهاب التي أشار إليها في لباب النقول ، ذكرها في الدر المنثور في التفسير بالمأثور بألفاظها في تفسيره لهذا الآية ، وعزاها إلى ابن أبي حاتم ، ولم يذكر أبا الشيخ كما ذكره في لباب النقول ، فقال : « وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن شهاب ، قال : كان رسول الله ﷺ إذا طاف يقول له المشركون : استلم آلهتنا كي لاتضرك ، فكاد يفعل ، فأنز الله (وإن كادوا ليفتنونك) » [١٨] .

وقد ذكر السيوطي في الدر المنثور - أيضًا - الأثر المنسوب إلى جابر بعد القول الآنف الذكر المنسوب في الرواية إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - فقال : « وأخرج ابن مردويه من طريق الكلبي عن باذان ، عن جابر بن عبد الله مثله » [١٩] أي مثل القول المنسوب إلى ابن عباس في سبب نزول هذه الآية .

---

(١٥) أَلَمَّ بالشيء : قَرُبَ منه
(١٦) تفسير الطبري ١٥/١٣٠ .
(١٧) نفس المصدر السابق
(١٨) الدر المنثور ٥/٣١٨ .
(١٩) نفس المصدر السابق .

بطلان هذا القول والرد على السيوطي رواية

واستجواد السيوطي لإسناد الرواية السابقة المنسوبة إلى ابن عباس سببًا لنزول هذه الآية التي نحن بسبيل البحث في بيان المراد بالخطاب بها بقوله « .. وهو إسناد جيد ، وله شاهد »(٢٠) ثم استشهاده له بما أخرجه أبو الشيخ عن سعيد بن جبير ، وتعضيده في لباب النقول بالإشارة إلى قول ابن شهاب الذي صرح بألفاظه في كتابه الدر المنثور في التفسير بالمأثور يدل كل ذلك منه – عفا الله عنه – على قبوله لهذه القصة الظالمة ، والتسليم منه بأصل وقوعها من رسول الله ﷺ ، والتصديق – والعياذ بالله من ذلك – بأن لها ظلاً من الحقيقة ، وحاشا رسول الله ﷺ منها ، وهو المبرأ من الشرك ، وأهله .

ولا أجد وجها مقبولاً لتساهل السيوطي في حكمه على هذه الرواية المنسوبة إلى ابن عباس – رضي الله عنهما – بقوله فيها « وهو إسناد جيد ، وله شاهد » (٢١) ثم تعضيده لها بعد ذلك بما أورده بعدها من روايات في معناها .

وما كان لمسلم عاقل يعي أنه يتحدث بمثل هذا عن رسول الله ﷺ أن يجد شيئًا من ذلك أيضًا .

وذلك ، لأن هذه الرواية التي استجود السيوطي إسنادها هي من طريق محمد بن أبي محمد كما صرح السيوطي نفسه بذلك في كتابه لباب النقول الذي نقلنا منه هذه الرواية .

---

(٢٠) لباب النقول ١٣٩ .

(٢١) لباب النقول ١٣٩ .

ومحمد هذا هو « محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد بن ثابت »[٢٢] الذي قال فيه الذهبي – رحمه الله – في ميزان الاعتدال : « لايعرف »[٢٣]، ونقله عنه الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب[٢٤] ، ووصفه في تقريب التهذيب بأنه « مجهول »[٢٥] .

وهذا الوصف يعني أن هذا الراوي ، وهو هنا « محمد بن أبي محمد الأنصاري مولى زيد نب ثابت » مجهول العين لايحتج به ، إذ لم يرو عنه سوى راو واحد هو محمد بن اسحاق كما صرح بذلك الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب[٢٦] .

وإسناد هذا حاله ، ووصفه ، لايقبله أهل العلم بالحديث ، ولايحتجون بمثله ، ولايصح أن يوصف عند أهل المعرفة بعلوم الحديث بما وصفه به السيوطي أصلاً .

وبهذا يظهر بطلان هذه الرواية الظالمة ، وتسقط من دائرة الاعتبار ، ويصرف النظر عن الاشتغال بشيء منها .

ولعل هذا الاستجواد من السيوطي من باب سبق القلم ، أو من ند الفكر غير المقصود لما عرف عنه من المعرفة التامة بأحوال الرواة ، وما يعنيه إطلاق مثل هذه الأوصاف عليهم من تجريح لهم وطعن في الرواية عنهم .

---

(٢٢) تهذيب التهذيب ٩/٤٣٣ .

(٢٣) ميزان الاعتدال ٤/٢٦ .

(٢٤) تهذيب التهذيب ٩/٤٣٣ .

(٢٥) تقريب التهذيب ٢/٢٠٥ رقم الترجمة ٦٧٩ .

(٢٦) تهذيب التهذيب ٩/٤٣٣ .

ويؤيد هذا أننا لا نشك في اطلاعه يقينًا على كتب الذهبي ، والحافظ ابن حجر التي ورد فيها هذا الطعن على هذا الراوى .

بطلان القول المنسوب إلى سعيد ابن جبير سنداً

وأما ما أورده شاهداً لإسناد هذه الرواية وعزا إخراجه إلى أبي الشيخ عن سعيد بن جبير ، فقد ذكره بدون إسناد ، ولو ذكر إسناده فإنه – أيضًا – لن يسلم من النقد القويم ، إذ أنه في خاتمة المطاف قولٌ ضعيف ، لايعتد به ، ولايعتمد عليه ، لأنه من مقاطيع التابعين وهي لايحتج بها[٢٧] .

أحد حُذّاق الكذب

وقد ذكر الطبري – رحمه الله – إسناد هذا القول إلى سعيد بن جبير كما قدمنا إيراده آنفا نقلاً من كتابه في التفسير « جامع البيان عن تأويل آي القرآن » وهو فيه من رواية ابن حميد ، وهو محمد بن حميد بن حيان الرازي أحد حذاق الكذب ، كما وصفه بذلك صالح جزرة[٢٨] إذ قال : « ما رأيت أحدًا أحذق بالكذب من الشاذكوني [٢٩] وابن حميد »[٣٠] ، بل قال في وصفه له في موضع آخر : « ما رأيت أحدًا أجرأ على الله منه ، كان يأخذ أحاديث الناس ، فيقلب بعضه على بعض »[٣١] .

---

(٢٧) المقاطيع جمع للمقطوع ، « وهو ماجاء عن التابعين موقوفا عليهم من أقوالهم ، أو أفعالهم » ، التقييد والإيضاح ص ٦٦ .

(٢٨) هو الحافظ الثبت شيخ ماوراء النهر أبو علي صالح بن محمد الأسدي مولاهم (٢٠٥ – ٢٩٣) تذكرة الحفاظ ٦٤١/٢ .

(٢٩) هو سليمان بن داود المنقري المتوفي سنة ٢٣٤هـ قال فيه يحيى بن معين « كان الشاذكوني يضع الحديث » وكان ابن مهدي يسميه الخائب ، وقال البغوي : « رماه الأئمة بالكذب » وقال عباس العنبري : « مامات الشاذكوني حتى انسلخ من العلم انسلاخ الحية من قشرها » تاريخ بغداد ٤٠/٩ ـ ٤٨ ، لسان الميزان ٨٤/٣ ـ ٨٧ .

(٣٠) تذكرة الحفاظ ٤٩١/٢ .

(٣١) تهذيب التهذيب ١٢٩/٩ .

وقال أبو زرعة في بيانه لحال ابن حميد هذا ، والتحذير منه ، ومن مروياته : « كان يتعمد الكذب »(٣٢) .

وهذا يعني عند أهل العلم بالحديث اطراح مروياته ، وعدم قبولها ، وإخراجه من دائرة القبول ، والاعتبار ، بل إيراد مثل هذه الأباطيل عنه ، وعدها سببا لنزول شيء من القرآن تساهلٌ لا أجد له وجهًا مقبولاً البتة إلا التكثُّرَ الذي كان يجب الابتعادُ عنه ، والتحذير منه .

طعن المحدثين في المتهمين من الرواة من باب النصيحة للمؤمنين

والذي يظهر أن أهل العلم بالحديث كانوا يذكرون حال ابن حميد هذا في مجالسهم ليحذروا الناس من الاغترار به ، ويبعدوهم من الأخذ عنه من باب النصيحة للمؤمنين كما هو شأنهم في بيان حال من هو على شاكلته ، قال أبو نعيم بن عدي : « سمعت أبا حاتم في منزله ، وعنده ابن خراش ، وجماعة من مشايخ أهل الري ، وحفاظهم ، فذكروا ابن حميد ، فأجمعوا على أنه ضعيف الحديث جدًا ، وأنه يحدثُ بما لم يسمعه ، وأنه يأخذ أحاديث أهل البصرة ، والكوفة ، فيحدثُ بها عن الرازيين »(٣٣) .

ويوضح هذا ، ويؤيده ما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال في ترجمة هذا الرجل حيث قال : « قال أبو أحمد العسال : سمعت فضلك الرازي يقول : دخلت على محمد بن حميد ، وهو يركب الأسانيد على المتون »(٣٤) .

(٣٢) تهذيب التهذيب ٩/١٣٠.
(٣٣) تهذيب التهذيب ٩/١٣٠
(٣٤) ميزان الاعتدال ٣/٥٣٠ .

وقد قال كل من أبي زرعة ، ومحمد بن مسلم بن واره للإمام أحمد ابن حنبل حين اثنى علي ابن حميد هذا عندهما قالا له : « صَحَّ عندنا أنه يكذب »[٣٥] .

تبرؤ الإمام أحمد من ابن حميد راوي هذه القصة

فكان الإمام أحمد بعد ذلك إذا ذُكِرَ ابن حميد ينفض يده تَبَرُّؤًا منه ، قال صالح بن أحمد بن حنبل : « فرأيت أبي بعد ذلك إذا ذكر ابن حميد نفض يده »[٣٦] .

وقال أبو علي النيسابوري : « قلت لابن خزيمة : لو حَدَّثَ الأستاذُ عن محمد بن حميد ، فأن أحمد قد أحسن الثناء عليه.فقال: إنه لم يعرفه ، ولو عرفه كما عرفناه ما أثنى عليه أصلاً »[٣٧] . وقال النسائي : « ليس بثقة »[٣٨] وقال البخاري : « في حديثه نظر »[٣٩] .

وقد نبه ابن كثير في كتابه اختصار علوم الحديث إلى أن هذا اصطلاح للبخاري ، وهو عنده « في أدنى المنازل وأردئها »[٤٠]

وذكر السخاوي في فتح المغيث أن البخاري إنما يقول هذا « فيمن تركوا حديثه »[٤١] .

---

(٣٥) المجروحين ٣٠٤/٢ .

(٣٦) نفس المصدر

(٣٧) تهذيب التهذيب ١٣١/٩ ، وميزان الاعتدال ٥٣٠/٣ .

(٣٨) تهذيب التهذيب ١٢٩/٩ .

(٣٩) نفس المصدر .

(٤٠) شرح اختصار علوم الحديث ١٠٦ .

(٤١) فتح المغيث ٣٤٤/١ .

وجه الجمع بين قول من كَذَّبَ محمد بن حميد وبين من أثنى عليه أو كَذَّبَهُ مرة وذكر مايشعر بعلو إسناده أخرى

ومن أثنى على ابن حميد هذا من العلماء ، فإمّا لأنه لم يعرفه بعد ، كما في اعتذار ابن خزيمة عن الإمام أحمد ، أو أنه إنما ذكره لعلو الإسناد (٤٢) من طريقه كما في قول أبي زرعة : « من فاته محمد بن حميد يحتاج أن ينزل في عشرة آلاف حديث » (٤٣) دون قصد التعديل ، أو التجريح لرواتها ، ولاالتصحيح لمتونها ، إذ قد « كذبه أبو زرعة » (٤٤) هذا نفسه ، وقد مر بنا آنفًا قوله فيه هو ، وابن واره للإمام أحمد « صح عندنا أنه يكذب » .

ولايعقل أن يكذبه ، ويشهد عليه هو ، وغيره بالكذب عند الإمام أحمد ، ثم يحث على الرواية عنه بتنديم من فاتته الرواية عنه إلى أنه يحتاج أن ينزل في عشرة آلاف حديث .

ولاشك – عندي – في أن موجب اختلاف قولي أبي زرعة فيه إنما هو بسبب السؤال عما كان عند ابن حميد من الإسناد العالي ، وليس من باب الثناء عليه ولا التوثيق له على عادة المحدثين في اختلاف ألفاظهم التي

---

(٤٢) علو الإسناد : الاسناد العالي هو ماقل عدد رجال السند فيه بالنسبة إلى سند آخر يورد به ذلك الحديث بعينه ، فإن انتهى السند إلى النبي ﷺ فهو العلو المطلق ، وإن انتهى إلى إمام من أئمة الحديث المشهورين فهو العلو النسبي
قال الحافظ ابن حجر : « وقد عظمت رغبة المتأخرين فيه حتى غلب ذلك على كثير منهم ، بحيث أهملوا الاشتغال بما هو أهم منه » شرح نخبة الفكر ص ٣١
وقال الذهبي « متى رأيت المحدث يفرح بعوالي هؤلاء ، فاعلم أنه عامي » تدريب الراوي ٣٦٠.

(٤٣) ميزان الاعتدال ٣/٥٣١ ، وتهذيب التهذيب ٩/١٢٨ .

(٤٤) ميزان الاعتدال ٣/ ٥٣٠ .

تصدر منهم في وصف حال الرجل الواحد تبعًا لحال سؤالهم عنه .

وقد أفاد بعادة المحدثين هذه أبو الوليد الباجي في كتابه « التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح » إذ ذكر نبذًا من اختلاف أقوال بعض أعيان النقاد ، الرجل الواحد منهم في الرجل الواحد من الرواة ، فقال : « واعلم أن موجب ذلك اختلاف السؤال »[(٤٥)] .

وقال أيضًا « فهذا كله يدل على أنَّ ألفاظهم في ذلك تصدر على حسب السؤال ، وتختلف بحسب ذلك »[(٤٦)] ، وقال – أيضًا – : « فعلى هذا يحملُ ألفاظ الجرح ، والتعديل من فهم أقوالهم ، وأغراضهم ولايكون ذلك إلا لمن كان من أهل الصناعة والعلم بهذا الشأن ، وأما من لم يعلم ذلك ، وليس عنده من أحوال المحدثين إلا ما يأخذه من ألفاظ أهل الجرح ، والتعديل ، فإنه لايمكنه تنزيل الألفاظ هذا التنزيل ، ولا اعتبارها بشيء مما ذكرنا ، وإنما يتبع في ذلك ظاهر ألفاظهم فيما وقع الاتفاق عليه ، ويقف عند اختلافهم ، واختلاف عباراتهم »[(٤٧)] .

وهناك أمر ثالث يمكن توجيه قول من أثنى على هذا الرجل إليه ، وهو أن الثناء عليه من أحد منهم كان من باب الإشارة إلى كثرة المرويات وليس من باب تزكيته ، ولاتزكية مروياته .

ويرشح قولي هذا ، بل يؤيده ، ويقويه أن بعضًا من أهل العلم بهذا

(٤٥ - ٤٦) التعديل والتجريح ١/٢٨٧ .

(٤٧) نفس المصدر ٣٨٧ - ٣٨٨ .

الشأن كان يأخذ عنه ، ولكنه لايسمح لنفسه أن يحدث أحدًا بشيء مما يرويه عنه لما يعلمه في مروياته من الدغل ، والوضع ، والفساد ، فقد قال فضلك الرازي – وهو أبو بكر الفضل بن العباس الحافظ الناقد الثبت الثقة إمام عصره في معرفة الحديث[٤٨] فيما أورده عنه الإمام الذهبي في ميزان الاعتدال[٤٩] والحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب[٥٠] حيث قال : « عندي عن ابن حميد خمسون ألف حديث ، ولا أحدث عنه بحرف » [٥١] .

وقد ترك الرواية عنه – أيضًا – الإمامان الناقدان الجليلان أبو زرعة [٥٢] ، ومحمد بن مسلم بن وارة [٥٣] بعد أن كتبا عنه حديثًا كثيرًا [٥٤] .

وتحرجت نفس الإمام الذهبي من الاطمئنان إلى ما يأتي عنه من روايات ، فقال : « ووقع لنا حديثه عاليًا ، ولاتركن النفس إلى ما يأتي به » [٥٥] .

---

(٤٨) تاريخ بغداد ١٢/٣٦٧ ، ٣٦٨ ، طبقات الحفاظ ٢٦٨ .

(٤٩) ميزان الاعتدال ٣/٥٣٠ .

(٥٠) تهذيب التهذيب ٩/١٢٩ .

(٥١) المصدرين السابقين

(٥٢) أبو زرعة هو الإمام الجليل سيد الحفاظ عبيد الله بن عبد الكريم الرازي (٢٠٠- ٢٦٤هـ) كان إماماً ربانياً حافظاً متقنا مكثراً صادقاً . تاريخ بغداد ١٠/٣٢٦ - ٣٣٧ ، طبقات الحنابلة ١/٩٩ - ٢٠٣ ، سير أعلام النبلاء ١٣/٦٥ - ٨٥ .

(٥٣) هو محمد بن مسلم بن عثمان بن وارة الإمام الحافظ ، كان يضرب به المثل في الحفظ توفى سنة ٢٧٠هـ سير أعلام النبلاء ١٣/٢٨ - ٣٢ .

(٥٤) المصدر السابق ١١/٥٠٥ .

(٥٥) نفس المصدر .

تبرئة سعيد بن جبير من تبعة هذا القول الباطل

وبما قدمنا من أقوال أهل العلم بالحديث في هذا الرجل تسقط هذه الرواية ، وترد يقيناً ، ويظهر بطلانها ، بل لايجوز أن تنسب إلى سعيد بن جبير - رحمه الله - لما حكم به أهل العلم بالأثر على محمد بن حميد الرازي راوى هذا القول من الكذب في الحديث ، والجرأة على الله عز وجل أولاً ، ولما عُلمَ من تثبُّتِ سعيد بن جبير في الرواية ثانياً ، وحُسْنِ تدينه ثالثاً : وعظيم تعزيره وتوقيره لرسول الله ﷺ رابعاً ، وكمال عقله خامساً .

جَرْحُ أحد رواة الأثر يبطل قبوله كلياً

مانقلناه آنفا عن أهل العلم بالنقد من طعون في ابن حميد راوي هذا القول الذي يزعم فيه أن رسول الله ﷺ قال عن آلهة المشركين « ما عليَّ أن ألمَّ .. » كما سقناه عنه آنفا ، وما يسر الله لنا من فهم على الوجه الذي قدمناه في بيان المراد بالخطاب بهذه الآيات الكريمة ، وما شفعناه به من أقوال أهل العلم بالنقد من فهم في أقوالهم في هذا الرجل كافٍ لإسقاط هذه الرواية الظالمة ، وإبطالها ، والتطويح بها في مهاوي الريح ، ومهاب الأعاصير ، فلا نطيل بذكر الأقوال في جميع رواتها ، إذ أن جرح أحد رواة الأثر ، والطعن فيه هو - أيضًا - طعن في الأثر ذاته ، وإسقاط له من دائرة القبول من هذا الوجه كله .

تضعيف رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير

ونضيف - أيضا - إلى وهن هذا أن جعفر ابن أبي المغيرة الخزاعي القمي الذي يروى هذا القول عن سعيد بن جبير مباشرة هو الآخر متكلم في روايته عن سعيد بن جبير ، فقد قال ابن منده فيه : « ليس بالقوي في سعيد بن جبير »[٥٦] .

---

(٥٦) تهذيب التهذيب ٢/١٠٨ .

وهذا القول يعني الطعن في هذه الرواية أيضا في موضع آخر من إسنادها غير موضع ابن حميد مما يدل على عدم استقامتها من أصلها ، بيد أن الطعن في ابن حميد أقوى ، وأوجه في إبطال هذه الرواية الظالمة أصلاً .

بطلان رواية الكلبي في سبب نزول هذه الاية

وأما الرواية التي عن جابر بن عبد الله – رضي الله عنه – فهي من رواية الكلبي عن باذان كما صرح السيوطي بذلك ، فيما نقلناه عنه من الدر المنثور آنفاً .

وهذه الرواية باطلة ، لأنها مروية عن كذابين اثنين أحدهما باذان أبو صالح [٥٧] مولى أم هانئ بنت أبي طالب الذي حكم عليه أئمة النقد بالكذب في الرواية ، وبأنه « ليس بثقة »[٥٨] كما قال النسائي . وقال الجوزجاني : « إنه متروك »[٥٩] .

ونقل ابن الجوزي عن الأزدي أنه قال فيه : « كذاب »[٦٠] ، وقال ابن معين : « إذا روى عنه الكلبي فليس بشيء »[٦١] .

والكلبي هو الذي روى عنه هذا القول ، فيدخل في طعن ابن معين فيه هنا .

---

(٥٧) تهذيب الكمال ٤/٦ ، تهذيب التهذيب ١/٤١٦ .

(٥٨) تهذيب التهذيب ١/٤١٧ .

(٥٩) تهذيب التهذيب ١/٤١٧ .

(٦٠) نفس المصدر .

(٦١) نفس المصدر .

وقال ابن عدي ، في الكامل : « وباذام[٦٢] هذا عامة ما يرويه تفاسير .. وفي ذلك التفسير ما لم يتابعه أهل التفسير عليه ، ولم أعلم أحداً من المتقدمين رضيه »[٦٣] .

ولعل هذا – والله أعلم – لما علم من اعتراف باذان نفسه بأنه كان يكذب في الرواية ، يوضح هذا ، ويؤيده أن باذان قد اعترف صراحة لتلميذه الكلبي بأن كل ما حدثه به فهو كذب ، « قال ابن المديني عن القطان عن الثوري ، قال الكلبي : قال لي أبو صالح : كل ما حدثتك كذب »[٦٤] .

اعتراف باذان بالكذب في الرواية

ويشهد لهذا أنه قد ترك الحديث عنه كل من عبدالرحمن بن مهدي ، والإمام أحمد بن حنبل فيما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن عبد الله بن أحمد ابن حنبل ، قال : « سمعت أبي يقول كان عبد الرحمن بن مهدي ترك حديث أبي صالح باذام ، وكان في كتابي عن السدي عن أبي صالح فتركه ، ولم يحدثنا به »[٦٥] .

وأما الكذاب الآخر في إسناد هذه الرواية المنسوبة إلى جابربن عبد الله فهو الكلبي – وهو محمد بن السائب أبو النضر الكوفي[٦٦] الذي

اجتماع أهل العلم على ترك الرواية عن الكلبي

(٦٢) باذام هو نفسه باذان أبو صالح مولى أم هانيء بنت أبي طالب . تهذيب التهذيب ٤١٦/١

(٦٣) الكامل في ضعفاء الرجال ٥٠٤/٢ .

(٦٤) تهذيب التهذيب ٤١٧/١ ، المجروحين ٢٥٥/٢ .

(٦٥) الجرح والتعديل الجزء الأول ، القسم الأول ٤٣٢ .

(٦٦) تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ .

وصفه بالكذب في الرواية كل من سليمـان بن طرخان التيمي[٦٧] ، وليث بن أبي سليم[٦٨] والجوزجاني[٦٩] وابن حبان الذي قال فيه : « وضوح الكذب فيه أظهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفه »[٧٠] .

وقال أبو حاتم : « الناس مجتمعون على ترك حديثه ، لايشتغل به ، هو ذاهب الحديث »[٧١] .

بل « قد اتفق ثقات أهـل النقل على ذمه وترك الرواية عنه في الأحكام والفروع »[٧٢] .

وجه بطلان هذه الرواية

ومن هذا يظهر أن هـذه الرواية التي يرويهـا الكلبي عن باذان سببًا لنزول هذه الآيات التي نحن بسبيل البحث فيها رواية باطلة ، لاتصح ، بل قـد تكون هذه الرواية من الأحاديث الموضـوعة التي رواها الكلبي عن أبي صالح ، فقد قال فيه الحاكم أبو عبد الله : « روى (أي الكلبي) عن أبي صالح أحاديث موضوعة ».[٧٣]

وقد كان كل من باذان ، والكلبي يطعن أحدهما في الآخر ، فقد « حلف أبو صالح : أني لم أقرأ على الكلبي من التفسير شيئًا »[٧٤] .

(٦٧) تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ .
(٦٨) تهذيب التهذيب ١٧٨/٩ .
(٦٩) تهذيب التهذيب ١٨٠/٩ .
(٧٠) المجروحين ٢٥٥/٢ ، تهذيب التهذيب ١٨٠/٩ .
(٧١) الجرح والتعديل ٢٧١/٧ ، وتهذيب التهذيب ١٨٠/٩ .
(٧٢) تهذيب التهذيب ١٨١/٩ .
(٧٣) تهذيب التهذيب ١٨١/٩ .
(٧٤) الجرح والتعديل ٢٧١/٧ ، وتهذيب التهذيب ١٧٩/٩ .

اعتراف الكلبي باختلاق الرواية عن ابن عباس

و« قال أبو عاصم الضحاك بن مخلد النبيل ، قال : زعم لي سفيان الثوري ، قال : قال لنا الكلبي : ما حدثت عني ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس فهو كذب فلا تروه »(٧٥) .

وقوله هذا إعتراف صريح بعموم اختلاقه لجميع ما يرويه عن ابن عباس من طريق أبي صالح من تفسير وغيره ، وليس بعد الإقرار قولٌ لقائل .

ولاشك أن من كذب على ابن عباس في شيء فهو يكذب على من سواه من باب أولى .

مضمون هذه الرواية يدل على اختلاقها

ومعنى هذه الرواية التي يزعم أنها كانت سببًا لنزول هذه الآيات يصدق كذبه ، وتكذيبه لنفسه أيضًا ، إذ أن ماذكر فيها لايمكن أن يصدر من رسول الله ﷺ بحال ، ولا أن يخطر أبدًا له على بال .

تنبيه الإمام الشافعي على أن كثرة الروايات في التفسير عن ابن عباس لم تثبت

ولعل الإمام الشافعي - رحمة الله - كان يحذر من مثل هذه الافتراءات المبثوثة في التفسير عن ابن عباس - رضي الله عنهما - حين قال : « لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شَبِيهٌ بمائة حديث »(٧٦) .

وجه مايوجد من روايات للثقات عن ساقطي الرواية

ولايعني كون الكلبي هذا معروفًا بالتفسير ، أو أنه كان عالمًا بالتفسير ، وأنساب العرب ، وأحاديثهم أو أن ثقات من الناس حدثوا عنه ، ورضوه في التفسير أن يكون مقبول الرواية ما دامت روايته لم تتوفر فيها شروط القبول ، ولأن رواية الثقات عن الضعفاء ليست توثيقًا لهم ،

---

(٧٥) الجرح والتعديل ٢٧١/٧ ، تهذيب التهذيب ١٧٩/٩ - ١٨٠ .

(٧٦) مناقب الإمام الشافعي للبيهقي ٢٣/٢ .

بل قد يحكون حكايات الضعفاء من باب التنبيه عليها ، والتحذير منها ، أو من باب التعجب منهم ، ومن رواياتهم ، فيظن من حضرهم أنهم يقصدون الرواية عنهم ، مع أنهم لايقصدون ذلك ، فقد قال الإمام الحافظ الثقة الرباني زيد بن الحُباب [(٧٧)] : « سمعت سفيان الثوري يقول : عجبًا لمن يروى عن الكلبي ، قال ابن أبي حاتم فقلت لأبي : إن الثوري روى عنه . فقال : كان لايقصد الرواية عنه ، ويحكى حكايته تعجبًا ، فيعلقه من حضره ، ويجعلونه رواية عنه »[(٧٨)] .

وأيضًا فإن رضاهم عنه في التفسير لايدل على رضاهم ، وقبولهم لكل ما جاء عنه فيه ، ولا تسليمهم له بكل أقواله ، ورواياته فيه .

رد هذه الرواية المنسوبة إلى جابر تاريخياً

ومما ترد به هذه الرواية المنسوبة إلى جابر بن عبد الله –رضي الله عنه– أيضًا بعد أن ظهر لك بطلانها إسناداً أن هذه الآيات الكريمة التي يزعم أن هذه القصة كانت سببًا لنزولها هي آيات مكية على أصح الأقوال ، وأقواها كما سنذكر ذلك فيما بعد ، وجابر بن عبد الله – رضي الله عنه – مدني أنصاري خزرجي لم ير رسول الله ﷺ إلا مع أبيه – وكان صغيرًا – في السنة الثالثة عشرة من البعثة في بيعة العقبة الثانية « ليلة النفر الأول »[(٧٩)] من وسط أيام التشريق قبل الهجرة النبوية بشهرين وبضعة عشر يومًا ، فلا يعقل أن يروي مثل هذا الخبر ، إذ لم يحضر شيئًا مما كان يجري لرسول

---

(٧٧) سير أعلام النبلاء ٩/٣٩٣ .

(٧٨) الجرح والتعديل ٩/٢٧٠ ، وتهذيب التهذيب ٩/١٧٩ .

(٧٩) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٢٢١ .

الله ﷺ من أحداث في مكة قبل الهجرة .

الرد على مَالَوْ زَعَمَ زاعم أن جابراً سمع هذا من الصحابة المكيين

لايقال : إنه سمعه من غيره من الصحابة المكيين الذين عايشوا دعوة رسول ﷺ في مكة قبل الهجرة ، لأنا نقول : لو كان ذلك كذلك لرواه غيره منهم أيضًا ، وقد عاشوا مع رسول الله ﷺ ، ورووا ما شاهدوه ، وماعلموه وعايشوه من أحداث سيرة رسول الله ﷺ وجميع أحواله في دعوته إلى الله تعالي بمكة ، وفي غيرها ، وقد علموا تَنَزُّلات القرآن الكريم عليه في جميع أحواله وأوقاته ، وأماكنه حتى قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه – وقد كان سادس ستة ما على الأرض مسلم غيرهم [٨٠] – فيما أخرجه البخاري ، ومسلم في صحيحيهما عنه من طريق مسروق – واللفظ للبخاري – قال مسروق : قال عبد الله رضي الله عنه : « والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم أين أنزلت ، ولا أنزلت آيه من كتاب الله إلا أنا أعلم فيم نزلت ، لو أعلم أحدًا أعلم مني بكتاب الله تُبَلِّغُهُ [٨١] الإبِلُ لركبتُ إليه » [٨٢] .

إحاطة ابن مسعود بمعرفة نزول القرآن أغراضاً وزمانا ومكانا

وقال علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – وهو الذي قد تربى في بيت النبوة ، وكان أول الصبيان إسلامًا [٨٣] – قال فيما أخرجه أبو نعيم في الحلية من طريق سليمان الأحمسي عن أبيه عن علي رضي الله عنه

إحاطة علي بمعرفة تنزلات القرآن زماناً ومكاناً وموضوعاً

---

(٨٠) تهذيب الأسماء واللغات ٢٨٨/١ .

(٨١) في رواية الكشميهني « تُبَلِّغُنِيهِ » فتح الباري ٥٠/٩ .

(٨٢) صحيح البخاري ٢٣٠/٦ ، ومسلم ١٩١٣/٤ ، تفسير الطبري ٣٦/١ .

(٨٣) تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٥/١ .

قال : « والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت ، وأين أنزلت ، إن ربي وهب لي قلبًا عقولاً ، ولسان سؤولا » (٨٤) .

فلو كان ما زُعِم في هذه الرواية سببًا لنزول شيء من هذه الآيات الكريمة لذكره علي ، وابن مسعود - رضي الله عنهما - أو أحدهما ، أو غيرهما من الصحابة الذي عايشوا رسول الله ﷺ وظهور دعوته بمكة بعد الذي سمعت ، وقرأت من بالغ إحاطتهما بأماكن نزول سور القرآن الكريم وآياته ، وجليل علمهما التام بأغراض نزوله في الحوادث ، والوقائع البشرية .

وإذ لم يرد إطلاقًا عن أحد من أولئك الصحابة المكيين ذكر لشيء مما نسب إلى جابر ، وزعم أنه كان سببًا لنزول هذه الآيات في هذه الرواية ، ولا وردت إشارة من أحد منهم إلى شيء منه فلا يعقلُ أن يذكر هذا الصحابي الجليل أمرًا ينسبه إلى رسول الله ﷺ، وهو لم يشاهده بنفسه دون أن يذكر ، أو يسمي ، أو يشير إلى من سمعه منه ممن حضروا ذلك الأمر ، وحدثوه به فيما لو كان فإن تمام العقل ، ونضج الفكر ، واستقامة النظر ، وسلامة القلب ، وكمال صدق الإيمان يبعد رسول الله ﷺ عن الأصنام ، وبغضه البالغ التليد لها ليُري القول باختلاق هذه الرواية قولاً صحيحًا ، ووجهًا سليمًا يؤيد ما رُميَ به راويا هذا الخبال من الكذب في الرواية ، وتكذيب كل واحد منهما للاخر فيما يرويه عنه ، ويأبي الله تعالى إلا أن يجعل على الباطل دليلاً .

---

(٨٤) حلية الأولياء ١/٦٧ - ٦٨ ، الاتقان ٤/٢٠٤ .

المقاطيع لايقبلها أهل العلم بالحديث

وأما ما رواه السيوطي عن ابن شهاب ، فهو من المقاطيع التي لايحتج بها ، ولايصح الاعتماد عليها عند أهل العلم بالحديث ، بل لا أظنه يثبت عن ابن شهاب أصلاً ، ولو أن السيوطي ذكر إسناده إلى ابن شهاب لوجدنا فيه من الدغل في الإسناد ما وجدناه في الرواية المتقدمة عن سعيد .

ولا أُخلِي باذان ، والكلبي من سَيِّئِهِ بيد أن القطع بذلك يتوقف على الاطلاع على إسناده إلى ابن شهاب ، وهذا ما لم يتيسر لنا وجوده في الكتب التي بين أيدينا اليوم ، وفي جميع الأحوال هو من المقاطيع كما ذكرنا .

بين يدي نقد هذه الروايات دراية

ما قدمناه من الكلام آنفاً هو نقد هذه الروايات إسناداً ، وقد ظهر لك - أخي القارىء الكريم - أنها واردة عن كذابين اثنين ، وهذا كافٍ لإسقاطها ، وعدم قبولها ، بل كاف لإظهار أنه لايجوز الاشتغال بها إلا على وجه التحذير منها ببيان فسادها وكشف زيفها ، وإظهار باطلها ، ولكن وجود مثل هذه الروايات في كتب التفسير ، وكتب أسباب النزول المعتبرة أضفى عليها مسحة القبول عند غير أهل الاختصاص ، وجعلها كما لو كانت صحيحة في نظرهم وفرض على الدارسين لهذه الكتب ، والمشتغلين بقراءتها والناظرين فيها ترديد هذه الروايات ، وحكايتها ، بل حمل إحسان الظن بالمنسوبة إليهم هذه الأقوال في هذه الروايات ، والتسليم بإمامتهم في العلم ، والفضل ، والتقي بعضاً من أهل العلم

إدخال هذه الروايات الباطلة في كتب التفسير فرض على الناس قراءتها

بالتفسير على تفسير ألفاظ ، وجمل هذه الآيات الكريمة بما ورد في هذه الروايات المكذوبة من معانٍ تنافي العصمة التي حفظ الله بها رسوله ﷺ من كل أعمال ، وأقوال الجاهلية ، ونَزَّهَهُ من أدرانها كما سأبين ذلك في كَرِّنا ، وإعلاننا الحرب على هذه الروايات ، وإبطال ما جاء فيها دراية فيما بعد إن شاء الله تعالى بعد أن أظهرنا آنفًا بطلانها ، وفسادها رواية وإسنادًا ، ولله الحمد والمنة .

خطر وجود مثل هذه الأكاذيب في الكتب المعتبرة عند المسلمين وبيان عذر ذكرها فيها

وقد فتح وجود مثل هذه الروايات الباطلة في كتبنا ، ومصادرنا الإسلامية الأصيلة باباً من الشر العريض دخل منه الدَغَلُ ، والفساد الفكري في قلوب ضعاف الإيمان ، ودَهْماءِ المسلمين ممن لم يحظوا بمعرفة حقائق العلوم الشرعية ، ولم يعرفوا مناهج البحث العلمي في علوم الحديث والأثر التي يُمَحِّصُ بها علماء الحديث والأثر مثل هذه المرويات روايةً ، ودراية بعد أن يثبتوها في مدوناتهم ، وأسفارهم العلمية كما هي لئلا يختلط مقبول الأسانيد بمرفوضها ، وصحيحُ الأخبار بموضوعاتها لمعرفتهم التامة آنذاك بالرواة ، والمتون .

ولَماَّ فشا الضعف العلمي بين المسلمين ، وضعفت معرفتهم بربهم ، وضعف عِلْمُهُمْ بأمور دينهم ، واشتغلوا بالزيوف عن حقائق الدين ، وَوَهَى ارتباطهم بسيرة رسول الله ﷺ استَغَلَّ أعداءُ الله ، ورسوله وجود هذه الروايات الباطلة ، وغيرها مما هو على شاكلتها في بطون مصادرنا الإسلامية الأولى في التفسير وغيره فجمحُوا إليها يشككون المسلمين في

دينهم ، وأمر رسولهم ، ﷺ – ويدعمون باطلهم وزيوفهم مغالطة ، وخبثًا ، ومكرًا بما تحمله مثل هذه الروايات المكذوبة الحاقدة المسطرة في مصادرنا من غض خبيث من مقام النبوة المطهرة ، المصونة من الله عز وجل ، فَيُسْقَطُ في أيدي ضعافِ العلم ، وقليلي المعرفة من غير أهل الاختصاص من أبناء المسلمين ، فيقعون من حيث لايعلمون فريسة تحت أيدي أولئك الحاقدين الماكرين الظالمين ، فيسيطرون على ضحاياهم فكرياً ، ويصبحون بعد ارتكاسهم فيما أوقعهم فيه أعداؤهم من مكائد إمّا عتاة حاقدين على الإسلام والمسلمين ، أو كفارًا خارجين عن حظيرة الإسلام ، وإما متشككين مذبذبين لايرجون لله وقارًا ، ولا يعرفون لرسول الله – ﷺ – مكانًا من الدين ولا مقدارًا .

ومن ثم يسهلُ على أعداء الله ورسوله سوقهم ، وإدخالهم في زمرة أعداء الإسلام ، والمسلمين ، فينقلبون من حماة إلى خصوم عتاة ، ومن أبناء مخلصين إلى أعداء ألداء حاقدين مهاجمين قد قلبوا للمسلمين ظهر المجن ، ورفعوا عليهم سوط الإحن.

ولذلك تمنى الخيارُ المخلصون من المسلمين في هذا الزمان وفي كل زمان ومكان أن لو لم تكن هذه الروايات الباطلة قد دخلت في أمهات كتب التفسير ، وأسباب النزول ، والدلائل ، والتاريخ ، وغيرها من كتب الإسلام لهول ما يرون ، وما يسمعون من الهجوم الجاحم على الإسلام ، ونبي الإسلام – ﷺ – وعلى المسلمين بسبب هذه الروايات ، وما تحمله

من الأقوال الساقطة المعاني الظالمة ، وما يرونه من قصور ، وضعف كثير من المسلمين اليوم عن رد هذه الهجمة الشرسة فكريًا ، وعلميًا وحضاريًا .

نقد هذه الروايات دراية

وقيا ما بواجب الدفاع عن الإسلام ، ورد الظلم عن رسول الله ﷺ ، ودفعه عن أهل الإيمان من هذه الثغرة التي يهاجم منها أعداء الله ، ورسوله بالطعن على رسول الله ﷺ، وعلى دين الله القويم نكر على هذه الروايات – أيضًا – لِنُبَيِّنَ بطلانها ، ونكشف زيفها دراية بعد أن بينا فيما مضى من بحثنا هذا بطلانها رواية وإسنادًا – وذلك بتوجيه النظر إلى مافي مبناها ، ومعناها من فساد المعنى ، وخبث المطوى ، وبالغ الافتراء على رسول الله ﷺ.

ووجه ذلك أنه قد جاء في الرواية التي رواها الطبري بإسناده في تفسيره منسوبة إلى سعيد بن جبير – وأوردناها فيما سبق – أن قريشًا قالوا : « لاندعه حتى يلم بآلهتنا .. » وأن رسول الله ﷺ فيما تزعم هذه الرواية « حدث نفسه ، وقال : ما علي أن ألم بها بعد أن يدعوني استلم الحجر ، والله يعمل أني لها كاره .. »

وهذا القول – كما ترى رعاك الله – يحمل بطلانه في أردانه ، وتنادي مبانيه بفساد معانيه ، وتشير مراميه إلى خبث ، وسوء مختلقيه . وإليك – ياأخي – كشف عوراته ، وفضح سوءاته من وجوه أهمها ما يلي :

وجوه بطلان هذه الروايات

الوجه الأول : أن استلام الحجر الأسود ليس شرطًا لصحة الطواف بالبيت ، ولا هو مما لا يكمل الطواف إلا به ، فلا معنى إذن لما تزعم هذه الرواية أن تشعر به من شدة تعلق رسول الله ﷺ باستلامه حين يطوف بالبيت آنذاك .

وهذا مما يدل على ضعف فكر مختلق هذه القصة وقلة معرفته بأحكام الطواف بالبيت حيث ظهر أن لا معنى لما زوق به كذبه ، وبهرج به بضاعته .

ويأبى الله عز وجل إلا أن يجعل على الباطل دليلاً يكشف به بهرجه ، ويبطل به زيفه ، ويقيم على الحق معالم تظهر شأنه ، وترفع قدره وتعمق جذوره في قلوب الكملة المنصفين .

اخلاص رسول الله ﷺ لدعوته ، وتصميمه على تبليغ رسالته

الوجه الثاني : أن ما يزعم في هذه الرواية من التردد ، ومحاولة إظهار غير مافي القلب من الإسرار ضعف ، وخور ، وخيانة ما كان لرسول الله ﷺ أن يهم بشيء من ذلك أبدًا ، وما كان ليخطر له على بال أبدًا ، بل يستحيل كل ذلك في حق رسول الله ﷺ ، فماضي حياته ، وتصرفاته في أقواله ، وأفعاله، وإصراره على مواجهة المشركين بما يكرهون في ذم آلهتهم ، وبغضه لها كل ذلك منه يكذب ما جاء في هذه الرواية من معنى ، فقد أبى ﷺ بإصرار منقطع النظير الكف عن عيب آلهتهم ، والزراية بها عليهم حين طلبوا ذلك منه ، واستنهوا عمه أبا طالب له ، وهددوه بمنازلتهما ، ومقاطعتهم له ، ولكل من يدفع عنه إن لم يكفه عنهم حتى يهلك أحد الفريقين منهم ، فقال - ﷺ - قوله العظيم الذي ماكان

ليخرج من قلب غير قلبه الطاهر الواثق بنصر الله له ، ولا ليجرُؤَ على التفوه به سواه ، قال عليه الصلاة والسلام في رده على عمه أبي طالب حين أبلغه ما يهدد ، ويتوعد به أولئك الكفرة الفجرة ، وهم في احتدام شديد ، وتحفز لشر مديد قال : « ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله ، أو أهلك فيه ما تركته » (٨٥) .

أخي القارىء الكريم ، فتح الله للحق قلبك ، وأضاء بالإيمان دربك ، وشنَّفَ بالخير سمعك هل يُعقَلُ أن لايكف رسول الله ﷺ عن عيب آلهتهم واحتقارها سراً ، وإعلانا في هذا الموقف العصيب في أول أمره بالدعوة ، ثم يهم بالإلمام بها على ما تزعم هذه الرواية الجائرة الهالكة ؟ !!

هل يتصور عاقل أن يأبي الأقل خطراً ، والأضعف قدراً ، ثم يقدم – والعياذ بالله وحاشاه من ذلك كله – على فعل الأعظم سوءاً ، والأشد عند الله ذنباً والأنكى من الله توعداً ، ووعيداً ؟!!

إن كل من له مسكة من عقل وشيء من دين لايشك في اختلاق هذه الرواية ، وفي أنها مكذوبة على سعيد بن جبير رحمه الله تعالى ، لأنه يعلم أنه لايجوز له ، ولا لغيره أن ينسب إلى رسول الله ﷺ شيئًا مما يزعم في هذه الرواية .

---

(٨٥) سيرة ابن هشام ٢٧٨/١

اصول الشريعة وقواعد الدعوة ومنهج السيرة يرد هذه الرواية

الوجه الثالث : من وجوه بطلان هذه الرواية دراية أن قوله فيها « فحدث نفسه » على افتراض ورودها جدلاً – عبارة مبهمة غير مبين فيها ماحدث نفسه به .

وتفسير هذا الإبهام بما ذكر بعده في سياق هذه الرواية من قول الراوي فيها « وقال : ما علي أن ألم بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر ، والله يعلم أني لها كاره » تفسير مردود ، مرفوض من وجهين اثنين :

الوجه الأول أن هذا التفسير ، والإيضاح المزعوم في سياق هذه الرواية وارد من غير المنسوب إليه الفعل ، أو القول فيها – على زعم وقوعها – إذ لم يرد عنه في سياقها ما يدل على تفوهه بشيء في مقابل قولهم « لاندعه حتى يلم بآلهتنا » .

وذلك أن حديث النفس أمر داخلي يجري بين الجوانح القلبيه ، وفي حنايا الفؤاد ، ودواخل النفس ، وخفايا الفكر .

وهذا كله أمر ذاتي لايطلع عليه أحد من الخلق سوى من دارت تلك الهواجس ، والأحاسيس في دخيلة نفسه فيما لو وقع ذلك منه جدلاً .

فليت شعري كيف اطلع ذلك الزاعم على ما يدور في خلد رسول الله ﷺ آنذاك فيما لو كان ذلك كذلك جدلاً ؟ ! .

ولاريب أنه ليس كذلك قطعًا ، بل كيف تجرأ ذلك الزاعم على أن ينسب مثل هذا القول الباطل إلى رسول الله ﷺ مع أن منطوق

الرواية – على افتراض وقوعها جدلاً – لم يصرح ، بل ولايشعر لا من قريب ، ولا من بعيد بشيء مما حدث نفسه به إن كان قد حدث نفسه ، ولم يرد لا من وجه صحيح ، ولا من وجه ضعيف بيانٌ منه ﷺ لما حدث نفسه به بخصوص هذا الشأن فيما لو كانت هذه القصة المزعومة قد وقعت جدلاً ، فكيف يزعم نسبة أمر إلى رسول الله ﷺ ، وهو لم يقله ، ولم يفعله ، بل إن أصول شريعته ، وقواعد دعوته ، ومنهج سيرته تمنع ذلك البتة ، وتقضي بفساده ، وقد أرسله الله لمحاربة الشرك بالله ، واجتثاثه من قلوب الناس ، وطمس معالمه من الأرض ؟ !!

تفسير الإجمال في الرواية بما يوافق استقامة رسول الله ﷺ في دعوته على التوحيد هو الأصل ، ولاشيء غيره

الوجه الثاني أن الإجمال في قوله « فحدث نفسه » يحتمل أن يفسر بأن رسول الله ﷺ حدث نفسه – على افتراض وقوع ذلك منه جدلاً – بدفع المشركين من طريقه بالقوة فيما لو منعوه من استلام الحجر الأسود .

ويحتمل أنه حدث نفسه بزجرهم ، والإغلاظ عليهم في القول ، أو أنه حدث نفسه بالبطش بهم ، أو أنه حدث نفسه بتحطيم أصنامهم التي كانوا يطلبون إليه – فيما تزعم الرواية – الإلمام بها .

وقد يكون حدث نفسه متألمًا مما ارتكست فيه عقول هؤلاء المشركين من سخف فكري ، وضعف عقلي أن يطلبوا إليه أن يفعل ما يمنعهم هو عنه ، ويعيبهم به ، وينهاهم عنه ، ويزري بهم لأجله .

أخي القارئ رعاك الله ، أليس كل هذا ، أو بعضه يمكن أن يرد على قلب رسول الله ﷺ آنذاك ، أو أن يكون محلاً لاجتهاده عليه الصلاة والسلام في ذلك الوقت ، أو في تلك الحال ليدفعهم عن نفسه فيما لو كان الأمر كذلك ؟ !

وإلا فهل يعقل أن يوافقهم على فعل ماينهاهم عنه ويرضيهم بإتيان ما بعثه الله تعالى لمحوه ؟ ويشاركهم - ولو ظاهرًا ، وحاشاه من كل ذلك - في فعل ما أرسله الله لزجرهم عنه ، وإبعادهم عنه ؟ فيهدم - وعوذًا له من ذلك - دعوته بيده ، ويبطل رسالته بفعله وقد قال ﷺ - فيما أخرجه الإمام مسلم ، والنسائي والإمام أحمد : « إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينذرهم شر ما يعلمه لهم » [(٨٦)] .

وإخلاص العبادة لله تعالى سرًا ، وعلنًا هو رأس خير ما يعلمه النبي ﷺ لأمته .

كره رسول الله للاصنام قبل النبوة وبعدها

وقد حفظ الله تعالى رسوله ﷺ من القرب من الأصنام منذ كان قبل النبوة ، وبغضها إليه حتى كان عليه الصلاة والسلام ينهي مولاه زيد بن حارثة عن أن يمس الأصنام التي كان يتمسح بها المشركون إذا طافوا بالبيت ، روي البيهقي - في الدلائل - بإسناده عن أسامة بن زيد ، عن زيد بن حارثة قال : « كان صنم من نحاس يقال له : إساف ، أو نائلة

---

(٨٦) صحيح مسلم ١٤٧٣/٣ ، سنن النسائي ١٥٣/٧ ، مسند أحمد ١٦١/٢ ، ١٩١ .

يتمسح به المشركون إذا طافوا . فطاف رسول الله ﷺ ، فطفت معه ، فلما مررت مسحت به ، فقال رسول الله ﷺ : لاتمسه : فقال زيد : فطفت ، فقلت في نفسي لأمسنه حتى أنظر ما يكون ، فمسحته ، فقال رسول الله ﷺ : ألم تنه ؟ » [(٨٧)] .

وفي رواية : « قال زيد فوالذي هو أكرمه ، وأنزل عليه الكتاب ما استلم صنماً حتى أكرمه الله بالذي أكرمه ، وأنزل عليه » [(٨٨)] .

بغضه ﷺ للأصنام بغض تليد وحفظ الله له منها مذكان

ويؤيد هذا المعنى أن بغضه ﷺ للأصنام بغض تليد في قلبه الطاهر ، فقد ذكر ابن اسحاق في السيرة النبوية أن رسول الله ﷺ قال لبحيرى الراهب لما خرج به عمه أبو طالب إلى الشام في تجارة له – وكان عمره ﷺ آنذاك اثنى عشر عاماً ، وقيل تسعة أعوام ، نقل السهيلي الأول عن الطبري ، والثاني عن بعض من ألف في السير [(٨٩)] – فدعاهم بحيرى لطعام صنعه لركب قريش ذاك ، وأخذ بحيرى يتفرس رسول الله ﷺ ، ويلحظه لحظاً شديداً ، وقد سأله بحق اللات ، والعزى ، على ماكانت تحلف به قريش ، فقال رسول الله ﷺ لبحيرى : « لاتسألني باللات والعزى شيئاً ، فو الله ما أبغضت شيئاً قط بغضهما » [(٩٠)] .

ولم يجبه رسول الله ﷺ عن شيء حتى سأله بحيرى بالله تعالى .

---

(٨٧) دلائل النبوة ٣٤/٢ .

(٨٨) نفس المصدر .

(٨٩) الروض الأنف ٢٠٦/١ .

(٩٠) سيرة ابن هشام ١٩٦/١ .

وهذا مما يدل على أن الله تعالي قد حفظه في صغره ، وفي شبابه من تعظيم الأصنام ، وحماه من قربها ، وطهر ساحته منها ، والله أعلم حيث يجعل رسالته .

فكيف يجرؤ بعد هذا أن يزعم زاعم من المسلمين أن رسول الله ﷺ كاد يلم بالأصنام في عهد نبوته ، وإبّان رسالته وقد أمره الله عز وجل بالنهي عنها ، والتحذير منها كما في قوله تعالى : (يا أيها المدثر قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر »[٩١] .

وأمره أن يعبده وحده مخلصًا له الدين ، ولايشرك به شيئًا فقال : « (قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصًا له الدين)[٩٢] ، (قل إني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعو وإليه مآب)[٩٣] .

وقد أمره بإعلان ذلك مناديًا به على رؤوس الأشهاد ، وأن يتبرأ من معبوداتهم على الوجه الذي أعلن فيهم دينه ، وتعبده لله وحده فقال : (قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين)[٩٤] .

ونهاه عن أن يعبد ما يدعون من دون الله فقال : (قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله)[٩٥] .

---

(٩١) المدثر ١ - ٥ .

(٩٢) الزمر ١١ .

(٩٣) الرعد ٣٦ .

(٩٤) يونس ١٠٤ .

(٩٥) الأنعام ٥٦ ، غافر ٦٦ .

ولما دعوه إلى عبادة آلهتهم تولى الله عز وجل الرد عليهم دونه من باب تعليمه وتعظيمه ، وتكريمه ، وإظهار دينه ، ونصره على أعدائه ، وعنفهم على ذلك ، وقرعهم ، وزجرهم أشد الزجر ، والتعنيف ، والتقريع ، ووصفهم بالجهل لأنهم لم يهتدوا لمعرفة الله تعالي ، لا بما بثه في هذا الكون العظيم من دلائل الوحدانية ، ولا بأتباعهم من بعد ذلك للرسول ﷺ الذي بعثه الله إليهم هاديًا ، ونذيراً فقال : (قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون)[٩٦] .

وتوعدهم ، هم وما يعبدون من دون الله من آلهة بالعذاب الشديد ، والرمي بهم جميعًافي جهنم نار الله الموقدة منبوذين فيها ، مهانين مخلدين فيها غير مخرجين منها ، فقال : (إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون)[٩٧] .

أقول أبعد هذا كله يزعم زاعم من المسلمين له مسكة من عقل وبقية من دين أن رسول الله ﷺ كاد يلم بآلهة المشركين لما دعوه إلى ذلك ؟؟!!

تزكية الله لِخُلُقِ رسوله ﷺ ، ودعوته وجميع منهجه

اللهم ارزقنا الهداية في التفكير ، والأدب في التعبير عن أفعال ، وأحوال رسولك البشير النذير سيد الأولين ، والآخرين ﷺ ، الذي زكيته بقولك الكريم (وإنك لعلى خلق عظيم)[٩٨] ، وزكيت دعوته إلى دينك

---

(٩٦) الزمر ٦٤ .

(٩٧) الأنبياء ٩٨ .

(٩٨) القلم ٤ .

القويم ، فقلت : (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) [٩٩] ، وزكيت منهجه في الدعوة إليك ، وما هو عليه من الهدى ، والدين ، فقلت : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم : صراط الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض) [١٠٠] .

وبما ذكرناه آنفًا يرد – أيضًا – على جميع ما جاء في الروايات التي من هذا القبيل ، الوبيل الوخيم الوبيء

الوجه الرابع من وجوه كشف عورات هذه الرواية الوخيمة ، وفضح سوءاتها ، وبيان فظاعتها أنها تنسب الكذب – والعياذ بالله – في القول ، والفعل إلى رسول الله ﷺ في زعمها أنه قال « ما علي أن ألم بها بعد أن يدعوني أستلم الحجر ، والله يعلم أني لها كاره » فتزعم هذه الرواية الجائرة ـ كما ترى يا أخي ـ أن رسول الله ﷺ يُظْهِرُ غير مايُبْطِنُ ، ويُسِرُّ غير مايعلن ، ويهم بفعل مانهاه الله عنه من قرب الالهة والأصنام التي كان المشركون يعبدونها من دون الله ، لِيُرضِيَ المشركين ـ بزعم هذه الرواية الكاذبة ـ بفعل الإشراك بالله ظاهراً ، وحاشا رسول الله ﷺ من شيء من ذلك كُلِّه .

ولاشك أن ماتزعمه هذه الرواية من الظلم ، والغواية أَمْرٌ لايَظُنُّ رَسُولَ الله ﷺ به أحدٌ من المؤمنين ، ولايجوز أن يخطر على قَلْبِ مؤمنٍ

---

(٩٩) المؤمنون ٧٣ .

(١٠٠) الشورى ٥٢ ـ ٥٣ .

بالله ورسوله ، ويستحيل مثل هذا في حقه ﷺ ؛ لأن الله عز وجل أرسله لهدم الشرك ، ومحوه ، والقضاء عليه ، وإظهار كلمة التوحيد قولاً ، وعملاً ، وإقراراً ، وهو ﷺ لايخالف فِعْلُهُ قَوْلَهُ ، ولا قَوْلُهُ فِعْلَهُ ، ولاسِرُّهُ عَلاَنِيَتَهُ ، ولاعَلاَنِيَتُهُ سِرَّهُ في حالٍ من الأحوال كما هو حال غيره من البشر الذين لم يعصمهم الله بالنبوة كما عصمه ولم يحفظهم من التَّلَوُّنِ ، والتَّغَيُّرِ من حالٍ إلى حالٍ كما حفظه فقد قال ﷺ ـ فيما أخرجه أبو داود (١٠١) والنسائي (١٠٢) : « إنَّهُ لاينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين » ، لإنه هو القدوة الحسنة لأمته في رسالته ، ودعوته ، وجميع أحواله ، وإذ لم تكن له ﷺ خائنة الأعين ، فكيف يَزْعُمُ زَاعِمٌ أنه كاد يصدر منه مايخون به دعوته ، ويُبْطِلُ رسالته ؟!!

مقام النبوة منزه عن كل أمور الجاهلية

وهل تُبْنَى الأحكامُ إلاَّ عَلَى الظاهر من الأقوال والأفعال ؟ وهل يكب الناس على وجوههم في النار إلا حصائد ألسنتهم ؟

إن مقام النبوة مقام عظيم ، وقدرها لايماثله ، بل لايقرب منه قدر مهما سما شأنه ، وعلا مقامه ، وما جبل الله عليه النبي ـ ﷺ ـ من عظيم المزايا وكريم السجايا ، وطهارة النفس ، والذات ، وسلامة القلب ، وكمال عَقْدِهِ على غاية الإخلاص لله عز وجل ، وغاية البعد عن الشرك ، وأهله لَيُوجِبُ على ذوي العقول السليمة ، والأنظار المستقيمة ، والقلوب

---

(١٠١) سنن أبي داود ٣/٥٩ ، ٤/١٢٨ .

(١٠٢) سنن النسائي ٧/١٠٦ .

المستنيرة أن لايُدخِلُوا في حسابهم ، وخطرات قلوبهم أُمُورَ رسولِ الله - ﷺ - في محيط المشركين من قومه ، لافي أقواله ، ولافي أفعاله ، ولا في عاداته ، ولا في حركاته ، ولافي سكناته ، ولا في أي تصرفٍ من تصرفاته ، بل ولافي خطرات قلبه الطاهر ، فإن الله عز وجل قد جعله - ﷺ - في كل أموره تطبيقاً عمليا ، وأنموذجاً حَياً للكمال البشري الذي أراده لصلاح وفلاح ، وفوز عباده المؤمنين وأَمَرَ الرَّاجِينَ الله تعالى ، واليوم الآخر بالتأسي العام المطلق به ﷺ ، فقال عز وجل : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)[١٠٣] .

وقد شهد الله عز وجل لرسوله محمدٍ - ﷺ - بأسلوب القسم المؤكد بأنه - ﷺ - يهدي إلى صراط الله المستقيم : صراط الله عز وجل فقال : (وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له مافي السماوات وما في الأرض)[١٠٤]

ومن كان هذا حاله ، وشأنه عند الله ، فإنه - ولاريب - يستحيل في حقه ماتزعمه هذه الرواية الكاذبة .

ولم يبق إلا أن نقول : صَدَقَ اللّهُ ، وَوَفَّى رسوله ﷺ ، وكَذَبَ أعداءُ الله ورسوله .

---

(١٠٣) الأحزاب ٢١ .

(١٠٤) الشورى ٥٢ ، ٥٣ .

فساد معنى رواية مجاهد

وأما مايرويه الطبري بإسناده عن مجاهد في الرواية التي سقناها سابقاً من أنه فسر قول الله تعالى (شيئاً قليلا) الوارد في هذه الآية التي هي موضع هذ ا البحث بقولهم فيما تزعم هذه الرواية ـ لرسول الله ﷺ : « ائت آلهتنا فامسسها » فإن هذه الرواية ، وإن لم تنسب في عبارتها إلى رسول ﷺ شيئا مما طلبه المشركون منه ، فإنها ـ أيضاً ـ تحمل في طياتها ، وفحواها ماتحمله تلك الروايات .

إتيان الأصنام إشراك بالله وكفر به

وهذا التفسير مردود ، وباطل شرعا . لايقبل ، إذ أن إتيان الاصنام ، ومسها تعظيم لها ، وإقرار التمسح بها إشراك بالله تعالى وكفر به ، فكيف يكون شيئا قليلا ؟! وقد أخبر الله في محكم كتابه بأن الشرك ظلم عظيم ، فقال في بيان ذلك للتحذير ، والتنفير منه : (وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم) [١٠٥] .

هذا من جهة بطلان ، وفساد معنى هذه الرواية دراية ، وهو ـ كما ترى ـ كاف لطرحها والتبرؤ منها .

وجه بطلان هذه الرواية سنداً

وهذه الرواية باطلة ايضاً إسناداً ، فإنها من طريق الحسين عن حجاج عن ابن جريج عن مجاهد وهو الحسين بن داود المصيصي ، ولقبه سنيد [١٠٦] وقد ضعفه أبو حاتم [١٠٧] ، وقال النسائي : « ليس بثقة » [١٠٨] .

---

(١٠٥) سورة لقمان ١٣ .

(١٠٦) تهذيب التهذيب ٢٤٤/٤ ، تاريخ بغداد ٤٢/٨ .

(١٠٧) نفس المرجع .

(١٠٨) نفس المرجع وتاريخ بغداد ٤٣/٨ .

وذمه الإمام أحمد بن حنبل لما كان يقوله لحجاج بن محمد المصيصي ، وهو يسمع منه كتاب « الجامع » لابن جريج ، وفيه يقول ابن جريج : « أخبرت عن الزهري وأخبرت عن صفوان بن سليم » فيقول سنيد هذا لشيخه حجاج ياأبا محمد قل : ابن جريج عن الزهري وابن جريج عن صفوان بن سليم فكان حجاج يقول له ذلك ، « قال عبد الله بن أحمد عن أبيه : رأيت سنيدا عند حجاج بن محمد ، وهو يسمع منه كتاب الجامع لابن جريج ، أخبرت عن الزهري ، وأخبرت عن صفوان بن سليم وغير ذلك ، قال : فجعل سنيد يقول لحجاج ياأبا محمد قل : ابن جريج عن الزهري وابن جريج عن صفوان بن سليم ، قال فكان يقول له هكذا ، قال : ولم يحمده أبي فيما رآه يصنع بحجاج ، وذمه على ذلك » (١٠٩)

تلقين سنيد لحجاج ابن محمد المصيصي

وجه ذم سنيد بفعله هذا

ووجه ذم سنيد بهذا الكلام أن ابن جريج لم يصرح في كتابه « الجامع بمن حدثه عن الزهري ولابمن حدثه عن صفوان فيما يذكره فيه عنهما من أقوال ، فالرواية فيه عنهما على هذا رواية عن مجهول ، منقطعة لقوله فيما يعزوه إلى كل منهما « أُخْبِرْتُ عن » ببناء الفعل للمجهول . فأراد سنيد أن يحمل حجاج بن محمد الذي يروي كتاب الجامع عن شيخه ابن جريج على الكذب بتغيير قول ابن جريج في كتابه « أخبرت عن » إلى التصريح بالحديث عن الزهري ، وعن صفوان بن سليم ، ليجعل رواية ابن جريج - في كتابه الجامع - عن كل من هذين الرجلين رواية

---

(١٠٩) تهذيب التهذيب ٤/٢٤٤ .

متصلة بالعنعنة - وابن جريج أخذ في غير هذا الموضع عن كل منهما - ليوهم بفعله ذلك أن ابن جريج قد تلقى مايذكره في كتابه الجامع عن كل منهما ، والأمر ليس كذلك .

وجوب احترام كتب أهل العلم وعدم التلاعب بها

وهذا غش في الرواية ، وكذب لايحل وجرأة على كتب العلماء باللعب فيها ، وصرفها عما وضعها عليه مؤلفوها .

ولاخيانة أشنع من فعل مثل هذا الخبال .

حاصل رد هذه الرواية

ورجل مثل هذا لايقبل أهل العلم روايته للطعن في عدالته كما في قول النسائي فيه ولتضعيف أبي حاتم له ، وذم الإمام أحمد له على الوجه الذي أوردناه آنفاً .

صفاء النبوة ونزاهتها مقدم على كل قول من أقوال الناس مهما كانوا

ورواية بعض الأكابر من أهل العلم عنه ليست تعديلا له ، ولاتوثيقا ، ولاتسوغ الاحتجاج به ، وخاصة فيما يتعلق بالطعن في أمر النبوة المطهرة ، التي يجب حتما طرح ونبذ كل مايُخْشَى أن يثير شكا حول صفائها ونزاهتها ، بغض النظر عمن رواه ، أو قاله من الناس .

سبب ورود مثل هذه الرواية عن حجاج بن محمد المصيصي

وأما الراوي الآخر في هذه الرواية فهو حجاج بن محمد المصيصي[(١١٠)] وهو وإن كان ثقة في أول أمره ، إلا أنه قد اختلط ، وتغير في آخر حياته حتى « ذكره أبو العرب القيرواني في الضعفاء بسبب الاختلاط »[(١١١)] على ماقال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ، بل

(١١٠) تهذيب التهذيب ٢٠٥/٢ .

(١١١) نفس المرجع ٢٠٦/٢ .

كان « يُرَى أن أحاديث الناس عن حجاج صحاح إلا ماروى سنيد »[(١١٢)] فإنه كان يلقن حجاجا حتى عابه بذلك الإمام أحمد كما أوضحت ذلك آنفا في الكلام على سنيد هذا ، قال الخلال « وَرُوِيَ أن حجاجا كان هذا منه في وقت تَغَيُّره »[(١١٣)]

ولَمَّا رأى يحيى بن معين اختلاط حجاج بن محمد في آخر قدمةٍ له إلى بغداد أمر ابنه ألا يُدخِلَ عليه أحدا ، فلما كان بالعشي دخل الناس ، فأعطوه كتاب شعبة ، فحدثهم به ، فأنكر بعض الحاضرين عليه ذلك ، وقال ليحيى بن معين مستغرباً صنيع حجاج ، ماحاصل قوله : ياأبا زكريا ، إنكم قد عبتم عليَّ بْن عاصم لغلطةٍ حين حدَّثَ عن محمد بن سوقه عن ابراهيم عن الأسود عن عبد الله ولم لم تعيبوا هذا وقد حدث عن شعبة عن عمرو بن مرة عن عيسى بن مريم عن خيثمه ؟! فقال يحيى بن معين لابن حجاج : قد قلت لك ! ![(١١٤)]

---

(١١٢) نفس المرجع ٢٤٤/٢ .

(١١٣) نفس المرجع ٢٤٤/٤ .

(١١٤) انظر هذه القصة في تاريخ بغداد ٢٣٨/٨ ، ٤٤٦/١١ ومابعدها ، تهذيب التهذيب ٣٤٦/٧ ، وأشار إليها الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤٤٩/٩ ، إلا أنه في تاريخ بغداد ٢٣٨/٨ ذكر أن علي بن عاصم حدث بذلك الحديث عن محمد بن سوقة عن ابراهيم عن الأسود عن عائشة والحديث الذي نقموا عليه به عن ابن مسعود ، وليس عن عائشة كما في الترمذي ٣٧٦/٣ ، وابن ماجه ٢٩٣/١ . وقد ذكر الخطيب في تاريخ بغداد ٤٥٠/١١ - ٤٥٣ طرق هذا الحديث ، وليس في أي منها ذكر لعائشة فلعل ذكر عائشة في هذا الموضع من تاريخ بغداد ٢٣٨/٨ من خطأ النساخ أو من خطأ المطابع والله أعلم .

إعذار حجاج المصيصي عن مثل هذه الرواية الباطلة

والحاصل الذي أراه - والله أعلم - أن حجاجا لإمامته ، وتثبته البالغ في الرواية يبعد أن يَرْوِيَ مِثْلَ هذه الرواية الباطلة ، فإما أنها أُلصقت به وركب اسنادها عليه وهو بريء منها ، وإما أنها أدخلت عليه في وقت تغيره .

وهو - في كلا الحالين - بريء من تبعتها إن شاء الله ، وأما ابن جريج شيخ حجاج بن محمد في هذه الرواية التي نبين - هنا - زيفها ، وفسادها ، فهو عبد الملك ابن عبد العزيز مولى بني أمية(١١٥) الذي قال الإمام مالك - رحمه الله - في وصفه ، وقد كان معاصرا له : « كان ابن جريج حاطب ليل »(١١٦) .

وهذا يعني أنه لايميز فيما يرويه بين الغث والسمين ، ولابين المستقيم ، وغير المستقيم ، ولابين الحق والباطل ، كما في هذه الرواية التي لايليق أن ينسب ماذكر فيها إلى رسول الله ﷺ .

تحذير الإمام أحمد من مراسيل ابن جريج

وقال الإمام أحمد في وصف ابن جريج هذا وفي بيان تساهله في الأخذ عن كل أحد قال : « وبعض تلك الأحاديث التي كان يرسلها ابن جريج ، أحاديث موضعة ، كان ابن جريج لايُبالي عمن أخذها »(١١٧)

---

(١١٥) تهذيب التهذيب ٦/٤٠٢ .

(١١٦) نفس المرجع ٦/٤٠٤ .

(١١٧) تهذيب التهذيب ٤/٢٤٤ .

والعبارة الثانية من قول الإمام أحمد هذا في ابن جريج تتفق في معناها مع قول الإمام مالك فيه ، فإن من لم يبال عمن أخذ هو حاطب ليل بلا ريب .

إمكان انتشار الموضوعات في مراسيل ابن جريج

ويزيد قول الإما م أحمد في وصفه لابن جريج في القسم الأول من هذه العبارة ، ببيان أن ابن جريج كان يَرْوِي الأحاديث الموضوعة ، في بعض ماكان يرسله من الأحاديث ، وهذا يعني انتشار الموضوعات فيما كان يرسله مما يصعب ، بل قد يستحيل معه التمييز بين ماهو موضوع من مراسيله ، وماليس موضوعا ، مما يوجب حتما رد جميع مراسليه من هذا القبيل حتى عند من يقولون بقبول المرسل .

وذكر الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب أن الخلال حكى عن الأثرم نحو قول الإمام أحمد الذي أوردناه آنفا في وصف ابن جريج [(١١٨)] وقال البرديجي [(١١٩)] : « لم يسمع من مجاهد إلا حرفا واحدا » [(١٢٠)]

ونحن اليوم نجد في كتب التفسير بالمأثور روايات كثيرة ، وأقوالاً عديدة يرويها ابن جريج عن مجاهد مما يجعلنا في ريب من صحة ذلك كله بعد قول البرديجي هذا .

---

(١١٨) تهذيب التهذيب ٤/٢٤٤ .

(١١٩) هو أبو بكر أحمد بن هارون بن روح ، الحافظ الإمام الثبت نزيل بغداد ، قال الدارقطني : ثقة جبل توفى سنة ٣٠١هـ تذكرة الحفاظ ٢/٧٤٦ .

(١٢٠) تهذيب التهذيب ٦/٤٠٥ .

التحذير من تدليس ابن جريج

وعد ابن حبان ابن جريج من الثقات المدلسين الذين يكتبون عن كل أحد ، ويروون عمن سمعوا منه قال : « فربما دلَّسُوا عن الشيخ بعد سماعهم عنه ، عن أقوام ضعفاء ، لايجوز الاحتجاج بأخبارهم ، فما لم يقل المدلس ـ وإن كان ثقة ـ حدثني ، أو سمعت ، فلا يجوز الاحتجاج بخبره »[(١٢١)] .

وابن جريج روى هذه الرواية ـ كما أوردها الطبري في تفسيره ـ عن مجاهد بالعنعنة ، فهي إذن مما لايحتج به لاحتمال تدليسه فيها.

قال الدارقطني : « تجنب تدليس ابن جريج ، فإنه قبيح التدليس ، لايدلس إلا فيما سمعه من مجروح »[(١٢٢)]

إجمال لما ترد به رواية ابن جريج هذه

وهكذا يجتمع في هذه الرواية احتمال أن تكون من تلك الأحاديث الموضوعة التي كان ابن جريج لايبالي عمن أخذها ، أو أن تكون مما لم يسمعه من مجاهد ، أو أن تكون مما دلسه عن مجروحين لاتحل الرواية عنهم .

وعلى أي وجه من هذه الوجوه الثلاثة حملت هذه الرواية فأنها لاتقبل بحال ، ولاتصلح لاحتجاج ، ولا لاعتبار ، ولايجوز أن ينسب مافيها ولاشيء منه لرسول الله ﷺ .

---

(١٢١) المجروحين ٩٢/١ .

(١٢٢) تهذيب التهذيب ٢٠٥/٦ .

سبب تكلم العلماء في تفسير مجاهد

وأما مجاهد بن جبر ـ رحمه الله ـ الذي ينسب إليه هذا القول فهو « أحد الأعلام الأثبات » (١٢٣) ، ولكن تكلم الناس في تفسيره لأخذه عن أهل الكتاب ، قال ابن سعد في الطبقات الكبرى : « أخبرنا أبو بكر بن عياش ، قال : قلت للأعمش : مابالهم يتقون تفسير مجاهد ؟ قال : كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب » (١٢٤)

وساق الذهبي في ميزان الاعتدال هذا الخبر فقال : « قال أبو بكر بن عياش : قلت للأعمش مابال تفسير مجاهد مخالف ، أو شيء نحوه ؟ قال : أخذها (١٢٥) من أهل الكتاب (١٢٦).

تهوين أمر الشرك بالله عادة أهل الكتاب المحرف

وأنا أقول : لعل هذا القول الذي ينسب إليه في تفسيره لآية سورة الاسراء هذه التي هي موضوع بحثنا هذا ، إن كان قد قاله من هذا القبيل ، بلا ريب عندي ـ لفساده بما ذكر فيه من تهوين أمر الشرك بالله ـ وهو عند الله ظلم عظيم ـ كما هي عادة أهل الكتاب ، وديدنهم .

نقد رواية محمد ابن أبي محمد دراية وبيان وجوه بطلانها

وأما الرواية المنسوبة إلى ابن عباس رضي الله عنهما من طريق ابن اسحاق عن محمد بن أبي محمد التي جاء فيها « ... وكان رسول الله ﷺ يشتد عليه فراق قومه ، ويحب إسلامهم

---

(١٢٣) ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣ .

(١٢٤) الطبقات الكبرى ٤٦٧/٥ . وانظر ـ أيضا ـ سير اعلام النبلاء ٤٥١/٤ ، تهذيب التهذيب ٤٣/١٠ .

(١٢٥) هكذا في المطبوعة بصيغة المؤنث ، ولعل المراد به الروايات ، أي أنه أخذ هذه الأقوال والروايات من أهل الكتاب .

(١٢٦) ميزان الاعتدال ٤٣٩/٣ .

فَرَقٌ لهم ، فأنزل الله (وإن كادوا ليفتنونك ..) الخ فقد بينا فيما سبق بطلانها رواية ، ونقول هنا : إنها باطلة دراية أيضاً ، لأن قوله فيها « فَرَقٌ لهم » الذي جعل سبباً لنزول هذه الآية ، لايدل بوجه من الوجوه على أي شيء مما تزعم الرواية الأخرى أنه كان .

لارقة لرسول الله ﷺ على أحد في أمْر الشرك بالله تعالى

وذلك أن قوله « فَرَقٌ لهم » كَلاَمٌ مجملٌ غيرُ مُبيِّنِ السَّبَبِ ، ولامُعَيِّنِ الغَرَضِ ، إذ لم يُفْصِحْ الفاعل لذلك الفعل - على فرض حدوثه جدلاً - عن سبب رقته لهم ، ولم يعين غرضه الباعث له على رقة قلبه ، فيما لو كان ذلك منه فعلا .

وعلى ذلك ، فَمِنْ أين جاء تفسيرُ رقته لهم بالميل إلى آلهتهم - والعياذ بالله - مع ماعُلِمَ مِنْ أَمْرِ الله لرسوله - ﷺ - بزجرهم عنها ، واستعلانِ بغضه عليه الصلاة والسلام لها ، واستطارة الشر بينه ﷺ ، وبين قومه بسبب عبادتهم لتلك الآلهة الباطلة ، وتقربهم بها إلى الله زُلْفَى فيما يزعمون .

وجوه رقة قلب رسول الله ﷺ لأمته

أقول : من أين جاء هذا التفسير الباطل ، والحال أن الذي يوافق شأن رسول الله ﷺ وإخلاصه لربه عز وجل ، وبعده عن الشرك والمشركين وفي قيامه بحق دعوته إلى الله ، وبالغ طهارة سيرته ، وشدة حرصه على إيمانهم ، أن يرق قلبه لهم إمَّا حبا في إسلامهم ، وحرصا على إيمانهم ، لأنه هو المطلوب منه ، والمكلف به ، والمؤمل فيه ، وقد أثنى الله عليه بلينه ، ورقته لأصحابه وحرصه عليهم ، ورحمته بهم ، وشفقته عليهم

فقال عز وجل : ﴿ فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين ﴾ (١٢٧) وقال عز من قائل : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ (١٢٨) حثا لهم على الإيمان به ، واتباع دعوته ، وقبول شرعه اغتناما للرحمة المهداة لهم من الله تعالى على يديه ﷺ.

وإِمَّا أنْ يرق لهم رحمةً بحال هؤلاء القوم الأغرار الذين يسعون لكفرهم بالله ، وجهلهم به إلى إهلاك أنفسهم بالإشراك به تعالى ، فَيَتَقَحَّمُون النار ، وهو آخذ بحجزهم عنها .

اخلاص العبادة لله وحده هو أصل دعوة رسول الله ﷺ

ولكن لينه لهم ، ورقته ﷺ ـ في كلا الحالين ـ وحرصه على هداهم ، وتلطفه بهم في دعوته إياهم ، ومبالغته في انتهاج أهدى السبل لإيصال الخير إلى قلوبهم ، لايعني في حال من الأحوال التهاون معهم في أمر إخلاص العبادة لله عز وجل ، ولا التساهل في شيء من أمر الكفر ، والإشراك بالله تعالى الذي بعثه الله تعالى لهدمه ، ومحوه ، وإزالته من الأرض .

رد الرواية المنسوبة إلى ابن شهاب

وأما الرواية المنسوبة إلى ابن شهاب التي يقال فيها : إنه قال : « كان رسول الله ﷺ إذا طاف يقول له المشركون : استلم آلهتنا كي لاتضرك ،

(١٢٧) سورة آل عمران ١٥٩ .

(١٢٨) سورة التوبة ١٢٨ .

فكاد يفعل ، فأنزل الله (وإن كادوا ليفتنونك) الآية » [١٢٩] فتزعم ـ كما هو ظاهر من لفظها ـ أن المشركين كانوا يخوفون رسول الله ﷺ إذا طاف بالبيت أن تضره آلهتهم ، وأصنامهم إن لم يستلمها، وأنه ـ كما تزعم هذه الرواية ـ كاد يفعل .

من البلايا مايضحك

وهذا كلام ساقط ، وأمر مضحك للغاية ، ومعنى باطل ، وفاسد ، لأن ذلك دَيْدَنُ المشركين ، وخُلُقهم القديم ، فقديما قال الكافرون لنبيهم هود عليه السلام : (إن نظن إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) [١٣٠] فليس بدعا من مشركي مكة أن يطلبوا ذلك من رسول الله ﷺ استهزاء ، وسخرية ، واستكباراً ولكن الأمر المنكر ، والمردود قطعاً في هذه الرواية هو مايُنْسَبُ فيها إلى رسول الله ﷺ من أنه ـ كما تزعم هذه الرواية ـ صدق المشركين في ذلك ، وكاد يستلم آلهتهم فنزلت الآية .

فهذا أمر من أمور الكفر لاتجوز نسبته إلى رسول الله ﷺ ، بل لايجوز ، ولايصح ظن رسول الله ﷺ به ، ولاذكره لأحد من الناس إلا على سبيل القدح فيه ، ونفيه عن مقام النبوة المطهرة بعد أن رُمِيَتْ به ، لما فيه من طعن على رسول الله ﷺ بنسبة أنه هم ولو ظاهرا ـ وحاشاه من ذلك ـ بالخوف من الأصنام التي بعثه الله عز وجل للزجر عنها ، والتحذير منها ، وتحطيمها ، كما فعل بها ذلك يوم الفتح عليه أتم الصلاة وأزكى السلام .

---

(١٢٩) الدرر المنثور ٣١٨/٥ .

(١٣٠) سورة هود ٥٤ .

وماكان لمؤمن ولامؤمنة أن يظن رسول الله ﷺ بشيء من ذلك في رسالته ، ونبوته ، وقد حفظه الله منها ـ أيضا ـ قبل نبوته ، وبعثته ، فهل يعقل أن يلمسها ، أو أن يخاف منها بعد أنْ أكرمه الله برسالته ، وأمره بإزالتها ، وحذره منها ، وكان التنافر بينه ، وبين قومه بسبب تعلقهم بها ، وتقربهم إلى الله بالالتجاء إليها .

الأهداف الخبيثة لوضع مثل هذه الأباطيل

إن جميع هذه الروايات التي تنسب إلى رسول الله ﷺ شيئا من كيدودة الميل إلى الإلمام بآلهة المشركين ، أو الهَمّ بالخوف منها رواياتٌ باطلة وكيد خبيث كما سبق أن بينا آنفا ، وماأظنها إلا من دسائس أعداء الله ، ورسوله نفثوها في المجتمع الإسلامي ، فَتَلَقَّفَها وضّاعُ الأخبار ، والقصاص ، وضعفاءُ الرواة ، ومغفلوهم ونسبوها إلى أئمة الدين زوراً ، وبهتاناً تضليلاً لعامة المسلمين بنشر الأباطيل بينهم لتقليل مقام النبوة في قلوبهم ، ليسهل لهم بعد ذلك استماع الغض منها ، ثم قبول الطعون فيها ، وإثارة الشبهات حولها ، والتهجم على الأحكام الشرعية ، والآداب الاجتماعية التي شرعها الله تعالى على يدي رسوله ﷺ .

الرواية المنسوبة إلي جبير بن نفير

وأما ما يروى عن جبير بن نفير من « أن قريشا أتوا النبي ﷺ فقالوا : إن كنت أرسلت إلينا فاطرد الذين اتبعوك من سقاط الناس ومواليهم لنكون نحن أصحابك فركن إليهم ، فأوحى الله إليه (وإن كادوا ليفتنونك) [١٣١] الذي عزاه السيوطي في الدر المنثور إلى ابن أبي حاتم ، وعزاه ـ أيضا ـ في لباب النقول إلى أبي الشيخ ، فقد ذكره في كلا

(١٣١) الدرر المنثور ٥/٣١٨ ـ ٣١٩ .

الموضعين بدون إسناد ، وتفسير سورة الإسراء من تفسير ابن أبي حاتم مما فقد اليوم من هذا التفسير فيما أعلم ، وكذلك تفسير أبي الشيخ هو اليوم في عداد المفقودات .

وأيضاً لم نجد لهذا القول إسناداً في شيء من كتب التفسير بالمأثور المتداولة بيننا اليوم التي تعنى بذكر الأسانيد .

مايطلبه المشركون من تَعَنُّتات لاتجوز نسبته إلى رسول الله ﷺ

والمعروف بل المعلوم عند علماء التفسير أن هذا القول كان من قريش - فيما يزعم الرواة - سببا لنزول قوله تعالى (ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ماعليك من حسابهم من شيء ومامن حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين) [١٣٢] من سورة الأنعام .

واعتبار طلب المشركين من رسول الله ﷺ طرد فقراء المسلمين عن مجلسه ، وإخلاص مجلسه ﷺ لهم لايمكن أن يُعَدَّ فتنة منهم لرسول الله ﷺ ، ولا أن يُنْسَبَ إليه ادعاؤهم هذا ، لأن رسول الله ﷺ لم يفعله ، ولم يستجب لهم فيه بشيء بل لم يرضه عليه الصلاة والسلام ، ولم يطمعهم في شيء مما أملوا أو طلبوا .

وجه الوهم في هذه الرواية

ولعل جبير بن نفير ذكر هذه القصة من باب التمثيل لما كان المشركون يخادعون به رسول الله ﷺ ، فدخل على الحاضر عنده من الرواة عنه أنه يذكرها سببا لنزول آية سورة الإسراء هذه ، وليس الأمر كما ظن .

---

(١٣٢) سورة الأنعام ٥٢ .

محاولة غير موفقة لتفسير لفظ الفتنة بما ذكر في سبب النزول

وما إخال ادعاء مثل هذا سببا لنزول هذه الآية من سورة الإسراء إلا محاولة غير موفقة لتفسير لفظ الفتنة الوارد فى هذه الآية بما ورد فى القصة المزعومة .

وقد بينت فى كتابى « آيات كتاب المصطفى ﷺ فى ضوء العصمة والاجتهاد » المطبوع المراد بنهى رسول الله ﷺ عن طرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى .

وأن حاصل المراد به « أن الإنذار بالقرآن ، إنما يفيد الذين يقرون بالبعث ، ويخافون أن يحشروا إلى ربهم ، ولا يضرهم فقرهم ، ولا ضعف منزلتهم فى الدنيا ، لانقطاعهم إلى الله تعالى ، وتبتلهم له ، واخلاصهم فى عبادته .

وأن هذه الآية فى جملتها من باب تحذير الأمة بتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ ، لأنه هو المبلغ عن الله ، وهو الأسوة الحسنة لأمته ، لئلا يَطْرُدَ أَحَدٌ منهم الضعفاء ، والمساكين من المؤمنين ، تقربا للكبراء المترفين من غير المؤمنين طمعا فى إيمانهم ، لأن شأن الإيمان مرتبط بالقلوب لا بالمظاهر ، والثراء ، والترف ، وزخرف الدنيا » (١٣٣) .

وقد ذكرت – هناك – أيضا – أصح ما ورد فى سبب نزول هذه الأية ، وليس آية سورة الاسراء هذه مما ذكر فى ذلك .

---

(١٣٣) آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والاجتهاد ، للدكتور عويد بن عياد المطرفي ٢١١ - ٢١٢ (بتصرف) .

بطلان قصة الغرانيق سنداً ومتنا

وأما ما يزعم من أن آية سورة الإسراء هذه نزلت بسبب قصة الغرانيق ، وهو ما أخرجه الطبرى فى تفسيره فقال : « حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج عن أبى معشر عن محمد بن كعب القرظى ، ومحمد بن قيس قالا : جلس رسول الله ﷺ فى ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء ، فينفروا عنه ، فأنز الله عليه (والنجم إذا هوى ماضل صاحبكم وما غوى) فقرأها رسول الله ﷺ حتى إذا بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان كلمتين : تلك الغرانقة العلى وإن شفاعتهن لترجى ، فتكلم بها ، ثم مضى فقرأ السورة كلها فسجد فى آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته فسجد عليه وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود ، فرضوا بما تكلم به ، وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ، ويميت وهو الذى يخلق ويرزق ، ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده ، إذ جعلت لها نصيبا فنحن معك . قالا : فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام فعرض عليه السورة ، فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال : ماجئتك بهاتين . فقال رسول الله ﷺ : افتريت على الله ، وقلت على الله ما لم يقل ، فأوحى الله عليه (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره) إلى قوله (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) فمازال مغموما مهموما حتى نزلت عليه (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما

يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) قال فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم فرجعوا إلى عشائرهم وقالوا : هم أحب إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان »(١٣٤).

وعزا السيوطى فى الدر المنثور إخراج هذه القصة إلى سعيد بن منصور عن محمد بن كعب القرظى ، ومحمد بن قيس أيضا ، وعزاها فى لباب النقول إلى أبى الشيخ عنهما أيضا .

فأقول : إن هذه القصة باطلة سندا ومتنا أيضا .

بطلانها سنداً

أما بطلانها سندا ، فإن فى إسنادها ثلاثة رواة متوالين عند الطبرى يرويها كل واحد منهم عن الذى فوقه ، وكل منهم متكلم فيه عند أهل العلم بالحديث .

أما أول هؤلاء الرواة الثلاثة فهو الحسين وهو الحسين بن داود المصيصى الملقب بسنيد ، وقد تقدم - آنفا - طعن علماء الجرح والتعديل فيه حيث ضعفه أبو حاتم ، وطعن النسائى فى عدالته فقال : « ليس بثقة » وذمه الإمام أحمد على ما كان يفعل بحجاج بن محمد المصيصى فى وقت تَغَيُّرِهِ .

وهذا الجرح كاف لإبطال روايته ، وردها وعدم اعتبارِها ، لصدور هذا الطعن فيه من ثلاثةٍ من أعيان أئمة الجرح والتعديل فى علم الرواية .

(١٣٤) تفسير الطبري ١٧/١٨٦ - ١٨٧ .

وأمـا الراوى الثـانى من هؤلاء الثلاثة فـهـو حـجـاج بن مـحـمـد المصيـصى ، وقـد طُعِنَ فيـه هـو الآخـر بسبب اختـلاطه ، وتغيره فى آخر عـمـره ، بل كـان يُرَى أن مـا روى سنيـد - وهو الحـسين بن داود المصيصى كمـا ذكرنا آنفا - عن حجاج ليس بصحيح كما سبق أن ذكرنا ذلك فيما تقدم .

وأمـا الراوى الثـالث فـهـو أبو معشـر ، وهو نجيح بن عـبـدالرحـمن السندى المدنى مولى بنى هاشم [١٣٥] وقد « كان أميا » [١٣٦] كما قال ابن معين ، وكذلك قال الساجى [١٣٧] .

وقـال الإمـام أحـمـد : « حديـثه عنـدى مضطـرب لا يقيم الإسنـاد » [١٣٨] .

وضعـفه كل من الـنسائى [١٣٩] ، وأبـو داود [١٤٠] ، وعلـى بـن المدينى [١٤١] ، وابن مـعين [١٤٢] ، والدارقطـنى [١٤٣] ، وقـال البـخـارى وغيره : « منكر الحديث » [١٤٤] .

---

(١٣٥) تهذيب التهذيب ١٠/٤١٩ .
(١٣٦) تهذيب التهذيب ١٠/٤٢٠ ، ٤٢١ .
(١٣٧) تهذيب التهذيب ١٠/٤٢٢ .
(١٣٨) تهذيب التهذيب ١٠/٤٢٠ .
(١٣٩) تهذيب التهذيب ١٠/٤٢١ .
(١٤٠) تهذيب التهذيب ١٠/٤٢١ .
(١٤١) تهذيب التهذيب ١٠/٤٢١ .
(١٤٢) تهذيب التهذيب ١٠/٤٢١ .
(١٤٣) تهذيب التهذيب ١٠/٤٢٢ .
(١٤٤) ميزان الاعتدال ٤/٢٤٦ .

وقد « كان يحيى القطان لا يحدث عن أبى معشر المدنى ويستضعفه جدا ، يضحك إذا ذكره »[١٤٥] وقال الذهبى فى ميزان الاعتدال : قال عبدالحق : « أكثر الناس ضعَّف أبا معشر . »[١٤٦].

وكان أبو معشر هذا « ممن اختلط فى آخر عمره ، وبقى قبل أن يموت سنتين فى تَغَيُّرٍ شديدٍ لا يدرى ما يحدث به ، فكثر المناكير فى روايته من قبل اختلاطه ، فبطل الاحتجاج به »[١٤٧] كما قال ابن حبان فى كتاب المجروحين .

وقال محمد بن بكار بن الريان : « كان أبو معشر تغير قبل أن يموت تغيراً شديداً حتى كان يخرج منه الريح ، ولا يشعر بها »[١٤٨].

وقال ابن معين : « كان أميا يُتَّقى من حديثه المسند »[١٤٩].

وإنما خَصَّ ابن معين المسند من حديثه بالذكر ؛ لأن من تُرِك المُسْنَدُ من حديثه ، فترك ما لم يكن مسندا منه من باب أولى .

أقول : إن رجلا هذا وصفه عند أهل العلم بالحديث ، وأئمة الجرح والتعديل ، وصيارفة علم الإسناد ، فحول أهل العلم بالحديث ، لا تقبل روايته فيما هو دون ما نحن فيه من أمور العقيدة التى تتعلق بعصمة

(١٤٥) المجروحين ٦٠/٣ ميزان الاعتدال ٢٤٦/٤ تاريخ بغداد ٤٦٠/١٣ .
(١٤٦) ميزان الاعتدال ٢٤٧/٤ .
(١٤٧) المجروحين ٦٠/٣ .
(١٤٨) تهذيب التهذيب ٤٢١/١٠ .
(١٤٩) تاريخ ٤٦٠/١٣ ، تهذيب التهذيب ٤٢١/١٠ .

رسول الله ﷺ في التبليغ الذى قام الدليل العقلى والنقلى ، وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ فيه .

الاعتذار عن أبي معشر في روايته قصة الغرانيق

ولعل هذه القصة مما أحدث بأبى معشر فى وقت اختلاطه ؛ لأن ما ورد فيها لا يمكن أن يضاف إلى رسول الله ﷺ بحال من رجل يعقل ما يقول ، ويعرف ما لرسول الله ﷺ من قدر عظيم عند الله .

عدم ذكر البخاري لقصة الغرانيق في قصة سجود المشركين مع رسول الله يدل على أنها لم تكن في الحادثة

والبخارى - رحمه الله تعالى - عندما أورد قصة سجود المشركين مع رسول الله ﷺ فى صحيحه ، لم يذكر قصة الغرانيق مما يدل على أنها لم تكن فى الحادثة التى وقعت آنذاك ، ولم تقرن قصة نزول آية سورة الإسراء هذه بقصة الغرانيق على تعدد ورود هذه القصة المكذوبة من طرق كلها ضعيف أيضا إلا من طريق أبى معشر هذا مما يدل على أنها من مناكيره ، بل من طوامه فى اختلاطه .

ردها دراية

وقصة الغرانيق هذه قصة مكذوبة ، مختلقة لا أصل لها ، وقد أنكرها العلماء المحققون من أهل العلم بالحديث ، وحذاقه المهرة الذين يعتمد عليهم فى هذا الشأن ، ويعتد بأقوالهم فى قبول الحديث ، أو رده .

ولا شك أن مالا أصل له ، لا يمكن أن يكون سببا لنزول شىء من القرآن الكريم .

وقد قال إمام الأئمة محمد بن اسحاق بن خزيمة - رحمه الله تعالى - لما سئل عن هذه القصة قال : « إن هذه القصة من وضع الزنادقة » (١٥٠) .

---

(١٥٠) فتح القدير للشوكاني ٤٦٢/٣ .

وقال البيهقى – رحمه الله – : « هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل »[١٥١].

وقال الحافظ ابن كثير – رحمه الله – : « وقد ذكر كثير من المفسرين هاهنا قصة الغرانيق ، وما كان من رجوع كثير من المهاجرة إلى أرض الحبشة ظنا منهم أن مشركى قريش قد أسلموا ، ولكنها من طرق كلها مرسلة ، ولم أرها مسندة من وجه صحيح »[١٥٢].

توضيح وتصحيح لقول ابن كثير رحمه الله

وأما استدراك ابن كثير فى كتابه البداية والنهاية – بعد أن أضرب عن ذكر قصة الغرانيق فى كل من تفسيره ، وتاريخه « لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضيعها » – بقوله فيه : « إلا أن أصل القصة فى الصحيح »[١٥٣] ففيه شىء من اللبس فى التعبير ؛ لأنه – رحمه الله تعالى – كان يقصد بقوله هذا قصة سجود المشركين مع رسول الله ﷺ ، ولا يقصد به قصة الغرانيق بدليل قوله قبل ذلك مباشرة « وذكروا (أى كثير من المفسرين) قصة الغرانيق ، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحا لئلا يسمعها من لا يضعها على مواضيعها » .

وبدليل إيراده لحديث ابن عباس – رضى الله عنهما – الذى أخرجه البخارى فى صحيحه فى كتاب التفسير فى باب (فاسجدوا لله واعبدوا)

---

(١٥١) المصدر نفسه .
(١٥٢) تفسير ابن كثير ٤٣٨/٥ .
(١٥٣) البداية والنهاية ٩٠/٣ .

بإسناده عن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال : « سجد النبى ﷺ بالنجم ، وسجد معه المسلمون ، والمشركون ، والجن والإنس »(١٥٤) .

ولو قال ابن كثير : وأصل قصة سجود المشركين مع رسول الله ﷺ في الصحيح لكان أولى ، وأصح فى التعبير ، وأوضح فى بيان مراده رحمه الله تعالى .

رد الشوكاني لهذة القصة

وقال الشوكانى - فى فتح القدير - بعد أن نقل عن جماعة من المفسرين القول بأن قصة الغرانيق كانت سبب نزول قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم) من سورة الحج ، قال - رحمه الله - معقبا على هذا الزعم : « ولم يصح شىء من هذا ، ولا ثبت بوجه من الوجوه ، ومع عدم صحته ، بل بطلانه فقد دفعه المحققون بكتاب الله سبحانه ، قال الله : (ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين)(١٥٥) وقوله (وما ينطق عن الهوى)(١٥٦) وقوله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم) فنفى المقاربة للركون فضلا عن الركون »(١٥٧) ثم قال - أيضا - : « وقال البزار : هذا حديث لا نعلمه يروى عن النبى ﷺ بإسناد متصل »(١٥٨) .

---

(١٥٤) صحيح البخاري ١٧٧/٦ والبداية والنهاية ٩٠/٣ .

(١٥٥) سورة الحاقة ٤٤ - ٤٦ .

(١٥٦) سورة النجم ٣ .

(١٥٧) فتح القدير ٤٦٢/٣ .

(١٥٨) نفس المرجع .

رد القاضي عياض لهذة القصة الباطلة سنداً

ورد القاضي عياض – رحمه الله – هذه القصة فى كتابه (الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ) ردها رواية ، ودراية فقال فى ردها رواية : « يكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ، ولا رواه ثقة بسند سليم متصل ، وإنما أولع به ، وبمثله المفسرون ، والمؤرخون المولعون بكل غريب ، المتلقفون من الصحف كل صحيح ، وسقيم وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكى(١٥٩) حيث قال : لقد بلى الناس ببعض أهل الأهواء ، والتفسير ، وتعلق بذلك الملحدون ، مع ضعف نقلته ، واضطراب رواياته ، وانقطاع إسناده ، واختلاف كلماته ، فقائل يقول : إنه فى الصلاة ، وآخر يقول : قالها فى نادى قومه حين أنزلت عليه السورة ، وآخر يقول : قالها وقد أصابته سنة ، وآخر يقول : بل حدث نفسه فسها ، وآخر يقول : إن الشيطان قالها على لسانه ، وأن النبى ﷺ لما عرضها على جبريل قال : ما هكذا أقرأتك وآخر يقول : بل أعلمهم الشيطان أن النبى ﷺ قرأها ، فلما بلغ النبي ﷺ ذلك قال : والله ماهكذا نزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة .

ومن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين ، والتابعين لم يسندها أحد منهم ، ولا رفعها إلى صاحب ، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية .. »(١٦٠) ، ثم قال : « .. ولا شك فى إدخال بعض شياطين الإنس

---

(١٥٩) هو بكر بن محمد بن العلاء كان راوية للحديث من كبار فقهاء المالكية توفى سنة ٣٤٤هـ ترتيب المدارك ٣/٢٩٠ ، شجرة النور ١/٧٩ .

(١٦٠) الشفا ٢/٧٥٠ - ٧٥١ .

أو الجن هذا الحديث على بعض مُغَفّلى المحدثين ، ليلبس به على ضعفاء المسلمين » (١٦١) .

رَدُّهُ إياها دراية

وأما رده إياها دراية فحاصل ما ذكره فى فساد معناها ، هو ما ذكر فيها من مدح آلهة المشركين ، أو تسلط الشيطان – كما تزعم الرواية – على رسول الله ﷺ – وحاشاه من ذلك كله – بأن يشبه عليه الشيطان القرآن ، حتى يجعل فيه ما ليس منه ، ويعتقد أنه من القرآن ، وهو ليس منه ، ولا يعلم بذلك حتى ينبهه جبريل .

ولا شك أن كل ذلك كفر ممتنع فى حقه ﷺ ، وقد قامت الحجة ، وأجمعت الأمة على عصمته ﷺ ، ونزاهته من مثل هذه الرذيلة » (١٦٢) .

ثم ذكر القاضى عياض – رحمه الله تعالى – بعد ذلك وجوها أخرى فى بيان استحالة هذه القصة نظرا ، وعرفا ، وفى بطلانها واقعا وسياقا ، وأن مضمون ، ومفهوم قوله تعالى (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لا تخذوك خليلا . ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) يرد هذه القصة من حيث إن مفهوم ، ومضمون هاتين الآيتين يوضح « أن الله عصمه من أن يفترى ، وثبته حتى لم يركن إليهم قليلا بينما تزعم القصة التى يروونها فى أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون ، والافتراء بمدح آلهتهم ، وأنه قال ﷺ : افتريت على الله وقلت

(١٦١) الشفا ٢/٧٥٥ .

(١٦٢) الشفا ٢/٧٥٢ « بتصرف » .

ما لم يقل . وهذا ضد مفهوم الآية ، وهى تضعف الحديث لو صح ، فكيف ولا صحة له »[١٦٣] .

وقد ذكر القاضى عبد الجبار فى كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن ، أن ما يروى فى قصة الغرانيق : « لا أصل له »[١٦٤] ثم قال : « ومثل ذلك لا يكون إلا من دسائس الملحدة »[١٦٥] .

ما قدمناه – آنفا – هو لُبُّ ما رَدَّ به فحول أهل العلم بالحديث هذه القصة المكذوبة الفاجرة قديما .

رد شيخنا محمد محمد أبي شهبة لهذه القصة

وقد نهض لردها – أيضا – كثير من العلماء المحدثين المعاصرين ، المحققين ، المحقين ومن أشهر هؤلاء العلماء العاملين – فيما أعلم – شيخنا العلامة مُحَدِّثُ العصر ، شارح صحيح البخارى ، فضيلة الأستاذ الدكتور محمد محمد أبو شهبة رحمه الله تعالى فى الجزء الأول من كتابه « السيرة النبوية فى ضوء القرآن والسنة » فقد رد هذه القصة نقلا ، وعقلا ، وبين أنها مصادمة للقرآن الكريم ، ومخالفة لما جاء فيه من حفظ الله تعالى لرسوله ﷺ ، من أن يكون للشيطان عليه سلطان ، وفنَّد مزاعم المثبتين لهذه الفرية وذكر فى آخر رده أن أغلب البلاء دخل على الإسلام من المنقطعات ، والمراسيل . أى الطرق التى وردت هذه القصه بمثلها[١٦٦] .

(١٦٣) الشفا ٧٥٦/٢ وانظر ماقبلها ٧٥٣،٧٥٤ منه .

(١٦٤) تنزيه القرآن عن المطاعن ٢٧٤ .

(١٦٥) نفس المرجع .

(١٦٦) السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ٣٧٥ - ٣٨٧ « بتصرف » .

الإشارة إلى رد شيخنا محمد الصادق عرجون لهذة الفرية في كتاب له لايُستَغنَى عن قراءته

ولم أر أحداً من العلماء ، لا من المتقدمين ، ولا من المتأخرين أطول باعاً ، ولا أعلى كعبا ، ولا أوفر نَفَساً فى تتبعه لروايات هذه القصة الظالمة ، وأقوال المثبتين لها ، ثم الكر عليها بصولجان الفكر ، ومنطق الحق ، لتفنيدها ، ورد مزاعم القائلين بأن لها أصلاً ، بأسلوب بارع أخاذ ، وأدب جم ، وقلم سيال ، ووضوح بيان فى توليد واستخراج وجوه المعانى فى توهين هذه الفرية الظالمة دراية بكشف وخمها ، وبيان فسادها ، من شيخنا العلامة الأديب البارع ، محقق العصر ، العالم العامل – ولا أزكى على الله أحداً – فضيلة الأستاذ الدكتور محمد الصادق ابراهيم سليم عرجون ، رحمه الله رحمة الأبرار الأخيار ، فى كتابه الذى ألفه فى السيرة النبوية المطهرة ، فقد استغرق كلامه فى عرض هذه القصة ، وردها ، والتطويح بها فى مهاب الريح ، مائةً وستا وعشرين صفحة(١٦٧) من كتابه العظيم القدر « مفتاح تحقيق التاريخ الاسلامى – كتاب القرن الرابع عشر الهجرى (محمد رسول الله ﷺ) منهج ورسالة – بحث وتحقيق » الواقع فى أكثر من ألفين وستمائة صفحة من القطع الكبير المعتاد .

وما أرى أن مسلما من رجال الفكر ، والدعوة يستغنى عن قراءة هذا السفر القيم لهذا الرجل الذى يحب الله ، ورسوله ﷺ ، وقد قيضه الله تعالى لكتابة السيرة النبوية المطهرة فى هذا العصر بقلب سليم ، وفكر مستقيم ، يدل بعمق بحثه وقوة تحقيقه وسديد نظره على ما فى السيرة

---

(١٦٧) من صفحة ٣٠ إلى صفحة ١٥٥ من الجزء الثاني وهو من منشورات دار القلم بدمشق في طبعته الأولى عام ١٤٠٥ .

المطهرة من أسس ، وقواعد تشريعية ومواقف تربوية ، وتوجيهات خلقية سامية ، وآداب اجتماعية فاضلة .

قولان لقتادة في سبب نزول هذه الاية

بقى من الروايات التى تذكر أن هاتين الآيتين من سورة الإسراء نزلتا فى قريش روايتان كلتاهما عن قتادة بن دعامة السدوسى(١٦٨) ، أوردهما الطبرى فى تفسيره بإسناده إليه فقال : « ثنا يزيد قال : ثنا سعيد عن قتادة : (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) ذكر لنا أن قريشا خلوا برسول الله ﷺ ذات ليلة إلى الصبح ، يكلمونه ، ويفخمونه ، ويسودونه ، ويقاربونه ، وكان فى قولهم أن قالوا : إنك تأتى بشىء لا يأتى به أحد من الناس ، وأنت سيدنا ، وابن سيدنا فمازالوا يكلمونه حتى كاد يقارفهم ، ثم منعه الله وعصمه من ذلك ، فقال : (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) »(١٦٩) .

ثم ساق الرواية الثانية فقال : « حدثنا محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لتفترى علينا غيره) قال : أطافوا به ليلة فقالوا : أنت سيدنا ، وابن سيدنا ، فأرادوه على بعض مايريدون ، فهم أن يقارفهم فى بعض ما يريدون ، ثم عصمه الله ، فذلك قوله (لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) »(١٧٠) فجعل قتادة

---

(١٦٨) هو قتادة بن دعامة بن عزيز إمام في الحديث والتفسير ، كان مدلسا ، ورمي بالقدر توفى سنة ١١٨هـ . سير أعلام النبلاء ٢٦٩/٥ ومابعدها .

(١٦٩) تفسير الطبري ١٣٠/١٥ .

(١٧٠) نفس المرجع .

– كما ترى – ما ذكر فى هذه الرواية تفسيرا للآية مقصودا بالخطاب بها مع ما فيه من فساد فى المعنى ، وطعن فى مقام النبوة المطهرة .

ردنا لقولي قتادة هذين

والروايتان من مقاطيع التابعين ، إذ الأولى منهما من مبهمات قتادة التى لم يصرح فيها باسم من حدثه بها بدليل بناء الفعل للمجهول فى قوله « ذُكِرَ لنا » .

وهذا يعنى أنه لم يعين من سمع منه هذه القصة ، ولم يصرح باسمه ، إما لضعفه ، وترك العلماء الرواية عنه ، وإما لأن هذه القصة مما كان يشاع ، ويذاع آنذاك بين القصاص فيتلقفه الناس عن مجهولين ، فأطلقها قتادة إذ لا علم له بقائلها ، أو أنه أخفاه لئلا يعلم حاله ، وترد روايته .

وهذا الصنيع غش فى الرواية يسقطها من دائرة القبول .

ولعل هذا – إن كان كذلك ، وما إخاله إلاّ ذلك – من تدليس قتادة ابن دعامة ، فقد كان مدلساً ، بل كان مشهوراً بذلك [(١٧١)] .

ويؤيد هذا أن شعبة قال : « كان قتادة إذا جاء ما سمع قال : حدثنا ، وإذا جاء ما لم يسمع قال : قال فلان »[(١٧٢)] بل لعل هذه الرواية التى نحن بسبيل كشف زيفها وعوارها هنا مما كان يرويه قتادة عن

---

(١٧١) انظر : تهذيب التهذيب ٣٥٥/٨ ، المغني في الضعفاء للذهبي ٥٢٢/٢ ، وتعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس لابن حجر ١٠٢ تحقيق الدكتور عبد الغفار سليمان والاستاذ محمد أحمد عبد العزيز الطبعة الأولى . دار الكتب العلمية - بيروت .

(١٧٢) تهذيب التهذيب ٣٥٣/٨ .

كل أحد دون تثبت ، ولا نظر فى معناه ، فقد كان قتادة – كما قال الشعبى – : « حاطب ليل »(١٧٣) .

ويوضح هذا ، ويصدقه – أيضا – أن أبا عمرو بن العلاء قال : « كان قتادة وعمرو بن شعيب لا يُغَثُّ عليهما شيء ، يأخذان عن كل أحد »(١٧٤) .

بل لعل ما ينسبه قتادة السدوسى فى هذه الرواية إلى رسول الله ﷺ مما حَدَّثَ به عمن لم يسمع منهم ، فأبهمه مرة ، كما فى الرواية الأولى التى من طريق سعيد عنه فى قوله « ذُكِرَ لنا » ، وجعله قولاً لنفسه فى الرواية الثانية التى من طريق معمر عنه ، قال أبو داود : « حدث قتادة عن ثلاثين رجلا لم يسمع منهم »(١٧٥) .

وقد أثنى بعض أهل العلم على قتادة ، فوثقوه لكن هذا ، لا يعنى إغفال أقوال المجرحين له – أيضا – ولا أطراح الجرح عنه ، لأن المجرحين له من فحول أهل العلم بهذا الشأن ، الذين لا يُغَضُّ النظر عن أقوالهم فى نقلة الآثار ، فضلا عما تضمنته هذه الرواية من فساد فى المعنى ، لا يليق أن ينسب إلى مقام النبوة المطهرة كما سأبين ذلك فيما بعد إن شاء الله .

---

(١٧٣) نفس المرجع .

(١٧٤) قال في لسان العرب ١٧٢/٢ : « يقال : مايغث عليه أَحَدٌ أي مايدع أَحَداً إلا سأله ... وفلان لايغث عليه شيء ، أي لايقول في شيء إنه رديء فيتركه » . وانظر قول ابي عمرو هذا في تهذيب التهذيب ٣٥٣/٨ .

(١٧٥) تهذيب التهذيب ٣٥٦/٨ .

وبالإضافة إلى ما تقدم ؛ فإن فى كلا طريقى هاتين الروايتين عن قتادة مغمزاً ، ووهنا يسقطهما جميعا من دائرة القبول أيضا ، بل يهوى بهما في مهاب الرياح .

فالرواية الأولى يرويها سعيد – وهو ابن أبى عروبة – عن قتادة ، وهو كما قال أبو حاتم : « قبل أن يختلط ثقة » (١٧٦)، « لكنه كثير التدليس واختلط » (١٧٧) .

وقال الأزدى : « اختلط اختلاطا قبيحا » (١٧٨) حتى إنه من شدة اختلاطه كان يجعل الشيخ تلميذا لتلميذه ، والتلميذ شيخا لشيخه ، لا يميز أيهما شيخ الآخر ، قال أبو داود : « كان سعيد يقول فى الاختلاط : قتادة عن أنس ، أو أنس عن قتادة » (١٧٩) .

رَدُنا على من لو قال : سعيد أثبت الناس في قتادة ليثبت هذه الرواية

ولا يُعْتَرَضُ على ما قَدَّمْنَا بِكَوْنِ سعيد من أثبت الناس فى قتادة ، ويزيد بن زريع أثبت الناس عن سعيد ؛ لأنه من قدماء الرواة عنه ، وهذه الرواية يأثرها يزيد عن سعيد عن قتادة ، لأنا نقول : إن هذا لا يدفع عن يزيد مظنة سماع هذه الرواية من سعيد فى اختلاطه ، لأن يزيد لم يصرح باقتصاره على السماع من سعيد قبل اختلاطه ، كما فعل أبو نعيم الفضل بن دكين حين ترك الكتابة عن سعيد بن أبى عروبة لما اختلط ،

---

(١٧٦) تهذيب التهذيب ٤/٦٤ .

(١٧٧) تقريب التهذيب ١/٣٠٢ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف .

(١٧٨) تهذيب التهذيب ٤/٦٤ .

(١٧٩) تهذيب التهذيب ٤/٦٥ .

إذ قال : « كتبت عن سعيد بن أبي عروبة حديثين ثم اختلط فقمت وتركته »[(١٨٠)] .

بل لعل يزيد هذا كان مثل عبدالوهاب الخفاف الذى سمع من سعيد قبل الاختلاط وبعده ، ولا يميز فى تحديثه عنه بين هذا ، وهذا ، قال يحيى بن معين : « قلت لعبدالوهاب : سمعت من سعيد فى الاختلاط ؟ قال : سمعت منه فى الاختلاط ، وغير الاختلاط ، فليس أميز بين هذا ، وهذا »[(١٨١)] .

وعدم تصريح يزيد بالامتناع عن الأخذ عن سعيد فى الاختلاط يدل على أنه كان ملازما له ، وهو يعلم أنه قد اختلط ، بل هو أَوَّلُ مَنْ ظهرت له شواري اختلاط سعيد فى ذى الحجة سنة ثلاث وأربعين ومائة يوم أن عادوا من جنازة سليمان التيمى ، فسألهم سعيد بن أبى عروبة قائلا : « من أين جئتم ؟ »[(١٨٢)] فقال يزيد بن زريع هذا : « قلنا : من جنازة سليمان التيمى ، فقال : ومن سليمان التيمى ؟ »[(١٨٣)] وقد كان يعرفه من قبل ، ومع ذلك لم يترك يزيد ملازمته ، ولا الرواية عنه ؛ إذ لم يقل هو ذلك ، ولم ينقل أحد عنه مثل هذا .

---

(١٨٠) شرح علل الترمذي ٥٦٧/٢ ، ميزان الاعتدال ١٥١/٢ وتهذيب التهذيب ٦٤/٤ .

(١٨١) شرح علل الترمذي ٥٧٠/٢ .

(١٨٢) تهذيب التهذيب ٦٥/٤ .

(١٨٣) نفس المرجع .

وقد توفى سعيد بن أبى عروبة - رحمه الله تعالى - سنة ست وخمسين ومائة ، وكانت مدة اختلاطه « ثلاث عشرة سنة »(١٨٤) وقد سمع منه بعض الرواة كلاما عجيبا فى وقت اختلاطه ، قال الذهبى فى الميزان : « وقال عمر الحوضى : دخلنا على سعيد بن أبى عروبة أريد أن أسمع منه ، فسمعت منه كلاما ما سمعته ، قال : الأزد أزد عريضة ، ذبحوا شاة مريضة ، أطعمونى فأبيت ، ضربونى فبكيت . فعلمت أنه مختلط ، فلم أسمع منه »(١٨٥) .

الاعتذار عن يزيد ابن زريع في نقله لهذه القصة

أما يزيد بن زريع فقد كان « متقنا .. وكان من أورع أهل زمانه »(١٨٦) ، بل كان «ريحانة البصرة»(١٨٧) كما قال الإمام أحمد ابن حنبل لكنى أقول : إن نقله لهذه الرواية عن سعيد بن أبى عروبة عن قتادة بما ينسب فيها إلى رسول الله ﷺ مما لا يمكن أن يحدث مثله من رسول الله ﷺ لمكانته عليه الصلاة والسلام من العصمة التى حفظه الله بها يجعلنا بين أحد ثلاثه احتمالات من أمره رحمه الله تعالى :

- الاحتمال الأول : إما أن يكون يزيد بن زريع حَدَّثَ بهذه الرواية عن سعيد بن أبى عروبه عن قتادة من باب التساهل ، والتسامح فى التحديث بما نقله شيخه سعيد عن شيخه قتاده من أقواله من باب حفظ التلاميذ لأقوال شيوخهم ، وإذاعتها كما هى لتحميلهم تبعة ماقالوا .

---

(١٨٤) ميزان الاعتدال ١٥١/٢ .
(١٨٥) ميزان الاعتدال ١٥٢/٢ .
(١٨٦) تهذيب التهذيب ٣٢٧/١١ .
(١٨٧) تهذيب التهذيب ٣٢٦/١١ .

– الاحتمال الثاني : وإما أن يزيد هذا حَدَّثَ بذلك لِيُعْرَفَ مصدر هذا القول لئلا يرفع إلى من هو أعلى من قتادة منزلة ، فيكتسب فيما لو كان ذلك شيئا من جلال من يضاف إليه حينئذ .

– الاحتمال الثالث ، وإما أن يزيد بن زريع هذا حدث بذلك بعد أن تغير فى آخر حياته ، دون أن يُلْقي بالاً لما تحمله هذه الرواية من فساد فى المعنى ، وطعن على رسول الله ﷺ ، فقد ذكر الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب أن ابن طاهر « أشار فى ترجمة عباس البحرانى إلى أن يزيد بن زريع تغير بأخره »(١٨٨) .

وهذا هو اللائق فى الاعتذار عنه فيما أرى ، والله أعلم .

حاصل ردنا على ماجاء في الرواية الثانية عن قتادة

وبهذا يظهر أن هذه الرواية ضعيفة عن سعيد بن أبى عروبه بما بيناه آنفا ، كما أنها ضعيفة أيضا بما ذكرناه فى قتادة من قبل .

أما الرواية الثانية ، فهى من طريق معمر بن راشد البصرى عن قتادة بن دعامة – أيضا – إذ هى قول له ، وقتادة سبق الكلام فيه آنفا .

وأما معمر – رحمه الله تعالى – فقد « كان فقيها حافظا »(١٨٩) إلا أن روايته عن العراقيين غير مستقيمة ، وفيها أغاليط ، قال أبو حاتم : « ما حَدَّثَ معمر بالبصرة فيه أغاليط »(١٩٠) وقال يحيى بن معين : « إذا حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهرى ، وابن طاوس ، فإن حديثه

(١٨٨) تهذيب التهذيب ٣٢٨/١ .
(١٨٩) تهذيب التهذيب ٢٤٥/١٠ .
(١٩٠) تهذيب التهذيب ٢٤٥/١٠ .

عنهما مستقيم ، فأما أهل الكوفة ، وأهل البصرة فلا » [١٩١] .

وهذه الرواية يأثرها معمر عن قتادة بن دعامة ، وهو بصرى ، فتكون من جملة ما طعن به فيه ، فترد ، ولا تقبل روايةً بدليل قول هذين الإمامين فى روايته عن العراقيين .

بطلان هاتين الروايتين دراية

كان هذا ما يتعلق برد هاتين الروايتين سنداً ، وقد اتضح مما قدمناه من القول فيهما أنهما باطلتان رواية .

وزيادة فى إظهار عوار هاتين الروايتين نذكر بطلانهما دراية أيضا ليظهر بطلانهما من كل جهة فنقول :

إن الرواية الأولى التى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ، لم تصرح بشىء مما كانوا يكلمون فيه رسول الله ﷺ بل تقول هذه الرواية : « يكلمونه ، ويفخمونه ، ويسودونه ، ويقاربونه » وهذا كله يعنى الثناء عليه بما يعرفه هو فى نفسه ﷺ ، من رفعة المنزلة ، وعلو القدر فيهم شاءوا ذلك أو أبوه ، أظهروه ، أو أخفوه ، وإنما قولهم له « أنت سيدنا ، وابن سيدنا » فيما لو كان ذلك كذلك نوع من المخاتلة ، والخداع يظنون أنهم يثنونه به عما هو عليه من كمال الاخلاص لله عز وجل فى دعوته ، والبعد عما هم به يشركون .

وما جاء فى هذه الرواية من قولهم له فى وصفهم لما جاءهم به « إنك تأتى بشىء لا يأتى به أحد من الناس » مدح ضمنى منهم – وإن لم يكن

(١٩١) نفس المرجع .

صريحا – لما جاءهم به من الهدي ، والنور ، إن كانوا صادقين فى قولهم له أو غَيْرَ صادقين ، وهو يعلم ﷺ يقينا أنه لم يأتهم ، ولن يأتيهم به أحد من الخلق غيره ؛ إذا أنه هو خاتم النبيين والمرسلين ، وهو المبعوث رحمة للعالمين .

حال رسول الله ﷺ في دعوته يشهد ببراءته من المشركين وشركهم بالله

وما جاء فى هذه الرواية – أيضا – من أنهم « مازالوا يكلمونه حتى كاد أن يقارفهم ثم منعه الله ، وعصمه من ذلك » لا يدل على شيء مما يَزْعُمُ الرواة ، والقصاص ، وبعض المفسرين إقحامه على الساحة النبوية المطهرة ؛ لأن هذه العبارة مجملة ، مبهمة لم تبين ما كانوا يكلمون فيه رسول الله ﷺ ، ولا ما كانوا يطلبونه منه ، ولا ما كاد يقارفهم فيه ، فيما لو كاد فعلا ، بل لا مسوغ لتحميله تبعة أهوائهم ، وانحراف أفئدتهم ومرض قلوبهم فيما لو طمعوا فى أن يصرفوه عما هو فيه ، من خير ، وهدى ؛ لأن ديدن الكفار أن يفعلوا ذلك لو استطاعوا منذ كانوا ، ورسول الله ﷺ لم يقرب منهم فى شيء مما كانوا يؤملون ، بل إن حاله معهم بعد دعوته لهم إلى إخلاص العبادة لله وحده ، وبغضه لآلهتهم ، ونفوره منها ، وبعده عنها ، وتحذيره منها ، وزجره المشركين عن عبادتها ، والتقرب بها الى الله ، وشَقَاءَهُ بهم كل ذلك كان بسببها ، وإن حاله ﷺ معهم فى ذلك كله لَيَشْهدُ بنزاهته ، من الميل إلى آلهتهم ويعلن براءته منها ، ومن أهلها .

والعجب كيف يجرؤ عاقل على زعم ما يذكرون فى هذه الرواية ، وينسب ذلك إلى رسول الله ﷺ ؟!!

اللهم إنا نبرأ إليك من الكفر ، والكافرين ، والشرك ، والمشركين .

الإبهام يَلُفُّ الروايتين في ردائه

وهذا الإبهام ، والإجمال الذى جاء يَلُفُّ هذه الرواية من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة ، فكان دليلا على عدم ظهور معناها ، وورد - أيضا - فى الطريق الأخرى لهذه الرواية من طريق معمر عن قتادة إبهامٌ مثله ، إذ جاء فيها « فأرادوه على بعض مايريدون ، فَهَمَّ أن يقارفهم فى بعض مايريدون ، ثم عصمه الله » كما هو ظاهر منها فيما سبق حين أوردناها آنفا ، فلم تصرح هذه الرواية من هذا الطريق - أيضا - بشىء مما يريدون ، ولا مما همَّ أن يقارفهم فى بعضه .

وبذلك يتفق متن هاتين الروايتين عن قتادة من طريق كل من سعيد ، ومعمر على إبهام ماكان المشركون يكلمون فيه رسول الله ﷺ ، ولا يدرك المبهم - على زعم وقوع الحادثة جدلاً - إلا ببيان ممن صدر منه الكلام ، ولا بيان منه هنا لذلك ، فمن أين جاء القصاص ، والرواة ، والمفسرون بما يزعمون هنا ؟! وكيف فسروا الإبهام بما يذكرون مع ما فى هاتين الروايتين من تنقص لمقام النبوة المطهرة ؟!

بحث المشركين عن مخرج لكسب مواقفهم المعلنة

ولِمَ لم ينظروا إلى أن لفظ الروايتين يدل جهاراً على نوع من تنازل المشركين من قريش ، وتواطئهم لرسول الله ﷺ ، وأنهم هُمْ الذين بَدَأوا يقاربونه ، ويتوددون اليه فى كلامهم معه بالاعتراف له فى المواجهة علنا بإظهار مكانته السامية فيهم ، ومكانة والده ، والشهادة له فيما بينهم ، وبينه بعظم ماجاءهم به ، إذ تقول الرواية الأولى « يكلمونه ويفخمونه ،

ويسودونه ، ويقاربونه » وكان من كلامهم معه فيها - على زعم وقوعها جدلاً - قولهم له « إنك تأتى بشىء لا يأتى به أحد من الناس وأنت سيدنا ، وابن سيدنا » ؟ فأى تلطف ؟ وأى تفخيم ؟ ، وأى تسويد ؟ ومقاربة ومدح له ، ولوالده ، ولما جاءهم به يمكن أن يصدر منهم نحوه ، أظهر ، وأعظم من هذا سواء أكانوا صادقين فيما يظهرون ، أم كانوا كاذبين فيما يضمرون ؟! .

وهذه العبارة الأخيرة من قولهم له - على زعم وقوعها جدلاً - « أنت سيدنا ، وابن سيدنا » جاءت بنصها فى الرواية الثانية التى من طريق معمر عن قتادة .

نجاح باهر ، وفشل ذريع

وهذا يدل على أنهم كانوا يتمنون أن لو وجدوا مخرجا يرضاه رسول الله ﷺ يجمع بينهم ، وبينه تطيب به أنفسهم ، ليحفظوا به ماء وجوههم عند قومهم كسبا لمواقفهم المعلنة منه ، ومن دعوته التى أخذت تنساب فى القلوب انسياب الروح فى الجسد ، ونمير الماء فى العروق ، وتنداح بين الناس انداح نور الشمس فى الأرض .

وقد كانوا يعرضون عليه المال ، والجاه ، والسلطان ، وتزويجه أجمل نسائهم ، وتطبيبه إن كان به رئيا من الجن ، ليكف عن ذكر آلهتهم بما يكرهون .. لكن جميع محاولاتهم الخادعة ، الغادرة ، ومحاوراتهم الحاقدة كانت تفل بعزم رسول الله ﷺ ، وتطير هباء ، وتفلج بحججه الباهرة ، وبراهينه الساطعة ، فعلام إذن نرضى بما تدعيه هذه الروايات

الباطلة من ساقط القول ، ومنكره فى حقه ﷺ ، وهو برىء مما ذكر فيها براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام ؟!! .

تحقيق لغوي بارع في بيان معنى المقارفة

وزيادة فى إظاهر بطلان المعنى الذى عناه رواة هذه القصة ، وإبعاده عن حمى النبوة المطهرة أقول : إنه حتى على افتراض وقوع هذه القصة جدلاً - وهى كما ظهر مما قدمناه لم تصح سنداً - فإن تفسير المقارفة بالمقاربة ، وجعل هذا هو المراد بالقصة ضيق فى الفكر ، وقصور فى الأفق العلمي بلغة العرب ما كان ينبغى الوقوف عنده ، ولا الاقتصار عليه ؛ لأن للفظ « المقارفة » مَعَانِيَ أخرى ذكرها علماء اللغة وفحول العربية غير المقاربة التى زعم الرواة أنها هى المعنى المقصود فى قول قتادة فى هذه الرواية ، إذ مادة « قرف » التى اشتق منها لفظ « المقارفة » من معانيها - أيضا - مايلى :

أولاً ، النَّكْأُ ، قال ابن السكيت فى كتابه إصلاح المنطق : « القرف : مصدر قرفت الشىء والقرحة أقرفها قرفا : إذا نكأتها »[١٩٢]

وقال ابن دريد فى جمهرة اللغة مثل ذلك وزاد : « حتى تدمى »[١٩٣] أى أنه قال : « والقرف مصدر قرفت القرحة ، وغيرها ، أقرفها قرفا ، إذا نكأتها حتى تدمى » .

---

(١٩٢) اصلاح المنطق ص ٥١ ، وانظر أيضاً لسان العرب ٢٧٩/٩ . وتهذيب اللغة ١٠٢/٩ .

(١٩٣) جمهرة اللغة لابن دريد ٤٠٠/٢ .

وقال ابن منظور – فى لسان العرب – : « نكأَ القرحة ينكؤها نكأً : قشرها قبل أن تبرأ فَنَدِيتْ »(١٩٤) ثم استشهد لذلك بقول متمم بن نويرة فقال : « قال متمم بن نويرة :

قَعِيدَكِ أنَ لا تُسْمِعِينى مَلامةً

ولا تَنْكَئِى قَرْحَ الفؤاد فييجعا »(١٩٥)

وهذا يعنى أن فى النكأ غلظة ، وشدة جارحة حسية كما فى قشر القرحة قبل أن تبرأ ، أو معنوية كما فى نكأ الجروح القلبية ، وإثارة الكوامن النفسية بسبب اللوم ، أو الاتهام بالكذب ، أو العيب ، أو الذنب أو الرمى بفعل يشين .

ثانيا ، القرف بمعنى الرمى بالذنب ، أو بالعيب ، أو الاتهام بالشىء ، قال الأزهرى فى تهذيب اللغة : « قال ابن السكيت : قرفت الرجل بالذنب قرفا ، إذا رميته به »(١٩٦) .

(١٩٤، ١٩٥) لسان العرب ١٧٣/١ ومتمم بن نويرة ابن جمرة اليربوعي التميمي صحابي ، رثى أخاه مالك بن نويرة بمراث حسان بعد أن قتله خالد بن الوليد على الردة . وقد عده ابن سلام أول شعراء طبقة أصحاب المراثي . طبقات فحول الشعراء ٢٠٣ ، الاصابة ٣٦٠/٤ قعيدك ، أصله قعيدك الله وهو من أيمان العرب مثل قولهم نشدتك الله .

فييجعا أصل الفعل وجع يوجع في لغة أهل الحجاز ، قال الانباري : « أهل الحجاز يقولون وَجعَ يَوْجَعُ ، ووَجِلَ يَوْجَل يقرؤون الواو على حالها إذا سكنت وانفتح ماقبلها . وبعض قيس يقولون وَجِلَ يأجل ، ووحل يأحل ووجع يأجع. وبنو تميم يقولون وجع ييجع ووجل ييجل وهي شر اللغات ، والأولى أجودهن »
المفضليات تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ، عبد السلام محمد هارون ٦٩/٢ .

(١٩٦) تهذيب اللغة ١٠٢/٩ .

وقال الفارابى فى كتابه ديوان الأدب : « وقرف فلان فلانا : أى عابه كأنه قشره »[١٩٧] .

وقال ابن منظور فى لسان العرب : « وقرفت الرجل أى عبته ، ويقال : هو يقرف بكذا أى يرمى به ، ويتهم ... وقرف فلان فلانا إذا وقع فيه ... وقرفه بالشىء اتهمه »[١٩٨] .

أقول : ومن هذا المعنى الأخير ماجاء فى الحديث الذى أخرجه أبو اسحاق الحربى فى كتابه غريب الحديث بسنده من طريق محمد بن جحاده قال : « سمعت الحسن قال : كان النبى ﷺ لا يأخذ بالقرف »[١٩٩] قال : أى بالتهمه »[٢٠٠] .

وبهذا المعنى فسره – أيضا – ابن الأثير فى النهاية ، وابن منظور فى لسان العرب .

ثالثا ، ومن معانى « قرف » أيضا الكسب والاكتساب ، وفعل الشىء ، سواء كان ذنبا أم غيره ، قال ابن منظور فى لسان العرب : « وقرف الذنب ، وغيره ، يقرفه قرفا ، واقترفه : اكتسبه »[٢٠١] .

أقول : وهذا يرجع إلى معنى المقاربة ؛ لأن الاكتساب وفعل الشىء لا يكون إلا بمقاربته ، ثم مقارفته .

---

(١٩٧) ديوان الأدب ١٧٤/٢ .

(١٩٨) لسان العرب ٢٨٠/٩ .

(١٩٩) غريب الحديث للحربي ٣٦٤/٢ وانظر النهاية ٤٦/٤ ، لسان العرب ٢٨٠/٩ .

(٢٠٠) غريب الحديث للحربي ٣٦٨/٢ .

(٢٠١) لسان العرب ٢٧٩/٩ - ٢٨٠ .

رابعا ، ويظهر من نقل علماء اللغة فى المعاجم ، وتفسيرهم لمعنى « قرف » عند تعديتها بحرف الجر الدال على الاستعلاء ، وهو « على » أنه يدل على أحد معنيين :

أحدهما « البغي » بمعنى التَّعَدِّي على الآخرين ، وتجاوز الحد فى ذلك ، قال ابن منظور : « قال الأصمعى : قرف عليه ، فهو يقرف قرفا : إذا بغى عليه »(٢٠٢) .

وهذا يدل على أن المقارفة على هذا المعنى هى المباغاة ، وهى المفاعلة ، بمعنى أن كلا من الطرفين يحاول جاهدا أن يبغي على الطرف الآخر ، ويتطاول عليه ، ليكون له الغلب .

والمعنى الآخر هو الدلالة على « الكذب » ، قال ابن منظور فى اللسان : « وقرف عليه قرفا : كذب »(٢٠٣) .

وقال فى تاج العروس شَرْحاً لما ورد فى القاموس : « وقرف عليهم قرفا إذا كذب »(٢٠٤) .

فالمقارفة على هذا المعنى هى المكاذبة ، بمعنى أن كلا من المشتركين فى الفعل يُكَذِّبُ الآخر فيما جاء به .

خامسا ، ومن معانى « قرف » – أيضا – مجيؤها بمعنى قَمِنَ ، المفسر بِحَرِيٍّ وخَلِيق ، وجدير بكذا ، سواء عُدِّيَ بأن المصدرية كما فى قولهم

(٢٠٢) لسان العرب ٢٨٠/٩ .

(٢٠٣) نفس المرجع .

(٢٠٤) تاج العروس ٢١٩/٦ .

« هو قَرَفٌ أن يفعل كذا أيْ : خليق »[٢٠٥] ، أم عُدِّى بمن ، أم عُدِّى بالباء كما فى قولهم « ورجل قَرَفٌ من كذا ، وقَرَفٌ بكذا أى قَمِنٌ ، قال :

والمرء مادامـــت حُشَاشَتُه

قَرَفٌ من الحدثان[٢٠٦] والألم »[٢٠٧]

سادسا ، فسر الزبيدى – فى تاج العروس – التقارف بالتزاجر ، فقال : « وتقارفوا : تزاجروا »[٢٠٨].

وهذا يدل على أن من معانى المقارفة : المزاجرة – أيضا – التى تكون عند تشاحن الأنفس ، وتضايق القلوب ، وحرج الصدور .

ويؤيد هذا القول ماجاء فى الحديث : « أن جاريتين كانتا تغنيان بما تقارفت به الأنصار يوم بعاث »[٢٠٩] ، أى بما تقاولت ، وتهاجت به من الأشعار .

وقوله فى هذا الحديث « بما تقارفت به » نص فى الدلالة على أن المقارفة هى المهاجاة التى تبعث المعايبة ، والمزاجرة بين القوم .

---

(٢٠٥) لسان العرب ٢٨٠/٩ .

(٢٠٦) معنى البيت : أن المرء مادامت فيه بقية من الروح فإنه قمن أن تنزل به نوائب الدهر ، وآلامه .

(٢٠٧) لسان العرب ٢٨٠/٩ .

(٢٠٨) تاج العروس ٢٢٠/٦ .

(٢٠٩) لسان العرب ٢٨٢/٩ .

ومما يؤيد تفسير المقارفة بالمزاجرة – أيضا – ما جاء فى حديث الخوارج : « إذا رأيتموهم فاقرفوهم ، واقتلوهم » (٢١٠) .

قال ابن الأثير – فى النهاية – مفسراً هذا الحديث : « هو من قرفت الشجرة إذا قشرت لحاءها ، وقرفت جلد الرجل إذا اقتلعته ، أراد استأصلوهم » (٢١١) .

وإتماماً لما أوردته من معان لغوية للفظ « قرف » الذي وقفت عقول رواة هذه القصة عند أحد معانيه اللغوية أقول : إن ابن مالك قد أورد – فى كتابه إكمال الإعلام بتثليث الكلام – خمسة معان لكلمة « قرف » حيث قال : « قرف : بمعنى قشر ، وبمعنى كسر ، وبمعنى خلط ، وبمعنى بغى ، وبمعنى اتهم » (٢١٢) .

وهذه المعانى تدخل – فى جملتها – فيما نقلناه آنفا من معان لهذا الحرف عن أئمة اللغة ، وشيوخ العربية .

اصطفاء المعنى اللغوي المناسب لحال رسول الله ﷺ هو الأصل عندنا

وعلى هذا فمما تقدم يظهر جليا أن قَصْرَ معنى لفظ « المقارفة » الوارد فى قول قتادة بن دعامة السدوسى فى هذه الرواية من طريقيها على المقاربة ، وجعل هذا المعنى هو المعنى المراد بما ورد فى هذه الرواية هو قِصَرُ نَظَرٍ ، وتحكم لا يؤيده نقلٌ ، ولا عَقْلٌ ، وكان اللائق ، والأولى بالرواة أولاً ، وبالناظرين فى هذه الرواية من مفسرين وغيرهم ثانيا – على زعم

---

(٢١٠) لسان العرب ٢٧٩/٩ ، والنهاية ٤٧/٤ .

(٢١١) النهاية ٨٤/٤ .

(٢١٢) إكمال الإعلام لابن مالك ٥٠٧/٢ .

حدوثها وهى لم تصح والحمد لله كما بينا لك ذلك آنفا – أن ينظروا فى معاني هذا اللفظ لغة ، ويصطفوا منه المعنى المناسب لحال رسول الله ﷺ ، واللائق بمقام النبوة المطهرة ، فيقدموه على ما سواه ، ليكون هو المعنى المراد بالرواية فيما لو صحت ، إذ هو المظنون فعله من رسول الله ﷺ ، لا أن يزعموا – والعياذ بالله مما زعموا – أنه همَّ بالاستجابة للمشركين فى شركهم ، وكفرهم بالله ؛ لأن مثل هذه الفرية الظالمة ، والزعم الباطل ، لا يمكن أن يخطر لرسول الله ﷺ على بال ، لما فيه من هدم لدعوته ، وإبطال لرسالته ، ومخالفة لأمر ربه ، وما كان لمسلم ، ولا مسلمة أن يظن رسول الله ﷺ بشيء من ذلك أبداً .

والمعلوم لكل أحد أن المشركين عابوا رسول الله ﷺ، بأنه ليس على دين قومه وأنهم كذبوه فيما جاءهم به من عند الله ، ورموه ظلما ، وعدوانا بكل الأوصاف المستكرهة والمنكرة عندهم ، واتهموه فى عقله ، ليصرفوا الناس عنه ويمنعوهم من الإيمان به ، واتباع شرعه فقالوا – كما أخبر الله عنهم – : (ساحر كذاب)[٢١٣] وقالوا : (معلم مجنون)[٢١٤]، وقالوا : (شاعر نتربص به ريب المنون)[٢١٥] ، وقالوا ، وقالوا ، غير ذلك من الأوصاف المنكرة ، وما جلسوا إليه ، وتحدثوا معه إلا عرضوا عليه من أمور الدنيا ما يحسبون أنهم يثنونه به عن دعوته ،

---

(٢١٣) سورة ص ٤ .

(٢١٤) سورة الدخان ١٤ .

(٢١٥) سورة الطور ٣٠ .

ويصرفونه ببهرجه وبريقه عن رسالته ، بل كان من عادتهم الإستهزاء به إذا رأوه ، فقد أخبره الله تعالى بذلك عنهم كشفا لحالهم ، وإظهاراً لمرض قلوبهم ، وبيانا لحقدهم الدفين عليه ﷺ بسبب دعوته لهم إلى إخلاص العبادة لله وحده ، فقال تعالى محذراً له منهم ، ومعزيا له عما يلقاه منهم من صد ، وصدود ، وكفر ، وجحود (وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى يذكر آلهتكم ؟)(٢١٦) وقال أيضا : (وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا أهذا الذى بعث الله رسولا ؟ إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها)(٢١٧) .

أبعد كل هذا البيان البالغ من الله تعالى عن حال المشركين مع رسول الله ﷺ وتحذيره له منهم ، وتنبيهه على ما يضمرونه له من كيد ، وعداوة ليأخذ حذره ، ويعد لهم عدته ، يزعم زاعم أن لمثل هذه الأقاصيص الكاذبة ، والأقاويل الضالة ظلا من الواقع ، وهى أبعد ما تكون من ذلك كله ؟!! .

اللهم ارزقنا حسن الفهم لكلامك العظيم ، وخير الأدب مع خير خلقك ، وأفضل رسلك ، وسيد ولد آدم أجمعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين .

ماقيل من أنها نزلت في ثقيف

كان ما قدمناه – آنفا – من الروايات هو ما يزعمون فيه أن هذه الآيات التى نحن بسبيل البحث فيها من سورة الإسراء نزلت فى قريش .

---

(٢١٦) سورة الأنبياء ٣٦ .

(٢١٧) سورة الفرقان ٤١ ، ٤٢ .

أما الرواية التى يذكرون فيها أنها نزلت فى ثقيف ، فأخرجها الطبرى – أيضا – بإسناده ، فقال : « حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذا لا تخذوك خليلا) وذلك أن ثقيفا كانوا قالوا للنبى ﷺ: يارسول الله أجلنا سنه حتى يهدى لآلهتنا ، فإذا قبضنا الذى يهدى لآلهتنا أخذناه ، ثم أسلمنا ، وكسرنا الآلهة ، فهم رسول الله ﷺ أن يعطيهم ، وأن يؤجلهم ، فقال الله (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) »[(٢١٨)] .

وعزاه السيوطى فى الدر المنثور[(٢١٩)] إلى ابن جرير ، وابن مردويه عن ابن عباس أيضا . واقتصر فى كتابه لباب النقول فى أسباب النزول على عزوه إلى ابن مردويه ، فقال : « أخرجه ابن مردويه من طريق العوفى عن ابن عباس »[(٢٢٠)] ثم علق عليه قائلا : « وإسناده ضعيف »[(٢٢١)] .

ونسب الواحدى – فى أسباب النزول – هذا القول من طريق عطاء إلى ابن عباس فى شىء من التفصيل والزيادة فى العبارة ، والتعنت فيما كانوا يطلبون من رسول الله ﷺ فقال : « قال عطاء عن ابن عباس : نزلت فى وفد ثقيف ، أتوا رسول الله ﷺ ، فسألوا شططا ، وقالوا : متعنا

---

(٢١٨) تفسير الطبري ٣٠/١٥ .
(٢١٩) الدر المنثور للسيوطي ٣١٩/٥ .
(٢٢٠) لباب النقول ١٤٠ .
(٢٢١) نفس المرجع .

باللات [٢٢٢] سنة ، وحرم وادينا كما حرمت مكة ، شجرها ، وطيرها ، ووحشها ، فأبى ذلك رسول الله ﷺ ، ولم يجبهم ، فأقبلوا يكثرون مسألتهم ، وقالوا : إنا نحب أن تعرف العرب فضلنا عليهم ، فإن كرهت ما نقول ، وخشيت أن تقول العرب : أعطيتهم ما لم تعطنا ، فقل : الله أمرني بذلك . فأمسك رسول الله ﷺ عنهم ، وداخلهم الطمع ، فصاح عليهم عمر : أما ترون رسول الله ﷺ أمسك عن جوابكم ، كراهية لما تجيئون به . وقد همَّ رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك ، فأنزل الله هذه الآية » [٢٢٣] .

ونسب الواحدى – أيضا – فى كتابه الوجيز فى تفسير القرآن العزيز هذا القول إلى ابن عباس أيضا [٢٢٤] ولم يذكر عطاء ، كما لم يذكر لهذا القول المنسوب إلى ابن عباس رضى الله عنه إسناداً فى تفسيره الكبير المسمى « البسيط » [٢٢٥] فهو بهذا من قبيل الموقوفات فيما لو صح إسناده إلى ابن عباس – وقد أعاذنا الله من صحته كما سأبين ذلك فيما يلى – أو هو من قبيل المقاطيع إن قصر به السند على عطاء ، أو عطية العوفى وهو فى كلا الحالين لا تقوم بمثله حجة عند أهل العلم بالحديث المحققين من العلماء ، هذا فيما لو لم يذكر العلماء له سنداً إلى ابن عباس رضى الله عنهما بالمرة .

(٢٢٢) اللات اسم صنم كان لهم بالطائف .

(٢٢٣) أسباب النزول للواحدي ١٦٧ .

(٢٢٤) الوجيز في تفسير القرآن العزيز للواحدي بهامش مراجع لبيد ٤٨٥/١ .

(٢٢٥) البسيط للواحدي المجلد الثالث لوحة ١٥٩ ميكروفلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القري ، مصور من المكتبة الأزهرية رقم ٣٠٣ .

بطلان هذه الرواية إسناداً

أَمَا وَقَدْ ذكر الطبرى – رحمه الله – سنده إلى ابن عباس ، فإنه قد دلنا على عواره بذكر رجاله ، ورفع عن نفسه حرج ذكره فى تفسيره ، إذ هو عنده مسلسل بالضعفاء فمحمد بن سعد شيخ الطبرى فى هذا الأثر هو العوفى ، المتوفى سنة ست وأربعين ومائتين هجرية « كان لينا فى الحديث »[٢٢٦] كما قال الخطيب البغدادى فى ترجمته لهذا الرجل فى تاريخ بغداد .

وأبوه الذى هو شيخه فى هذا الأثر – أيضا – هو سعد ابن محمد بن الحسن ، وصفه الإمام أحمد – رحمه الله – بأنه « جهمى »[٢٢٧] وزاد فى بيان حاله ، والطعن فيه للتحذير من روايته فقال : « ولو لم يكن هذا – أيضا – لم يكن ممن يستأهل أن يكتب عنه ، ولا كان موضعا لذاك »[٢٢٨]، ونقله عنه الحافظ ابن حجر فى لسان الميزان أيضا ، وأقره[٢٢٩] .

وأما عمه ، أى عم سعد الذى يروى سعد عنه هذا القول ، فهو الحسين بن الحسن بن عطية العوفى ، وقد قال الذهبى فيه فى ميزان الاعتدال : « ضعفه يحيى بن معين ، وغيره »[٢٣٠] .

---

(٢٢٦) تاريخ بغداد ٣٢٣/٥ .

(٢٢٧) تاريخ بغداد ١٢٧/٩ . والجهمي هو « من ينفي صفات الله تعالى التي أثبتها الكتاب والسنة ، ويقول إن القرآن مخلوق » هدي الساري للحافظ ابن حجر ٤٥٩ .

(٢٢٨) تاريخ بغداد ١٢٧/٩ .

(٢٢٩) لسان الميزان ١٩/٣ .

(٢٣٠) ميزان الاعتدال ٥٣٢/١ .

ووصفه ابن حبان – في كتابه المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين – فقال : « منكر الحديث يروى عن الأعمش ، وغيره أشياء لا يتابع عليها ، كأنه كان يقلبها ، وربما رفع المراسيل ، وأسند الموقوفات ، ولا يجوز الاحتجاج بخبره »(٢٣١) .

وأما أبوه ، أى أبو الحسين الذى يروى الحسين عنه هذا القول ، فهو الحسن بن عطية العوفى الذى وصفه أبو حاتم بقوله « ضعيف الحديث »(٢٣٢) . وقال البخارى فيه : « ليس بذاك »(٢٣٣) وقال ابن حبان فيه أيضا : « منكر الحديث ، فلا أدرى البلية فى أحاديثه منه ، أو من أبيه ، أو منهما معا ، لأن أباه ليس بشىء فى الحديث وأكثر روايته عن أبيه ، فمن هنا اشتبه أمره ، ووجب تركه »(٢٣٤) .

وأما أبوه ، أى أبو الحسن الذى يروى الحسن عنه هذا القول ، فهو عطية بن سعد بن جناده العوفى المتوفى سنة ١١١ هـ .

وقد ضعفه الإمام أحمد(٢٣٥) ، وأبو داود(٢٣٦) والنسائى(٢٣٧) ، وأبو حاتم(٢٣٨) ، و « كان هشيم يتكلم فيه ، ويضعف حديثه »(٢٣٩) .

(٢٣١) المجروحين ٢٤٦/١ .
(٢٣٢) ميزان الاعتدال ٥٠٣/١ .
(٢٣٣) نفس المرجع .
(٢٣٤) المجروحين ١٧٦/١ .
(٢٣٥) تهذيب التهذيب ٢٢٥/٧ .
(٢٣٦) نفس المرجع .
(٢٣٧) نفس المرجع .
(٢٣٨) نفس المرجع .
(٢٣٩) نفس المرجع .

وقال ابن حبان في وصفه : « لا يحل الاحتجاج به ، ولا كتابة حديثه ، إلا على جهة التعجب »(٢٤٠).

من أنواع الغش في الرواية

ومما يطعن به في عطية بن سعد العوفي هذا – أيضا – أنه « كان يجالس الكلبي ، ويحضر قصصه بصُفَّتِهِ ، فإذا قال الكلبي : قال رسول الله ﷺ كذا ، يحفظه عطية بن سعد هذا ويرويه عن الكلبي عن رسول الله ﷺ ، ويكنيه – أي يكنى الكلبي – فيما يرويه عنه أبا سعيد لإيهام الناس والرواة عنه بأنه يريد الصحابي الجليل أبا سعيد الخدرى رضى الله عنه ، وهو لهم غاش ، وكاذب ، فإذا قيل له : من حدثك بهذا ؟ يقول : حدثني أبو سعيد ، فيتوهمون أنه يريد أبا سعيد الخدرى – رضى الله عنه – لأنه روى عنه – أيضا – وإنما كان يريد بقوله ذلك الكلبيَّ »(٢٤١) الذى اخترع هو له هذه الكنية الوهمية الكاذبة بقصد التلبيس ، والإيهام والغش في الرواية .

وقد اعترف عطيه العوفي نفسه بهذا للكلبي صراحة ، فقد قال الكلبي : « قال لي عطية : كنيتك بأبي سعيد ، فأنا أقول : حدثني أبو سعيد »(٢٤٢) .

---

(٢٤٠) المجروحين ١٧٦/٢ والمراد بالتعجب : الاستغراب .

(٢٤١) المجروحين ٨١/١ ، ١٧٦/٢ ، وتهذيب التهذيب ٢٢٥/٧- ٢٢٦ ، الضعفاء الكبير للعقيلي ٣٥٩/٣ « بتصرف » .

(٢٤٢) المجروحين ٨١/١ .

(٢٤٣) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٢٠٠٧/٥ ، تهذيب التهذيب ٢٢٥/٧ .

اعتراف الكلبي بالكذب

وقال الإمام أحمد : « بلغنى أن عطية كان يأتى الكلبى ، ويسأله عن التفسير ، وكان يكنيه بأبى سعيد ، فيقول : قال أبو سعيد »[(٢٤٣)] .

وقد أقدم عطيه العوفى على فعل هذا الخبال بعد أن مات أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه ، كما أفاد الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب نقلا عن ابن حبان[(٢٤٤)] .

وجه خطر مثل هذه الأكاذيب

وإسناد هذا حاله ، ووصف رجاله لا يحتج به ، ولا يقبله أهل العلم بالحديث ، ولا يصح أن يورد متنه لتقرير قضية علمية ،ولا لإثبات حادثة تاريخية ، فضلاً عن أن ينسب فيه أمر إلى رسول الله ﷺ ، يزعم فيه – والعياذ بالله – أن رسول الله ﷺ أقر المشركين على شركهم ، وكفرهم بالله سنة – وحاشاه من ذلك – وقد بعثه الله عز وجل لهدم الشرك ، ومحو آثاره من الأرض ، بإقامة التوحيد الخالص لله رب العالمين وحده لا شريك له .

أما والله لو كنت فى زمان هذا الرجل لغزوته على نشره مثل هذه الأباطيل فى عقيدة التوحيد .

الاعتذار عن ذكر الطبري مثل هذه الرواية في تفسيره

ولا إخال الطبرى – رحمه الله – أدخل هذا القول فى تفسيره إلا من باب التنبيه على بطلان هذا القول بذكر رواته ، لأن العلماء فى عهده كانوا على دراية تامة ، وعلم كامل بأسماء ، وأحوال هؤلاء الرجال ، وغيرهم من نقلة الآثار .

---

(٢٤٤) تهذيب التهذيب ٢٢٥/٧ - ٢٢٦ .

وجوه بطلان هذه الرواية دراية

وأما بطلان هذه الرواية دراية فمن وجوه أبينها فيما يلى :

إبطالها عقلياً

الوجه الأول ، بطلانها من الناحية التاريخية ، والواقعية ، وهو إن كانت هذه الآيات مكية – وهذا هو القول الصحيح عند أهل العلم بالقرآن – فلا يمكن قبول ما تزعمه هذه الرواية من أن ثقيفا طلبوا من رسول الله ﷺ أن ينظرهم ويؤجل دخولهم فى الاسلام سنة ، لأن طلب الإمهال ، ورجاء التأجيل ، إنما يلجأ إليه – غالبا – الجانب الأضعف تلمسا للفوز برغبته ، وكسبا للوقت ، درءاً لما قد يلحقه من ضرر بالغ من الجانب الأقوى منه عدداً وعدة .

وهذا الأمر لم يكن قد تهيأ لرسول الله ﷺ فى مكة قبل الهجرة – وإن كان رسول الله ﷺ هو الأقوى بربه ، والأعز بالالتجاء إليه ، المحفوظ بعصمة الله له منهم – إذ لم يكن عليه الصلاة والسلام من الناحية العسكرية ، ولا من الناحية المادية فى موقع يلجؤهم منه إلى طلب التودد إليه ، ورجاء الامهال منه ، خوفا مما عساه أن يلحقهم منه من أذى إن لم يهادنوه ، ويخطبوا وده ، ويرجوا السلامة من طولته .

وهذا يعنى بل يعلن صراحة عدم واقعية ما تحمله هذه الرواية من معنى لمخالفتها لمقتضى حال رسول الله ﷺ ، وحال أعدائه آنذاك .

وهذا دليل بيِّنٌ واضح من محتوى هذه الرواية على بطلانها ، واختلاقها .

الرد على من يزعم أن رسول الله ﷺ أقر ثقيفاً على الكفر سنة وهو في المدينة

الوجه الثانى ، إن كانت هذه الآيات مدنية ، كما أشار إلى ذلك السيوطى فى لباب النقول ، وهو قول لم نر أحداً قال به غيره ، فلا يمكن قبول هذه الرواية ، ولا ما تحمله من معنى أيضا ، لأن رسول الله ﷺ ، لم يقر أحداً على الشرك بالله ، والكفر به – وما كان ليفعل ذلك ، ولا ليفكر فى شىء منه ، ولا ليخطر له على بال أبداً – وهو فى مكة ، ولما تقو شوكته ، فكيف يُزْعم أنه همَّ – وحاشاه من ذلك – بإقرارهم على الكفر بالله سنة ، وهو فى المدينة ، وقد أظهره الله على المشركين ، وأعلى كلمته ، وجرد سيفه بأمر ربه على رقاب أعداء الله وسوله ، فأخمد نارهم ، وكسر شوكتهم ، واستأصل شأفتهم ، فجاءته وفود العرب خاضعة ذليلة ، تعلن اسلامها ، وتبسط بين يديه أردية الطاعة ، والولاء ، وتقدم له آيات الود ، والموادعة ، تطلب رفده ، وتستنصره على عدوه وعدوها ؟! .

إبطال هذه الرواية تاريخياً وعقليا

الوجه الثالث ، ومما ينادى باختلاق هذه الرواية دراية – أيضا – ماجاء فيها من أن ثقيفا طلبوا من رسول الله ﷺ أن يحرِّم واديهم ، كما حرم مكة شجرها ، وطيرها ، ووحشها . ووجه ذلك أن هذا الطلب باطل تاريخيا ، وعقليا أيضا . إذ أن ثقيفا ، وسائر العرب ، والعجم يعلمون يقينا ، وبحق أن مكة حَرَمٌ أرضها ، وشجرها ، وطيرها ، ووحشها محرم كل ذلك منها ، وغيره من قبل أن يولد رسول الله ﷺ ، وأنه لم يحرمها هو ، وأكبر شاهد على ذلك تعظيم العرب كلهم لمكة ، واعترافهم بحرمتها قبل الإسلام وذلك « أن الرجل منهم كان يرى قاتل أخيه ، وأبيه ،

ولا يطلبه بثأره فى الحرم »[٢٤٥] .

الامتنان على أهل الحرم بنعمة الأمان الذي جعله الله فيه وأمر باحترامه

وقد امتن الله عز وجل على قريش بهذه النعمة العظيمة التى كانوا يتفيأون ظلالها ، وينعمون ببركاتها ، ويتقلّبون فى نعيمها ، ويأمنون على أرواحهم وأموالهم ، وتجاراتهم بسببها ، والناس يُتَخَطَّفُون من حولهم وقد ذَكَّرَهم الله بها تأليفا لقلوبهم ، فقال حثا لهم على الدخول فى الإسلام : (أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون)[٢٤٦] .

وما علمه أهل مكة من هذا التحريم القديم لمكة علمه غيرهم من سائر العرب ، وقاموا عنده وقَدَّرُوهُ قَدْرَه ، بل عرفوا ذلك التكريم لقريش عموما لسكنهم الحرم فَأَمّنوا تجارتها ، وتحاشوا الإغارة عليها فى رحلتى الشتاء ، والصيف .

عقلاء ثقيف لايرضون أن يجعلوا انفسهم في مقام الجهل بما تعالمه الناس

لا يقال إنهم طلبوا ذلك من رسول الله ﷺ تعنتا أو لفرط جهلهم بالله تعالى وتجرئهم عليه ؛ لأنا نقول : إن ثقيفا لن ترضى ، أو أن عقلاءهم لن يرضوا آنذاك أن يجعلوا أنفسهم فى مقام الجهل بما تعالمه الناس توارثا ، وتواترا من حرمة مكة قبل الاسلام ، لما يلحقهم بذلك فيما لو تقحموا القول به من طعن وازدراء عند سائر العرب ؛ لأنهم أقرب الناس من الحرم دارا ، وأكثرهم بأهله خلطة واتجارا .

---

(٢٤٥) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب ٢٢٩/١ « بتصرف » .

(٢٤٦) سورة العنكبوت ٦٧ .

ظهور الاستهزاء في هذه الرواية يعلن بطلانها

الوجه الرابع ، ومما يُظْهِرُ عوارَ هذه الرواية - أيضا - ويفضح كذبها ، ويعلن بطلانها دراية - بالإضافة إلى ما ذكرناه آنفا من استحالة إمكان إقرار رسول الله ﷺ لهم على الكفر بالله سنة ، بل ولا لحظة من الزمن لما فى ذلك من هدم لقواعد شريعته ، وتعطيل لوجوب تبليغ رسالته ، ومخالفةٍ لأصل دعوته المبنية على إخلاص العبادة لله وحده - ماجاء فى آخر هذه الرواية من قولهم فيها : « وقد همَّ رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك » إذ كيف يتصور ، بل كيف يظن من لديه مسكة من عقل من المسلمين أن ينسب إلى رسول الله ﷺ أنه هم - وحاشاه مما يزعمون - بإجابتهم إلى إبقائهم على الكفر بالله ، وهم يأمرونه أن يكذب على الله تعالى بقولهم له - فيما تزعم هذه الرواية - « فإن كرهت ما نقول ، وخشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل : الله أمرنى بذلك » ؟!! .

إن ما تحمله هذه العبارة من معنى الاستهزاء ليعلن المواجهة بالشر ، ويظهر سوء نيتهم ، وينشر خبثهم الماكر ، وحقدهم الدفين ، فهل يعقل أمام هذا التحدىِ السافر ، والتعدى الظالم ، والإصرار على الكفر ، والكذب على الله تعالى ، والاستهزاء برسول الله ﷺ ، أن يخطر بقلبٍ سليمٍ ، أو أن يهجس بفؤادٍ حي يعرف ما لرسول الله ﷺ من قدر عظيم عند الله ، وما له من منزلة سامية فى حياة جميع المسلمين أفراداً ، وجماعاتٍ ، حكاما ، ومحكومين أنه ﷺ همَّ بإعطائهم ما يطلبون مما تزعمه هذه الرواية الظالمة ؟! .

سبحانك ربى هذا ظلم عظيم ماكان لمؤمن ، ولا مؤمنة أن يظن رسول الله ﷺ به .

وجه الرد على من لو زعم زاعم أن المشركين هجموا بذلك الطلب على رسول الله ﷺ لفرط كفرهم بالله

ولو تصور – جدلاً طلبهم ذلك من رسول الله ﷺ ، وهجومهم به عليه لفرط كفرهم بالله تعالى ، وعدم قدرهم له قدره ، ولعتوهم على رسول الله ﷺ، فكيف يجرؤ الرواة على أن ينسبوا إلى رسول الله ﷺ ما يزعمونه فى هذه الرواية من أنه همّ – وحاشاه مما يزعمون – أن يعطيهم ما سألوا ، وقد سألوا – علي افتراض ذلك منهم – البقاء على الكفر ، والكذب على الله تعالى ؟ .

خواطر القلب وهواجس النفس لايطلع عليها إلا الله

ومن جهة أخرى كيف يزعم الرواة أنه همّ بما ذكروه فى هذه الرواية مع أن الهم أمر قلبى لا يطلع عليه أحد من الخلق غير من دارت الخواطر بقلبه فيما لو كان ذلك ؟ وحاشاه من كل ذلك .

بل من الذى أعلمهم بما فى دخيلة قلبه ، وقرارة نفسه ، وهو لم يقل شيئا ؟!!

هل شقوا قلبه ﷺ فاطلعوا على الغيب ؟ أو قرأوا صفحات فؤاده ﷺ فعلموا منه ما لم يعلمه هو من نفسه ؟!! .

تناقض مضمون الرواية يعلن بطلانها أيضاً

الوجه الخامس ، إن السياق فى هذه الرواية الظالمة مع ما فيها من ضعف الإسناد ، وفساد المعنى – كما بيناه آنفا – يصرح بأن رسول الله ﷺ « أمسك » عن جوابهم ، ولم يرد عليهم وأن عمر صاح عليهم قائلا : « أما ترون رسول الله ﷺ أمسك عن جوابكم كراهية لما تجيئون به » ؟

غَفلةُ عقول الرواة

أبعد تصريح من شهد الواقعة - على زعم وقوعها - بأنه ﷺ لم يجبهم بشيء ، وأنه كره ما يجيئون به يزعم الرواة أنه همّ ؟! .

إنى لأعجب غاية العجب من هذه الغفلة التى غطت عقول هولاء الرواة ، كيف لم يتنبهوا لهذا التناقض الواضح المشين الذى ينقلونه ؟ وكيف لم يركلوا مثل هذا الهراء بأقدامهم ؟ وكيف لم يُطَهِّروا أسماءهم من الارتباط بمثل هذا الخنا ؟ لما فيه من غض من مقام النبوة ، وتهوين لأمر الكفر بالله تعالى ، وأذى لرسول الله ﷺ ، وجرأة عليه ؟!! .

ظهور سوء القصد فيما تحمله هذه الرواية يدفعها عن مقام النبوة المطهرة

الوجه السادس ، ومما يطعن به - أيضا - فى هذه الرواية درايةً أن قوله فى آخرها « وقد همّ رسول الله ﷺ أن يعطيهم ذلك ، فأنزل الله تعالى هذه الآية » جاء فى الكلام بعد أن تمت الرواية باكتمال سياق الكلام فيها ، ولم يعد الفكر يتطلع إلى استكمال لها ، مما يشعر بغرابة هذه الجملة عن سابقها من الكلام ، وانقطاعها عنه ، وإدخالها عليه بقصد التهوين من أمر الكفر بالله ، والبقاء عليه ، أو بقصد الطعن على رسول الله ﷺ بما جاء فيها من خبال .

وفى كلا الحالين هى باطلة معنى ، ومبنى ، كما أنها باطله راوية حسبما أسلفنا .

والحاصل أن هذه الرواية بما فيها من ضعف الإسناد ، وبطلان الحقيقة التاريخية ، وفساد المعنى المنافي للعصمة التى حفظ الله بها رسوله ﷺ من الكفر ، وأهله ، لا يمكن اعتبارها سببا لنزول هذه الآيات من سورة

الإسراء ، أو غيرها من الآيات القرآنية الكريمة ، ولا يجوز نسبة شيء مما تضمنته إلى ساحة النبوة المطهرة ، والرسالة المعظمة التى أنجى الله تعالى بها الناس من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان ، ومن عبادة الأوثان إلى عبادة الواحد الديان .

الكلام على ما عد سببا لنزول قوله تعالى
(وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ..) الآية

ومما هو من هذا البحث – أيضا – ما عُدَّ سببا لنزول قول الله تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) .

وقد ذكرنا المعنى العام لهذه الآية الكريمة وما يدل عليه الخطاب بها فى سياقها من السورة حين عرضنا معنى هذه الآيات فيما سبق من هذا البحث فى الباب الأول .

وبقى أن نستكمل البحث هنا فيها بذكر الأقوال فى أسباب نزولها ، ومن نزلت فيهم من الناس ، وفى بيان المراد بالأرض التى أرادوا أن يخرجوا رسول الله ﷺ منها .

ثم نبين – باعتمادنا على الله تعالى – وجه الحق فى ذلك .

القول فيمن نزلت فيه هذه الاية

للعلماء فيمن نزلت فيه هذه الآية الكريمة قولان ، ذكرهما المفسرون ، ومن يُعنَوْن بتدوين ما يُذْكَرُ أنه سبب لنزول شيء من القرآن العظيم .

أحد هذين القولين ، أنها نزلت فى اليهود .

الأرض التي أرادوا أخراج رسول الله ﷺ منها

وعلى هذا القول تكون الأرض التى أرادوا أن يخرجوا رسول الله ﷺ منها هى المدينة .

القول الآخر – وهو الصحيح كما سأبينه فيما بعد – أنها نزلت فى قريش .

وعلى هذا القول فالأرض هى مكة .

وهذا القول رواه الطبرى بأسانيده عن كل من قتادة ومجاهد [(٢٤٧)] ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور إلى عبدالرزاق ، وابن جرير الطبرى ، وابن المنذر ، وابن أبى حاتم كلهم عن قتادة [(٢٤٨)] .

وهو – أيضا – ما يدل عليه قول ابن عباس – رضى الله عنهما – فيما أخرجه الطبرى بإسناده عنه فى تفسيره لقوله تعالى (وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) إذ فسر القليل بيوم أخذهم ببدر [(٢٤٩)] .

وزاد السيوطى – فى الدر المنثور – عزوه إلى ابن أبى حاتم [(٢٥٠)] عن ابن عباس أيضا .

وبه قال الضحاك بن مزاحم ، فيما أخرجه عنه الطبرى فى هذا الموضع [(٢٥١)] .

---

(٢٤٧) تفسير الطبري ١٥/١٣٢ ، ١٣٣ .
(٢٤٨) الدر المنثور ٥/٣٢٠ .
(٢٤٩) تفسير الطبري ١٥/١٣٣ .
(٢٥٠) الدر المنثور ٥/٣٢٠ .
(٢٥١) تفسير الطبري ١٥/١٣٣ .

وسيأتى تأييد هذا القول مستوفى فيما يلى ضمن ردنا للقول الآخر ، وبياننا لما فيه من ضعف روايةً ، ودراية .

القول بأنها نزلت في اليهود

أ ـ رواية حضرمي

والقول بأن هذه الآية نزلت فى اليهود رواه الطبرى – فى تفسيره – فقال : « حدثنا محمد بن عبدالأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال : زعم حضرمى أنه بلغه أن بعض اليهود قال للنبى ﷺ: إن أرض الأنبياء أرض الشام ، وإن هذه ليست بأرض الأنبياء ، فأنزل الله (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) »[٢٥٢] .

ب ـ رواية عبد الرحمن بن غنم

وأخرج البيهقى – فى الدلائل – قال : « أخبرنا أبو عبدالله الحافظ ، قال : حدثنا أبو العباس محمد بن يعقوب ، قال : حدثنا أحمد بن عبدالجبار ، قال : أخبرنا يونس بن بكير ، عن عبدالحميد بن بهرام ، عن شهر بن حوشب ، عن عبدالرحمن بن غنم ، أن اليهود أتوا رسول الله ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسم ، إن كنت صادقا أنك نبى فالحق بالشام ، فإن الشام أرض المحشر ، وأرض الأنبياء ، فصدق ما قالوا ، فغزا غزوة تبوك ، لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ تبوك أنزل الله عز وجل آيات من سورة بنى إسرائيل بعدما ختمت السورة (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلافك إلا قليلا) إلى قوله (تحويلاً) فأمره الله عز وجل بالرجوع إلى المدينة ، وقال : فيها محياك ، ومماتك ، ومنها تبعث »[٢٥٣] .

---

(٢٥٢) تفسير الطبري ١٥/١٣٢ .

(٢٥٣) دلائل النبوة للبيهقي ٥/٢٥٤ .

وعزا السيوطى – فى الدر المنثور – هذا الأثر بلفظه إلى البيهقى فى الدلائل وإلى ابن أبى حاتم ، وابن عساكر ثلاثتهم عن عبدالرحمن بن غنم أيضا ، وزاد فى آخره « وقال له جبريل عليه السلام : سل ربك ، فإن لكل نبى مسألة ، فقال : ما تأمرنى أن أسأل ؟ قال : (وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا) فهؤلاء نزلن عليه فى مرجعه من تبوك » [٢٥٤] .

نقد رواية حضرمي رواية ودراية

أما رواية الطبرى فمدارها على حضرمي الذي يروى عنه سليمان التيمى هذه القصة الغريبة البعيدة عن الحق ، والواقع فى موضوعها .

وحضرمي هذا شخص « مجهول » [٢٥٥] ، « لا يعرف » [٢٥٦] عند أهل العلم بالحديث ، قال عبدالله بن أحمد بن حنبل – رحمهما الله – : « سألت أبى عن الحضرمي الذى حَدَّثَ عنه سليمان التيمى فقال : « كان قَاصًا ... لا أعلم يروى عنه غَيْرَ سليمان التيمى » [٢٥٧] .

وقال على بن المدينى : « حضرمي شيخ بالبصرة روى عنه سليمان التيمى ، مجهول ، وكان قَصًّا » [٢٥٨] .

---

(٢٥٤) الدر المنثور ٥/٣٢٠ .

(٢٥٥) تهذيب التهذيب ٢/٣٩٥ .

(٢٥٦) ميزان الاعتدال ١/٥٥٥ .

(٢٥٧) تهذيب التهذيب ٢/٣٩٤ .

(٢٥٨) نفس المرجع ٢/٣٩٥ .

وعلى هذا فهذه القصة التى يرويها حضرمي على زعم أنها كانت سببا لنزول هذه الآية من سورة الإسراء ، قصة باطلة ، ومردودة من وجهين :

الوجه الأول ، أن حضرميا هذا شخص مجهول العين غير معروف عند علماء الحديث ، فلا يحتج بخبره ، ولا يعتبر به أصلا .

خطر القُصَّاص على الناشئة وعوام المسلمين

الوجه الثانى ، أنه كان من القصاص ، الذين كانوا يَتَلَقَّفُون الأقاويل ، والحكايات الغريبة دون وعي لمعناها ، ولا تمحيصٍ لمصدرها ، أو أنهم كانوا يخترعونها ، وينسبونها إلى المعروفين بالرواية من صالحى أهل العلم بالحديث ، ثم يبثونها بين الناس يجتلبون بها قلوب العامة إلى مجالسهم ، يستثيرون بها حَبَّ الاستطلاع فيهم ، ويشدونهم بغرائب قصصهم ، وتأثير أساليبهم إلى الاستماع لهم ، والتأثر بحكاياتهم ، حتى خاف أساتيذ الغلمان ، ومعلموهم القرآن الكريم على الناشئة من شر أولئك القصاص ، فأخذوا يحذِّرونهم من مجالستهم ، ويَنْهَوْنَهم عن الجلوس إليهم ، روى الإمام مسلم – رحمه الله – فى مقدمة صحيحه بإسناده عن عاصم (٢٥٩) قال : « كنا نأتي أبا عبدالرحمن السلمى (٢٦٠) ونحن غِلْمَةٌ أيفاع ، فكان

(٢٥٩) هو عاصم بن بهدلة بن أبي النجود شيخ القراء بالكوفة ، وأحد القراء السبعة توفى سنة ١٢٧هـ غاية النهاية ١/٣٤٦ .

(٢٦٠) هو عبد الله بن حبيب بن ربيعة السلمي ولد في حياة النبي ﷺ ، ولأبيه صحبة ، انتهت إليه القراءة تجويداً وضبطا ، أخذ القراءة عرضا عن عثمان ، وعلي وعبد الله بن مسعود ، وزيد بن ثابت ، وأبي بن كعب .. توفى سنة ٧٤هـ غاية النهاية ١/٤١٣ .

يقول لنا : لا تجالسوا القصاص »[٢٦١] .

وقال على بن المدينى : « أكذب الناس ثلاثة » فذكر القصاص أول هؤلاء الثلاثة[٢٦٢] .

وقال أيوب : « ما أفسد على الناس حديثهم إلا القصاص »[٢٦٣] .

أول ظهور القصاص

وذلك أن القصاص إنما نبتوا فى عهد الفتنة ، فقد أخرج ابن أبى شيبة فى المصنف بإسناده من طريق نافع عن ابن عمر قال : « لم يُقَصْ زمان أبى بكر ، ولا عمر ، إنما كان القصص زمن الفتنة »[٢٦٤] .

ويظهر أن شر هؤلاء القصاص قد استفحل ، وأنهم أخذوا يفسدون على المسلمين ناشئتهم وعوام المسلمين بما ينشرونه بينهم من غرائب القصص ، وأكاذيب القصاص المزجاة فى أسلوب جذاب ، محبب إلى نفوس هؤلاء ، وهؤلاء .

خوف الصحابة رضي الله عنهم على أبنائهم من خطر القصاص

وقد تنبه بعض الصحابة رضى الله عنهم لفعل هؤلاء الشرذمة ، وخافوا على أبنائهم من شرهم ، فصاروا يضربون أبناءهم ، إذا رأوهم عند أحد من هؤلاء القصاص ، فقد أخرج ابن أبى شيبة بإسناده عن عبدالله بن خباب بن الأرت رضى الله عنه قال : « رآنى أبى ، وأنا عند قاصٍّ ، فلما رجع أخذ الهراوة ، وقال : قَرْنٌ قد طَلَعَ ، العمالقة ؟ »[٢٦٥] .

(٢٦١) صحيح مسلم ٢٠/١ .
(٢٦٢) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ١٦٥/٢ .
(٢٦٣) نفس المرجع ١٦٤/٢ .
(٢٦٤) المصنف لابن أبي شيبة ٧٤٦/٨ .
(٢٦٥) نفس المرجع ٧٤٧/٨ .

ورواه من وجه آخر من طريق عبدالله بن أبي الهذيل - أيضا - مرسلاً « عن خباب قال : رأى ابنه عند قاص ، فلما رجع ، اتزر ، وأخذ السوط ، وقال : أمع العمالقة ؟ هذا قرن قد طلع »(٢٦٦).

وأورده ابن الأثير في النهاية ، وقال في تفسيره ، وبيان المراد به : « العمالقة : الجبابرة الذين كانوا بالشام من بقية قوم عاد ، الواحد : عمليق ، وعملاق . ويقال لمن يخدع الناس ويخلبهم : عملاق . والعملقة : التعمق في الكلام ، فشبه القصاص بهم ؛ لما في بعضهم من الكبر ، والاستطالة على الناس ، أو بالذين يخدعونهم بكلامهم وهو أشبه »(٢٦٧).

كره الصحابة للقصاص

ولشدة شر ، وفساد هؤلاء القصاص في المجتمع ، كان الصحابة - رضي الله عنهم - يكرهونهم ، ويمنعونهم من الجلوس في مجالسهم ، ويَسْتَعْدُونَ عليهم الشُّرَطَ ، ليقيموهم منها قهراً ، فمن ذلك - مثلا - ما رواه عقبة بن حريث التغلبي الكوفي(٢٦٨) قال : « سمعت ابن عمر ، وجاء رجل قَاصٌّ ، وجلس في مجلسه ، فقال ابن عمر : قم من مجلسنا ، فأبى أن يقوم ، فأرسل ابن عمر إلى صاحب الشُّرَطِ : أقم القَاصَّ ، فبعث إليه فأقامه »(٢٦٩) بل كان ابن عمر لا يسمح لأحد من القصاص بالجلوس

---

(٢٦٦) نفس المرجع ٧٤٨/٨ .
(٢٦٧) النهاية في غريب الحديث ٣٠١/٣ .
(٢٦٨) تهذيب التهذيب ٢٣٩/٧ .
(٢٦٩) المصنف ٧٤٧/٨ .

قريبا منه ، قال مجاهد : « دخل قاص فجلس قريبا من ابن عمر ، فقال له : قم ، فأبى أن يقوم ، فأرسل إلى صاحب الشرط ، فأرسل إليه شرطيا فقام »[٢٧٠] .

وروى عبدالله بن معقل المزني قال : « كان رجل لا يزال يقص ، فقال له ابن مسعود : انشر سلعتك على من يريدها »[٢٧١] .

القصاص لايعتد برواياتهم

فالقصاص – كما ترى من أقوال الصحابة فيهم ، وأفعالهم بهم ، وأقوال أهل العلم بالحديث فيهم أيضا – ليسوا أهلاً للصدق ، ولا محلا للاعتبار بأقوالهم ، ولذلك فلا يُعتَدُّ برواياتهم ولا يأخذ أهل العلم ، والتحقيق بشيء مما يروونه . بل يُحَذِّرون الناس منهم وينهونهم عن الجلوس معهم .

نقد رواية البيهقي

أما رواية البهيقي لهذه القصة الباطلة ففي إسنادها أربعة رواة متكلم فيهم ، فضلا عما تحمله هذه الرواية من فساد المعنى ، وبطلانه ، ومجانبته السبب التاريخي الحقيقي لغزوة تبوك ، كما سأبينه فيما بعد إن شاء الله تعالى بعد أن أظهر ضعف هذه الرواية إسناداً وعلى الله اعتمادي .

وأول هؤلاء الرواة الأربعة هو أحمد بن عبدالجبار وهو العطاردي ، الذي نفى الدارقطني أن يكون هذا الرجل – وهو أحمد بن عبدالجبار – من أصحاب الحديث فقال – كما ورد في سؤالات الحاكم النيسابوري

---

(٢٧٠) المصنف ٧٤٨/٨ .

(٢٧١) المصنف ٧٤٩/٨ ، وترجمة ابن معقل في تهذيب التهذيب ٤٠/٦ .

للدارقطني - : « اختلف فيه شيوخنا ، ولم يكن من أصحاب الحديث »[٢٧٢] .

وقال ابن عدى فى كتابه الكامل فى ترجمته لهذا الرجل : « رأيت أهل العراق مجمعين على ضعفه »[٢٧٣] .

وعلى هذا فكون راوي هذه القصة - وهو هنا أحمد بن عبدالجبار العطاردى - ليس من أصحاب الحديث ، ولا من المعروفين بالرواية أولاً ، وإجماع أهل العراق على تضعيفه ثانيا . وهم أعلم برجال بلدهم ، إذ هو « من أهل الكوفة ، وقَدِمَ بغداد »[٢٧٤] بل إن روايته لمثل هذه القصة التى تَطْعَنُ على رسول الله ﷺ يجعلنا ذلك كله نجزم مطمئنين إلى القول بعدم قبول روايته هذه ؛ لأنه لم يتنزه من روايتها ، وهى تَنْسِبُ إلى رسول الله ﷺ ، مالا يليق بحاله من أنه صدق اليهود فيما قالوا على ما سأبينه فى رد هذه القصة درايةً فيما بعد إن شاء الله .

عموم الطعن في الراوي يضعف الاعتبار بمروياته

ودفاع الخطيب البغدادى عنه بما شهد له به أبو كريب محمد بن العلاء من سماعه المغازى ليونس بن بكير معه ، هو وأبوه عبدالجبار ، وتوثيق أبى عبيدة السري بن يحيى له[٢٧٥] لا يدفع عنه ما طُعِنَ به فيه من أنه حَدَّثَ بكتب أبيه عبدالجبار بعد موته مُدَّعِياً سماعها معه ؛ لأن الشهادة

---

(٢٧٢) سؤلات الحاكم النيسابوري للدارقطني في الجرح والتعديل ٨٦ .

(٢٧٣) الكامل لابن عدي ١/١٩٤ ، تاريخ بغداد ٤/٢٦٣ .

(٢٧٤) تاريخ بغداد ٤/٢٦٢ .

(٢٧٥) تاريخ بغداد ٤/٢٦٤ .

له بالسماع مع أبيه إنما كانت من أبى كريب محمد بن العلاء فى سماعه من يونس بن بكير كتاب المغازى ، وعبارة الطعن فيه أعم من ذلك على ما هو ظاهر منها .

وثانى هؤلاء الأربعة المتكلم فيهم فى سند هذه القصة هو يونس بن بكير بن واصل الشيبانى وهذا ضعفه كل من النسائى(٢٧٦) ، وأبو داود(٢٧٧) وابن أبى شيبة(٢٧٨) .

ووصفه الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب بأنه « صدوق يخطىء »(٢٧٩) .

وصف الراوي بالخطأ في الرواية ينشر احتمال الخطأ في جميع مروياته

ووصفه بأنه « يخطىء » يعنى احتمال وقوع الخطأ فى جميع ما يرويه عن غيره ، ومن كان هذا حاله ، لا يوثق به أن قد أدّى الرواية على وجهها الصحيح ، لا لفظا ، ولا معنى ، ولا سنداً ، ولا عزواً إلى صاحبها الذى تنمى إليه ؛ لأن وصفه بالخطأ ينسحب على جميع أحواله تلقيا ، وأداءً .

---

(٢٧٦) تهذيب التهذيب ١١/٤٣٥ .

(٢٧٧) نفس المرجع ١١/٤٣٥ .

(٢٧٨) نفس المرجع ١١/٤٣٦ .

(٢٧٩) تقريب التهذيب ٢/٣٨٤ ووصفه بأنه صدوق سقطت من هذه الطبعة وقد ذكرت في التقريب ٦١٣ تحقيق فضيلة الشيخ محمد عوامة الطبعة الأولي عام ١٤٠٦هـ من منشورات دار الرشيد بسوريا ـ بحلب . وهذه الطبعة فيما أعلم هي أفضل وأصح طبعات هذا الكتاب تحقيقا علميا ، ودراسة وافية وإخراجاً أنيقاً . بذل المحقق فيه جهداً علميا كبيراً ، أو في الكتاب حقه ، جزاه الله خيراً . ولاغنى لأهل العلم بالحديث عن هذه الطبعة الممتازة .

ولا شك – عند أهل العلم بالحديث – فى طرح رواية من كان هذا وصفه عندهم .

وتوثيق بعض أهل العلم ليونس بن بكير هذا ، لا يدفع عنه ما تكلم به فيه الوجوه منهم الذين ذكرت بعض أقوالهم فى تضعيفه .

النهي عن أن يحدِّث المرء بكل ماسمع

بل روايته – عفا الله عنا وعنه – مثل هذه الأقاصيص المكذوبة على رسول الله ﷺ تدل على عدم تثبته ، وقد قال رسول الله ﷺ : « كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع »(٢٨٠). وفي رواية أبي داود « كفى بالمرء إثما أن يحدِّث بكل ماسمع »(٢٨١) .

وقد أوصى الإمام مالك – رحمه الله تعالى – عبدالله بن وهب الفقيه المصرى – وهو الذى حَدَّثَ بمائة ألف حديث ، كما قال أحمد بن صالح فيما ذكره عنه الحافظ ابن حجر فى تهذيب التهذيب (٢٨٢) – مع ما كان عليه ابن وهب هذا من كمال العقل والدين والصلاح ، يُحَذِّرُهُ من الحديث بكل ما سمع فقال له : « اعلم أنه ليس يَسْلَمُ رجلٌ حَدَّثَ بكل ما سمع . ولا يكون إماما أبداً ، وهو يحدِّث بكل ما سمع »(٢٨٣) .

فلو لم يكن يونس بن بكير هذا ممن يحدث بكل ما سمع – إن صحت الرواية عنه – لما حدث بهذه القصة الظالمة ، وهى تنسب إلى رسول الله ﷺ ، أنه صَدَّقَ اليهودَ فيما يزعمون من باطل .

---

(٢٨٠) صحيح مسلم ١/١٠ .
(٢٨١) سنن أبي داود ٤/٢٩٨ .
(٢٨٢) تهذيب التهذيب ٦/٧٢ .
(٢٨٣) صحيح مسلم ١/١١ .

ولا شك أن كذبا على رسول الله ﷺ ليس ككذب على أحد غيره .

الكلام على مرويات عبد الحميد بن بهرام

وثالث هؤلاء الرواة الأربعة المتكلم فيهم فى إسناد هذه القصة ، هو عبدالحميد بن بهرام الفزارى المدائني الذى قال أبو حاتم فى وصفه : « لا يحتج بحديثه ، ولا بحديث شهر »[٢٨٤] .

وقال ابن عدى : « إنما عابوا عليه كثرة رواياته عن شهر بن حوشب ، وشهر ضعيف جدا »[٢٨٥] .

وهذه الرواية هى مما يرويه عبدالحميد هذا عن شهر بن حوشب ، فتكون مما عيب عليه ، وضُعِّفَ به ، فلا يعتد بها ، لما فيها من ضعف ، ولا يعتبر بها لفساد معناها فى حق رسول الله ﷺ.

الكلام على شهر ابن حوشب ومروياته

ورابع هؤلاء الرواة الأربعة هو شهر بن حوشب الذى كان أهل العلم بالحديث يعيبون النقلة بالرواية عنه ، كما مر آنفا فى كلام ابن عدى فى تضعيفه عبدالحميد بن بهرام ، فما بالك بروايته هو ؟! .

وشهر بن حوشب هذا ضعفه كل من البيهقى[٢٨٦] وموسى بن هارون[٢٨٧] ، وابن عدى ، بل قال ابن عدى فى وصفه : « شهر ليس بالقوى فى الحديث ، وهو ممن لا يحتج بحديثه ، ولا يتدين به »[٢٨٨]

---

(٢٨٤) تهذيب التهذيب ٦/١١٠ .

(٢٨٥) الكامل ٥/١٩٥٨ .

(٢٨٦) تهذيب التهذيب ٤/٣٧٢ .

(٢٨٧) هو موسى بن هارون بن عبد الله الحمال ، أبو مروان البزار كان أحد المشهورين بالحفظ والثقة ومعرفة الرجال . تاريخ بغداد ١٣/٥٠ - ٥١ .

(٢٨٨) الكامل ٤/١٣٥٨ .

وقال أبو الحسن بن القطان[٢٨٩] الفاسى فى قدحه وتجريحه ، بعد أن قال : « لم أسمع لمضعفه حجة »[٢٩٠] وحاول أن يدفع عنه ما رموه به من أمور ثم قال : « ... وشر ما قيل فيه أنه يروى منكرات عن ثقات ، وهذا إذا كثر منه سقطت الثقة به »[٢٩١]

وقال ابن حزم فى وصفه « ساقط »[٢٩٢]

وهذا الوصف الأخير يعنى اتهام الموصوف به بالكذب عند أهل العلم بالحديث ، ونقاده[٢٩٣] ، ويجعله فى مرتبة المتروك الذى لا يكتب حديثه ، ولا يعتبر به ، بل جعل ابن أبى حاتم من وصف بهذا الوصف فى منزلة من ظهر منه الكذب ، الذي يترك حديثه ، وتطرح روايته ، ويسقط ، ولا يشتغل به[٢٩٤] .

مايعنيه ابن حزم بقوله « ساقط »

والذي يظهر لى - والله أعلم - مما قرأناه فى كتاب الإحكام فى أصول الأحكام لابن حزم - أن ابن حزم يحكم على الراوى بهذا الحكم إذا « عَدَّلَهُ عَدْلٌ ، وجَرَّحَهُ عَدْلٌ ، فهو ساقط الخبر »[٢٩٥] عنده لتغليبه

---

(٢٨٩) هو علي بن محمد بن عبد الملك الحميري الكتامي الفاسي الشهير بابن القطان ، كان من أبصر الناس بصناعة الحديث ، وأحفظهم لأسماء رجاله ، واشدهم عناية بالرواية توفى سنة ٦٢٨هـ تذكرة الحفاظ ١٤٠٧/٤

(٢٩٠) تهذيب التهذيب ٣٧٢/٤ .

(٢٩١) نفس المرجع ٣٧٢/٤ .

(٢٩٢) تهذيب التهذيب ٣٧٢/٤ .

(٢٩٣) فتح المغيث ٣٤٣/١ ، علوم الحديث لابن الصلاح ص ١٢٦ تحقيق الدكتور نور الدين عتر ط . الثالثة ١٤٠٤هـ .

(٢٩٤) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٧/١ .

(٢٩٥) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ١٣٠/١ .

جانب التجريح على جانب التعديل ؛ لأن في التجريح علما زائدا عند المجرح لم يكن عند المعدل ، كما قال(٢٩٦) .

وشهر بن حوشب هذا قد عَدَّلَهُ قومٌ ، وجَرَّحَهُ آخرون ، والذين جرحوه ، وضعفوه ، وتركوه أكثر من الذين عدوله ورضوه ، فوصف ابن حزم له بأنه « ساقط » منطبق على قاعدته التي أوردناها عنه آنفا .

والذي أراه أن التجريح فيه أظهر ، ويؤيد قولي هذا - أيضا - ما يرويه شهر بن حوشب من روايات يَنْسِبُ فيها إلى رسول الله ﷺ ما لا يمكن صدور مثله عنه ، لا قولاً ، ولا فعلا ، مما يدل على أن شهراً كان لا ميز له في الرواية ، وما تحمله من فاسد المعنى الذي يستحيل في حق رسول الله ﷺ ، وهو يحدِّث بكل ما سمع .

ويوجه هذا القول في شهر بن حوشب - أيضا - ما وصفه به ابن حبان في كتابه « المجروحين » حيث قال في وصفه : « كان ممن يروي عن الثقات المعضلات وعن الأثبات المقلوبات »(٢٩٧) .

احتمال مايدل عليه قولهم « يروي عن الثقات المعضلات وعن الأثبات المقلوبات »

ولا شك أن رواية المعضلات عن الثقات ، والمقلوبات عن الأثبات ، لا تكون إلا عن أحد وجهين :

الوجه الأول ، فيما إذا كان ذلك يصدر منه عن قصد ، وتعمد ، فهو على هذا من باب الكذب ، وبه يصدق عليه وصف ابن حزم بأنه « ساقط » لكن على ما يعنيه أعلام النقاد بهذا الوصف عندهم فهو متروك الحديث ، أي في المرتبة العاشرة عند الحافظ ابن حجر في التقريب.

---

(٢٩٦) نفس المرجع السابق .

(٢٩٧) المجروحين ١/٣٦١ .

الوجه الثانى ، إذا كانت روايته المعضلات عن الثقات ، والمقلوبات عن الأثبات تصدر منه على وجه الوهم ، وكثرة الخطأ فى الرواية . ويحقق هذا الأمر فيه ما وصفه به الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب من أنه « صدوق ، كثير الإرسال ، والأوهام »(٢٩٨) فلا ريب أن كثرة الأوهام فيما يرويه ، لا تخلو من أن يخالطها بعض الكذب سواء كان ذلك مقصوداً ، أم غير مقصود .

سبب ردِّهم رواية من وصف بالوهم في الرواية

وإذ لا يمكن تعيين ما رواه على الوهم عما رواه على الوجه الصحيح ؛ فإن انتشار الوهم فى جميع مروياته يبقى قائما .

وهذا يجعلنا فى حرج من قبول مروياته حتى يتضح لنا سليمها من عليلها ، وإذ يصعب اليوم أن يُعْرَفَ ذلك منها ، كما لم يكن ذلك لأحد ممن سبقنا من أهل الحديث ؛ إذ لم نسمع أن أحدا منهم خص مرويات شهر بن حوشب بذلك ، ولا غيره ممن رمي بكثرة الأوهام ؛ فإن التحقيق العلمى فى علم الرواية إسناداً ، ومتنا الذى ارتضاه سلفنا الصالح من جهابذة هذا الفن يحملنا على القول بعدم قبول مرويات شهر بن حوشب هذا – وخاصة ما يُنْسَبُ فيها إلى رسول الله ﷺ ما يتنافى مع مكانه ﷺ من العصمة التى خصه الله بها من دون الناس – حتى يتضح لنا أمرها ، فما وجدناه منها مرويا على الوجه ، ولم يتعارض مع ما لرسول الله ﷺ من مقام عظيم فى الدين ، وفى حياة الناس أجمعين قبلناه ، وما لم يكن كذلك رفضناه البتة .

---

(٢٩٨) تقريب التهذيب ١/٣٥٥ .

ولا شك عندى فى أن ما ينسبه شهر - إن لحقته هذه الرواية - فى هذه المقالة مما لا يجوز فعله من رسول الله ﷺ هو من قبيل أوهامه الكثيرة ، وإضافته إياها إلى عبدالرحمن بن غنم وَهْمٌ منه أيضا ، إذ لا يتأتى لعبدالرحمن بن غنم أن يضيف مثل هذه الأباطيل إلى رسول الله ﷺ، لما عرف فيه من الصدق ، والفضل ، وجلال القدر ، وطول الملازمة لبعض أصحاب رسول الله ﷺ (٢٩٩) .

احتمال وجيه لمصدر هذه الرواية

وهناك وجه آخر يمكن حمل هذه الرواية عليه ، وهو أن تكون هذه الرواية مما أدخله خبثاء اليهود على مرويات شهر بن حوشب بسبب كثرة أوهامه ، وأضافوها فى مروياته عن عبدالرحمن بن غنم من باب تركيب الأسانيد على المتون حتى يطعنوا على رسول الله ﷺ بما تحمله هذه الرواية من فساد فى المعنى ينافى مَا عُلِمَ فى رسول الله ﷺ من صِدْقِ الوثوق بالله عز وجل ، وتمام الاعتماد عليه .

الرسول مبرأ من تصديق يهود في أمر الشرك بالله

ولا ريب - أبداً فى أن رسول الله ﷺ مُبَرَّأٌ من تصديق اليهود فيما يزعمونه فى هذه الرواية الساقطة ، ومعصوم من أن تغشه يهود فى أمر دعوته ، وصدق رسالته .

ولا أظن مسلما يُصَدِّقُ ما جاء فى هذه الرواية من هذر ومذر ، وانحراف ، وقذر .

---

(٢٩٩) قال ابن عبد البر : « عبد الرحمن بن غنم الأشعري جاهلي كان مسلما في عهد رسول الله ﷺ ، ولم يره ، ولم يفد عليه ، ولازم معاذ بن جبل منذ بعثه رسول الله ﷺ إلي اليمن إلى أن مات في خلافة عمر ضي الله عنه ، ويعرف بصاحب معاذ لملازمته له » الاستيعاب بهامش الإصابة ٤٢٤/٢ .

مما جعل العلماء يتركون الرواية عن شهر بن حوشب

ولعل العلماء الذين تركوا الرواية عن شهر بن حوشب من السلف مثل شعبة ، وغيره كان لا يناسبهم فيه تجوزه الكبير فى مثل هذه الروايات وغيرها فقد ذكر صالح بن محمد جزرة « أنه روى أحاديث ينفرد بها ، لم يشاركه فيها أحد ، وروى عنه عبدالحميد بن بهرام أحاديث طوالاً عجائب ، ويروى عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث فى القراءات لا يأتى بها غيره »(٣٠٠).

ومن روى فى القراءات مثل ما ذكروا ، لا يبعد أن يروي فى أسباب النزول مثل ذلك وزيادة إلا أن النقاد – فيما يظهر لى – لم يكونوا يُعْنَوْنَ بتمحيص ما ورد فى أسباب النزول من روايات ، وأقوال لعلمهم أن أكثر ما ورد فيها ، وفى المغازى ، والملاحم مما لا أصل له.

وقال أبو اسحاق الجوزجانى فى وصف شهر بن حوشب هذا ، وفى بيان حال مروياته قال : « شهر بن حوشب ، أحاديثه لا تشبه حديث الناس» .(٣٠١) قال : وحديثه دال عليه ، فلا ينبغى أن يغتر به ، وبروايته »(٣٠٢).

وعلى هذا ، فالذى يظهر – والله أعلم – أن هذه الرواية من تلك الأحاديث العجائب التى رواها عبدالحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب لانطباق هذين الوصفين عليها .

---

(٣٠٠) تهذيب التهذيب ٣٧١/٤ .

(٣٠١،٣٠٢) أحوال الرجال لأبي اسحاق ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني ص ٩٦ تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي ط١ عام ١٤٠٥هـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت .

وأيا ما كان الأمر فإن رسول الله ﷺ مبرأ مما يزعمونه فى هذه الرواية ، ومعصوم منه ، وقد حفظه الله ، وطهر ساحته من كل ما يخالف أمر رسالته .

تَشَكُّكُ البيهقي في أمر هذه الرواية

ومما تقدم يتضح جليا أن هذه الرواية هى مما لا يُقْبَلُ إسناداً ، ولا معنى ، ولعل هذا هو الذى دعا البيهقى - رحمه الله تعالى - إلى أن يُعَنْوِنَ هذا الخبر - أعنى هذه الرواية التى نحن بسبيل مناقشتها إسناداً ، ومتنا - فى كتابه دلائل النبوة الذى نقلنا منه هذه الرواية بقوله : « باب ما روى فى سبب خروج النبى ﷺ إلى تبوك ، وسبب رجوعه إن صح الخبر فيه »[٣٠٣] مما يدل على استضعافه له ، إذ أن تعقيبه على العنوان بقوله « إن صح الخبر فيه » يدل صراحة على ذلك أولاً ، ويشير إلى عدم استرواحه له ثانيا ، فهو بقوله هذا ينبه القارىء إلى وجوب إعمال الفكر فى إسناد هذا الخبر ، ومضمونه ثالثا ، إذ ليس من منهجه فى هذا الكتاب أن يتكلم فى الرواة جرحاً ، وتعديلاً .

رَدُّ ابن كثير لهذه الرواية

ويؤيد قولى هذا أن الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - عقب على هذا الخبر بعد نقله إياه فى تفسيره من دلائل النبوة للبيهقى بإسناده الذى ذكرناه فقال : « وفى هذا الإسناد نظر ، والأظهر أن هذا مما ليس بصحيح »[٣٠٤] ثم بين السبب الحقيقى ، والتاريخى لغزوة تبوك

---

(٣٠٣) دلائل النبوة ٥/٢٥٤ .

(٣٠٤) تفسير ابن كثير ٥/٩٨ .

فقال : « فإن النبى ﷺ لم يغز تبوك عن قول اليهود ، وإنما غزاها امتثالاً لقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار)[٣٠٥] وقوله تعالى : (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون)[٣٠٦] وغزاها ليقتص ، وينتقم ممن قتل أهل مؤتة من أصحابه »[٣٠٧].

تضعيف السيوطي لإسناد هذه الرواية

وقد نقل السيوطى هذا الخبر عن ابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الدلائل من هذا الوجه – أيضا – وعقب عليه بقوله : « هذا مرسل ضعيف الإسناد »[٣٠٨].

رَدُّ هذه الرواية دراية

ومما قدمناه آنفا من الكلام على إسناد هذا الخبر يظهر لنا أنه لا يعتمد عليه إسناداً ، ولا يعتد بمثله ، ونثنى هنا ببيان بطلان هذه القصة دراية – أيضا – فنقول معتمدين على الله العلى الأعلى فى بهز[٣٠٩] ، ولهز بهرج هذه الفرية من جهتيها – جهة ورودها عن حضرمى ، وجهة ورودها من

---

(٣٠٥) سورة التوبة ١٢٣ .

(٣٠٦) سورة التوبة ٢٩ .

(٣٠٧) تفسير ابن كثير ٩٨/٥ .

(٣٠٨) لباب النقول ١٤٠ .

(٣٠٩) البهز : الضرب والتنحية ، والدفع العنيف في الصدر بالرجل واليد ، أو بكلتا اليدين . لسان العرب ٣١٤/٥

واللهز : الضرب بجمع اليد في اللهازم ، والرقبة ، وفي الحنك ، مثل اللكز . لسان العرب ٤٠٧/٥

البهرج : الباطل من كل شيء تاج العروس ١٠/٢ .

طريق شهر بن حوشب عن عبدالرحمن بن غنم - ليظهر بطلانها دراية كما ظهر ذلك منها رواية فنقول :

تحقيق لغوي في بيان معنى الزعم في لغة العرب

أولا : مما يدل على افتراء هذه القصة تصدير سليمان التيمى لسياقها - كما هى عند الطبرى - بلفظ « زَعَمَ » ، والزعم إنما يُعبَّرُ به عما لا يوثق به من القول ، قال الخطابى - فى غريب الحديث - : « ولا يكاد يقال الزعم إلا فى خلافٍ ، أو أمر غير موثوق به ، ولذلك قالوا : زعموا مطية الكذب »(٣١٠) .

وقال شريح : « زعموا كنية الكذب »(٣١١) ، وفى رواية عنه قال : « زعموا زاملة الكذب »(٣١٢) .

وقال ابن منظور فى لسان العرب : « قال الليث : سمعت أهل العربية يقولون : إذا قيل : ذكر فلان كذا ، وكذا ، فإنما يقال ذلك لأمر يُستَيْقَنُ أنه قال ، وإذا شُكَّ فيه فلم يُدْرَ لعله كذبٌ ، أو باطلٌ قيل : زعم فلان »(٣١٣) .

ويؤيد قَوْلَهُمْ هذا الاستعمالُ القرآنى لِلَفْظِ الزعم فى كل موضع ورد فيه من القرآن الكريم ، قال الراغب الأصفهانى فى المفردات : « الزعم : حكاية قولٍ يكون مظنة الكذب ، ولهذا جاء فى القرآن فى كل موضع ذُمَّ

(٣١٠) غريب الحديث للخطابي ٥٣٥/١ ـ ٥٣٦ .

(٣١١) لسان العرب ٢٦٧/١٢ ، المصنف لابن أبي شيبة ٦٣٨/٨ ، الطبقات لابن سعد ١٤١/٦

(٣١٢) المصنف لابن أبي شيبة ٦٣٧/٨ . والزاملة البعير الذي يحمل عليه في السفر .

(٣١٣) لسان العرب ٢٦٤/١٢ .

القائلون به نحو زعم الذين كفروا [٣١٤] ، بل زعمتم [٣١٥] ، كنتم تزعمون [٣١٦] زعمتم من دونه » [٣١٧] » [٣١٨] .

وفسر الليث – فيما نقله ابن منظور فى لسان العرب – الزَّعْمَ الوارد فى قول الله تعالى حكاية لقول المشركين (فقالوا هذا لله بزعمهم) من قوله عز وجل فى سورة الأنعام (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء ما يحكمون) [٣١٩] فسره بقوله : « أى بقولهم الكذب » [٣٢٠] .

ويشهد لهذا ، ويعززه – أيضا – ما أورده ابن الأثير فى النهاية فى غريب الحديث والأثر حيث قال : « وإنما يقال : زعموا فى حديثٍ لا سند

---

(٣١٤) هذا جزء من آية وهي (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) التغابن ٧ .
(٣١٥) هذا جزء من آية وهي (بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً) الكهف ٤٨ .
(٣١٦) هذاجزء من آية وهي (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) القصص ٦٢ ، ٧٤ وفي الأنعام (ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا أين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون) آية ٢٢ وفيها أيضاً (ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون ٩٤ .
(٣١٧) هذا جزء من آيتين وردتا بنفس اللفظ في سورة القصص (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) سورة القصص ٦٢ ، ٧٤ . وفي الإسراء ٥٦ (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) .
(٣١٨) انظر المفردات ص ٢١٧ .
(٣١٩) سورة الأنعام ١٣٦ .
(٣٢٠) لسان العرب ١٦٤/١٢ .

له ، ولا ثَبْتَ فيه ، وإنما يُحْكَى على الألسن على سبيل البلاغ ، فَذُمَّ من الحديث ماكان هذا سبيله »(٣٢١) .

وروى الإمام أحمد فى المسند – واللفظ له – وابن أبى شيبة فى المصنف(٣٢٢) ، والبخارى فى الأدب المفرد(٣٢٣) كلهم من طريق أبى قلابة قال : قال أبو عبدالله لأبى مسعود ، أو قال أبو مسعود(٣٢٤) لأبى عبدالله يعنى حذيفة(٣٢٥) : « ما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول فى زعموا ؟ قال : سمعته يقول : بئس مطية الرجل »(٣٢٦) .

ولفظ ابن أبى شيبة فى المصنف : « بئس مطية الرجل زعموا » .

وهذا نص من رسول الله ﷺ فى ذم هذا الأسلوب من الكلام ، وليس بعد قول رسول الله ﷺ قول لقائل .

وَاجِدُ الشيء لايخرج للبحث عنه

ثانيا ، ويدل على فساد هذه القصة معنى أن ليس من المقبول عقلا عند ذوى العقول السليمة ، والفطر المستقيمة أن يخرج المرء يلتمس

(٣٢١) النهاية في غريب الحديث ٣٠٣/٢ .
(٣٢٢) المصنف ٦٣٦/٨ - ٦٣٧ .
(٣٢٣) الأدب المفرد ٢٥٩ ترتيب وتقديم كمال الحوت . ط عالم الكتب ط١ عام ١٤٠٤هـ .
(٣٢٤) أبو مسعود هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الأنصاري البدري مشهور بكنيته ، صاحب رسول الله ﷺ كان ممن شهد العقبة . الاصابة ٤٩٠/٢ ، تهذيب التهذيب ٢٤٧/٧ .
(٣٢٥) أبو عبد الله هو حذيفة بن اليمان العبسي من كبار الصحابة رضي الله عنهم ، وأمين سر رسول الله ﷺ في المنافقين الاصابة ٣١٧/١ .
(٣٢٦) مسند أحمد ٤٠١/٥ وانظر ١١٩/٤ .

الحصول على ما هو ملك له في يديه ، ولا أن يأمل الوقوع على ما هو متحقق له قَبْلاً ، ولا أن يستعطي النوال ، وهو يسعد به حالا ، ولا أن يَتَطَلّع قلبُهُ إلى ما ينعم به حاله ، وهو يُغْدِقُ العطاءَ منه على الآخرين .

تبرئة رسول الله ﷺ من تصديق اليهود أو المشركين في شيء مما تزعمه هذه الرواية

وعلى هذا ، فإن رسول الله ﷺ ، ما كان ليصدق قول اليهود ، أو المشركين فيما يزعمون – كما تزعم هذه الرواية المكذوبة والقصة الظالمة – فيخرج من المدينة إلى الشام يبحث عن النبوة – والعياذ بالله مما يزعمون – وقد بعثه الله عز وجل من مكة نبيا ، ورسولا ، ولم يخرج منها مهاجرا إلى المدينة إلا بعد أن أذن الله تعالى له بذلك .

وهل حسده اليهود ، وعادوه ، وتَقَذَّحَ له[٣٢٧] المشركون ، وآذوه ، إلا بعد أن أكرمه الله تعالى بنبوته ، وشرفه بحمل رسالته ، وعرفوا ذلك فيه ؟

وقد كان اليهود من قبل يزعمون أن النبوة خاصة بهم من دون الناس ، فلا شك أن حَسَدَهُمْ له إنْبَاءٌ بما يُنْكِرُون ، وحِقْدَهُمْ عليه آيةُ إقرار له منهم بما يجحدون ، وإن كتموا ما يعلمون . ولا ريب أن تَتَابُعَهُمْ عليه بالأكاذيب ، وقد عرفوا صدقه ، وأحقية ما جاءهم به من عند الله ، ليعلن غضب الله عليهم ، ولعنه لهم (فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)[٣٢٨] .

---

(٣٢٧) تقذّح له بالشر أي تشرّر . التكملة والذيل للصاغاني ٨٣/٢ .
(٣٢٨) سورة البقرة ٨٩ .

خبث الاختلاق

والظاهر أن هذه القصة من وضع خبثاء اليهود ، وبعض من دسائسهم التى كانوا ينفثونها لبلبلة الآراء ، وإفسادها فى المجتمع الإسلامى ، ومن جملة كيدهم لهذا الدين الحنيف ، ورسوله الكريم ﷺ، فاصْرِفْ النَّظَرَ عنها تَطِبْ يقينا ، وتَسْعَدْ دينا ، وقانا الله ، وإياك من شرور اللسان ، ومرض الجنان ، وعثرات الاقلام ، وكيد الظالمين .

وقد انبنى على القول بأن هذه الآية – وهى قوله تعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ..) الآية – نزلت فى اليهود القولُ بأنها آيةٌ مدنيةٌ فى سورة مكية .

الرد على من زعم أن هذه الاية مدنية

ويرد هذا القول أن هذه الآية واقعة فى سياق جدل الكفار من زعماء قريش المكيين ، وتقدمهم باقتراحاتٍ متنوعةٍ لحمل رسول الله ﷺ على التساهل معهم في أمر الشرك بالله إن استطاعوا .

ويؤيد هذا ما أورده الحافظ ابن كثير – رحمه الله – فى تفسيره فى تحقيقه أسباب غزوة تبوك الذى أوردناه فيما تقدم من هذا البحث .

تحقيق الحافظ ابن حجر في أن هذه الاية مكية

ويؤيده أيضا ما أورده الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى – بعد أن ساق آياتٍ ادعى بعضهم مدنيتها فى خمس سور مكيةٍ متواليةٍ ، هى سورة الإسراء – وهى الآيات التى نحن بسبيل البحث فيها – وسورة الكهف ، وسورة مريم ، وسورة طه ، وسورة الأنبياء حيث قال : « قيل فى جميع ذلك إنه مدنى ، ولا يثبت شىء من ذلك ، والجمهور على أن الجميع مكيات ، وشذ من قال خلاف ذلك »[٣٢٩] .

(٣٢٩) فتح الباري ٤٣٥/٨ .

قول مجاهد وقتادة بمكية هذه الاية وانتصار ابن جرير لذلك أيضاً

وقبل ذلك روى الطبرى فى تفسيره القول بمكية هذه الآية عن قتادة ، ومجاهد – رحمهما الله تعالى – واعتبره أولى القولين بالصواب عنده ، وانتصر له بدلالة السياق فقال : « وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب قول قتادة ، ومجاهد ، وذلك أن قوله (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض) فى سياق خبر الله عز وجل عن قريش ، وذكره إياهم ، ولم يجر لليهود قبل ذلك ذكر ، فيوجه قوله (وإن كادوا) إلى أنه خبر عنهم ، فهو بأن يكون خبرا عمن جرى له ذكر أولى من غيره »[٣٣٠] .

تصحيح القرطبي للقول بمكية هذه الاية

وكذلك قال القرطبى – أيضا – واعتبر أن هذا القول هو الأصح ، وانتصر له بمثل ما انتصر به الطبرى ، وزاد عليه – أيضا – بأن قال : « لأن هذه السورة مكية »[٣٣١] .

ومراده أن كون هذه السورة مكية يجعل القول بمكية هذه الآية أحق من القول بأنها مدنية . وهو كما قال – رحمه الله – إلا أن الاستدلال على مكيتها بدلالة السياق أقوى .

ومما قدمنا يظهر أن هذه الآية مكية نزلت فى قريش حين « هموا بإخراج (الرسول ﷺ) من بين أظهرهم ، فتوعدهم الله بهذه الآية ، وأنهم لو أخرجوه لما لبثوا بعده بمكة إلا يسيرا . وكذلك وقع فإنه لم يكن بعد هجرته من بين أظهرهم بعدما اشتد أذاهم له إلا سنة ، ونصف حتى

(٣٣٠) تفسير الطبري ١٥ / ١٣٣ .
(٣٣١) الجامع لأحكام القرآن ٣٠١/١٠ .

جمعهم الله ، وإياه ببدر على غير ميعاد ، فأمكنه منهم ، وسلطه عليهم ، وأظفره بهم ، فقتل أشرافهم ، وسبى سراتهم »[٣٣٢] .

مسك الختام

وبعد فإنا قد أطلنا الحديث فى الكلام على الروايات التى زُعِمَ أنها كانت سببا لنزول هذه الآيات التى هى موضع بحثنا هذا من سورة الإسراء ، ولكنها إطالة استدعاها البحث وتَطَلَّبها الحالُ كَشْفاً لعوار هذه الروايات ، وإزهاقا لباطلها دفعا عن حمى النبوة الأقدس ، وروضها الأزهر ، وروحها الأطهر .

وقد آن أن نقدم خلاصة البحث مسكا للختام ، وتتميما للكلام فنقول :

خلاصة البحث ونتائجه

كانت هذه الآيات الكريمة التى تناولناها بالبحث فى موضوعنا هذا من سورة الإسراء من الآيات التى ظن بعضهم أن فيها عتابا لرسول ﷺ، إمَّا لأنه لم يظهر لهم معنى الخطاب بها ، وإمَّا لما دخل عليهم من الأقوال التى زعم فيها أنها كانت سببا لنزول هذه الآيات .

وقد أوضحنا المراد بالخطاب بهذه الآيات فى بحثنا هذا على ما فتح الله تعالى به علينا من فهم فيها ، ثم عرضنا فى هذا البحث – أيضا – ما قيل من روايات فى أسباب نزولها ، وحققنا القول فيه سنداً ، ومتنا .

---

(٣٣٢) تفسير ابن كثير ٥/٩٨ .

وقد تبين لنا من عرض هذه الآيات فى سياقها ، وسباقها أن الخطاب بها يدخل فى باب الإخبار عما لقى رسول الله ﷺ من بالغ أذى المشركين من قومه ، وتَقَذُّحِهِمْ له .

كما ظهر لنا – أيضا – أن هذه الآيات الكريمة سيقت لتثبيت رسول الله ﷺ فى دعوته ، وتبليغ رسالته .

وهى – أيضا – تسلية لقلب رسول الله ﷺ عما كانوا يواجهونه به من تكذيب ، وإعنات ، وصد وصدود ، وإنما وُجِّهَ الخطاب بها إليه ﷺ ؛ لأنه هو المبلغ الأول عن الله عز وجل ، والقائم بأمره ، وتنفيذ شرعه .

كما ظهر جليا أن ما حُمِلَ على هذه الآيات من روايات ، وأُلْصِقَ بها على زعم أن هذه الروايات كانت سببا لنزول هذه الآيات هى رواياتٌ باطلة سندا ، ومتنا ، مبنى ، ومعنى ، لا تعلق لها لا من قريب ، ولا من بعيد بهذه الآيات ، ولا بغيرها من آيات القرآن الكريم ، بل هي أقوال باطلة ظالمة ، لما فيها من طعن على رسول الله ﷺ ، وانتقاص لمقامه العظيم فى إخلاص العبادة لله عز وجل ، ولما تنسبه إليه – عليه أفضل الصلاة والسلام – هذه الروايات الهامطة[1] من زعم أنه هَمَّ – بزعمهم – أن يتمسح بها ، أو أنه هم – بزعمهم أيضا – أن يُبْقيَ المشركين على الشرك بالله ، ويقرهم عليه سنةً ، أو أنه صَدَّقَ خبثاء اليهود ، وفجارهم بأنه إن

(١) الهامطة : الظالمة و« الهمط : الخلط من الأباطيل والظلم ، وهمط يهمط إذا لم يبال ماقال ، وما أكل » لسان العرب ٤٢٣/٧ - ٤٢٤ .

تزكية الله تعالى لرسوله ﷺ

كان نبيا فليلحق بأرض الشام ، وحاشاه ﷺ من كل ذلك ، وقد زكاه ربه عز وجل فى ذاته ، وخلقه فقال : (وإنك لعلى خلق عظيم)(٢)، وزكى دعوته فقال : (وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم . صراط الله الذى له ما فى السماوات وما فى الأرض)(٣) ، وذم الكفرة المعرضين عن قبول دعوته ، وعذره فيهم تسلية ، وتعزية له فقال فى سورة النمل – وهى مما نزل عليه قبل نزول سورة الإسراء بسورة واحدة ، كما يدل على ذلك ترتيب نزول القرآن الكريم (٤) المروى عن جابر بن زيد(٥) – رحمه الله تعالى – أقول عذره فيهم فقال عز وجل : (إنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين . وما أنت بهاد العمى عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون)(٦) .

كما ظهر من تتبع رجال أسانيد الروايات المزعومة سببا لنزول هذه الآيات أن بعض الثقات كانوا يَتَجَوَّزُون ، أو قل يتساهلون فيروون الأقوال فى أسباب النزول ، كما هى مع ظهور جنفها فى حق رسول الله ﷺ ، وفساد معناها ، ومنافاتها للعصمة التى حفظ الله تعالى بها نبيه ﷺ من كل

---

(٢) سورة القلم ٤ .

(٣) سورة الشورى ٥٢ ، ٥٣ .

(٤) الاتقان في علوم القرآن ٧٢/١ .

(٥) هو جابر بن زيد الأزدي ، أبو الشعثاء ، روى عن ابن عباس وابن عمر ، والزبير ، وغيرهم من الصحابة كان من أعلم الناس بكتاب الله ، قال ابن عباس فيه « لو كان أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علما عما في كتاب الله » تذكرة الحفاظ ٧٢/١ ، تهذيب التهذيب ٣٨/٢ .

(٦) سورة النمل ٨٠ ، ٨١

أمور الجاهلية قولاً ، وعـملاً ، واعتقاداً ، دون أن يُنَبِّهُوا على شيء من ذلك كيزيد بن زريع مثلا ، وقد اعتذرت عن هؤلاء الأئمـة فى ثنايا هذا البحث كما سبق عند إيراد ما روى عنهم فى ذلك ونقدى لتلك الروايات بما عسى أن يكون مقبولا عند الله ثم عنـد فضلاء أهل العلم ، وأمْرُنـا ، وأمرهم إلى الله تعالى الغفور الرحيم .

وإذا كان الحال هو ما ذكرنا فى المراد بالخطاب بهذه الآيات الكريمة ، فلا وجه اذاً للقول بالعتاب بها لرسول الله ﷺ ، بل هى من باب توجيهه ، وتربيتـه ، وتكميله ، وإطـلاعــه عليه الصلاة والسلام على مـا يحـوكــه لـه الكفـار من كيد ، وهـى كما قـال فيـها عبـدالله بن عبـاس – رضى الله عنهـما – قال : « كـان رســول الله ﷺ معـصوما ، ولكــن هـذا تعـريف للأمة لـئلا يركن أحد مـنهم إلى المشركين فى شىء من أحكام الله تـعالى ، وشرائعه »[٧] .

وقد قدمنا ذكره فى موضعه من هذا البحث .

ويعـزز قـولـنا هـذا – أيضـا – تعقيـبُ هـذه الآيـات – كـما سبق أن أشرنا – بـأمر الله له عليـه الصلاة والسـلام بالاستـغراق فى عـبادة ربه ، والتوجه إليه عز وجل فى كل آنٍ ، وحين بإقـامة الصلاة المكتوبة ، والإكثار من تلاوة القـرآن الكريم ، وأمره بالتـهجـد به نافلة له ﷺ ، وَوَعْدُهُ بإقامـته المقام المحمود يوم القيـامة ، إكراما له ، وإظهـاراً لشأنه ، وإعلاءً لمقـامه ، ثم أَمْرُهُ بعد ذلك فى هذا السياق بالتوجـه إليه عز وجل بالدعاء بأن يدخله ربه

(٧) الجامع لأحكام القرآن ١٠/٣٠٠ .

سبحانه مدخل صدق ، ويخرجه مخرج صدق فى كل أمر من أموره ، وأن يجعل له سلطانا نصيرا على من عاداه ، أو حاول منعه من تبليغ رسالات ربه ، وإقامة شرعه .

وهذا التوجيه من الله تعالى لرسوله ﷺ عقيب هذه الآيات التى هى موضوع بحثنا هذا يدل على كمال رضا الله عز وجل عنه ﷺ ، كما يدل - أيضا - على بالغ التلطف به ، ولو كان معاتبا فى سباقها لما جاءت هذه الآيات الكريمة بهذا الأسلوب الرفيق ، وبهذا التوجيه الْمُطَمْئِنِ الموجِّهِ إلى الاستغراق فى العبادة قولاً ، وعملاً ، والمبشر بالوعد الصادق الجميل بأن يبعثه ربه يوم القيامة مقاما محموداً ، وأن يظهر فى الدنيا دينه ، وينشر شرعه ، ويعلى كلمته ، ويزهق باطل خصمه وينزل عليه من القرآن ما هو شفاء ، ورحمة للمؤمنين ، ولا يزيد الظالمين الكافرين إلا خسارا .

ولا شك أن هذا التنويه العظيم به فى هذا السياق الكريم يدل على صحة سيره فى دعوته ، وسلامته فى منهجه ، وموافقته للمطلوب منه ، وبالغ قيامه بما كلفه به ربه .

وقد كان بلاغه ﷺ لدين الله عز وجل بلاغا تاما كاملا ، تمت به النعمة وقامت به الحجة ، وظهرت به المحجة ، فالحمد لله على ما تفضل به ، وأنعم .

وكان الفراغ من كتابته ، وقراءته ؛ ومراجعته ، وتبييضه للمرة الرابعة ، والأخيرة فى تمام الساعة العاشرة من ضحى يوم الخميس الثامن

والعشرين من شهر ربيع الآخرة عـام ألف وأربعمائة ، وأربعة عشر فى دارنا بحي النـزهة من شـارع السـتين بجـرول بمكة المكـرمـة زادها اللـه تكريما وتشريفا ، ورزقنا ، وإياكم فيها حسن الأدب ، وطيب السكن .

وصلى الله وسلم على سيـدنا محمد عبـد الله ورسوله الأمين ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه أجمعين .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

قاله وكتبه راجي عفو ربه

الدكتور عويد بن عياد بن عايد

الحربى الكحيلى المِطْرفي

مكة المكرمة ص . ب ٨٥١٥

فهرس فهارس الكتاب

١ ـ فهرس الآيات

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار

٣ ـ فهرس الأعلام

٤ ـ فهرس الشعر

٥ ـ فهرس الأمثال

٦ ـ فهرس الأمم والطوائف

٧ ـ فهرس الأمكنة

٨ ـ فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب

٩ ـ فهرس المصادر والمراجع

١٠ـ فهرس مواضيع الكتاب

١ - فهرس الآيات القرآنية

الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة		
- فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين	٨٩	١٨٣
- ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ...) الآية	٢٨٦	٣
آل عمران		
- قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني ....) الآية	٣١	١١
- فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ....) الآية	١٥٩	١١٤
- لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ....) الآية	١٦٤	١٠
النساء		
- الرجال قوامون على النساء ....) الآية	٣٤	٣٠
- وفضل الله المجاهدين على القاعدين أجرا عظيما	٩٥	٣٠
- ولولا فضل الله عليك ورحمته ....) الآية	١١٣	٤٢، ٤٥
المائدة		
- وأن احكم بينهم بما أنزل الله ....) الآية	٤٩	٦٣
- ياأيها الرسول بلغ ماأنزل إليك من ربك ....) الآية	٦٧	٤٠

الانـعام

– ولا تطـرد الذين يدعون ربهـم بالغداة والعشى ....) الآية	٥٢	١١٧
– قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله	٥٦	١٠٠
– الله أعلم حيث يجعل رسالته	١٢٤	٢٩
		٤٨-٤٩
– ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ....) الآية	١٥١	٢٣

الاعراف

– فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه ....) الآية	١٥٧	١٠-١١

الانفـال

– وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله ....) الآية	٦٢	٦٥

التـوبة

– قـاتلـوا الـذين لا يؤمنـون بـالله ولا بـاليـوم الآخـر ....) الآية	٢٩	١٧٩
– والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم)	٦١	١٢
– يأأيها الذين آمنوا قـاتلوا الذين يلونكم من الكفار ....) الآية	١٢٣	١٧٩
– لقد جاءكم رسول من أنفسكم ....) الآية	١٢٨	١١٤

يونس

الآية	رقمها	الصفحة
– قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تدعون من دون الله ....) الآية	١٠٤	١٠٠
– وأن أقم وجهك للدين حنيفا ....) الآية	١٠٥	٦٣

هود

الآية	رقمها	الصفحة
– إن نظن إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء)	٥٤	١١٥
– ولا تركنوا إلى الذين ظلموا ....) الآية	١١٣	٤٤

يوسف

الآية	رقمها	الصفحة
– وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين	١٠٣	٦٤
وما تسألهم عليه من أجر إن هو إلا ذكر للعالمين	١٠٤	٦٤

الرعد

الآية	رقمها	الصفحة
– قل إني أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أدعوا وإليه مآب .	٣٦	١٠٠

ابراهيم

الآية	رقمها	الصفحة
– يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ....) الآية	٢٧	٥٤ ، ٥٥
– وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم ....) الآية	٥٦	٤١

الحجر

– لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون	٧٢	١٠

النحل

– إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل	٣٧	٦٤
– والله فضل بعضكم على بعض في الرزق	٧١	٣٠

الإسراء

– ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ....) الآية	١٩	٢١
– لا تجعل مع الله إلها آخر فتقعد مذموماً مخذولاً	٢٢	٢٢
وقضى ربك أن أن لا تعبدوا إلا إياه	٢٣	٢٢
– نحن نرزقهم وإياكم	٣١	٢٣
– ولا تمش في الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا ، كل ذلك كان سيئه مكروها	٣٧-٣٨	٢٤
– انكم لتقولون قولاً عظيما	٤٠	٢٥
– قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ..سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا	٤٢-٤٣	٢٦
– إن تتبعون إلا رجلا مسحورا	٤٧	٢٧
– وقل لعبادي يقولوا التي هى أحسن ...) إلى قوله (وما ارسلناك عليهم وكيلا)	٥٣-٥٤	٢٨
– وربك أعلم بمن في السماوات والأرض ....) الآية	٥٥	٣٠

الآية	رقمها	الصفحة
– قل ادعوا الذين زعمتم من دونه	٥٦	١٨١
– أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة ....) الآية	٥٧	٣١، ٣٢
– ومامنعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون ....) الآية	٥٩	٣٢
– ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ....) الآية	٧٠	٣٤
– ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمي ....) الآية	٧٢	٣٥
– وإن كادوا ليفتنونك عن الي أوحينا إليك ....) الآيات من ٧٣ إلى قوله (وإذاً لا يلبثون خلافك إلا قليلا) ....) آية ٧٦	٧٣-٧٦	٨، ٩ ٣٥، ٣٦ ٤٠، ٤٢ ٤٣، ٤٥ ٤٨، ٥٠ ٥٣، ٥٩ ٦٥، ٧٠ ٧١، ٧٣ ١١٩، ١٢٥ ١٢٧، ١٣٠ ١٤٩، ١٦١ ١٦٣، ١٨٤

– سنة من أرسلنا من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا	٧٧	٥٩
– أقم الصلاة لدلوك الشمس الى غسق الليل..) الآيات الأربع إلى قوله (إن الباطل كان زهوقا)	٧٨-٨١	٦٠ ، ٦١
– قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن		٦٢
لايأتون بمثله ....) الآية	٨٨	٦٢

الكهف

– بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا	٤٨	١٨١

طـه

– أكاد أخفيها	١٥	٣٨

الانبياء

	٣٦	١٤٨
– وإذا رآك الذين كفروا إن يتخذونك إلا هزوا ....) الآية		
– إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون	٩٨	١٠١

الحج

– وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا اذا تمنى...) الآية	٥٢	١١٩-١٢٠ ١٢٥

المؤمنون

– وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم ....) الآية	٧٣	١٠٢

النــور

– يكاد زيتها يضئ	٣٥	٣٧

الفرقان

– وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا ....) الآيتين	٤١-٤٢	١٤٨
– فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا	٥٢	٦٤

النمـل

– إنك لا تسمع المــوتى ولا تسمع الصم الدعاء ....) الآيتَين	٨٠-٨١	١٨٨

القصص

– ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون	٦٢-٧٤	١٨١

العنكبوت

– أولم يــروا أنا جعلــنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهــم ....) الآية	٦٧	١٥٧

لقمان

الآية	رقمها	الصفحة
– وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم	١٣	١٠٥

الأحزاب

الآية	رقمها	الصفحة
– لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا	٢١	٨، ٥٢
– يانساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين	٣٠	١٠٤، ٥٠
– ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا	٤٨	٦٤
– إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعَدَّ لهم عذابا مهينا	٥٧	١١-١٢

فاطر

الآية	رقمها	الصفحة
– ولا يحيق المكر السيي إلا بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسَنة اله تحويلا	٤٣	٦٠

ص

الآية	رقمها	الصفحة
– ساحر كذاب	٤	١٤٧

الزمر

- قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون	٩	٢٩
- قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين	١١	١٠٠
- قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون	٦٤	١٠١
- لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين	٦٥	٤٧

غافر

- فوقاه الله سيئات مامكروا	٤٣	٦٠
- قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله	٦٦	١٠٠

الشورى

- وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم . صراط الله الذي له مافي السماوات ومافي الأرض	٥٢-٥٣	١٠٤،٤١ ١٨٨

الدخان

- معلم مجنون	١٤	١٤٧

الفتح

- لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه	٩	١٠

الحجرات

الآية	رقمها	الصفحة
– يأأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله .. الآيتين ١ ، ٢ إلى قوله (أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون)	١ ، ٢	١٠

الطور

الآية	رقمها	الصفحة
– شاعر نتربص به ريب المنون	٣٠	١٤٧

النجم

الآية	رقمها	الصفحة
– والنجم إذا هوى . ماضل صاحبكم وماغوى	١ ، ٢	٣ ، ١١٩
– وما ينطق عن الهوى	٣	٣ ، ١٢٥
– أفرأيتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى	١٩ -٢٠	١٩

الحشر

الآية	رقمها	الصفحة
– وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب	٧	٥٢

المنافقون

الآية	رقمها	الصفحة
– هم العدو فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون	٤	٦٣

التغابن

الآية	رقمها	الصفحة
– زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ..) الآية	٧	١٨١

سورة القلم

الآية	رقمها	الصفحة
– وإنك لعلى خلق عظيم	٤	٣ - ١٠١
		١٨٨

الحاقة

الآية	رقمها	الصفحة
– هاؤم اقرأوا كتابيه	١٩	٣٥
– ولو تقوَّل علينابعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين . ثم لقطعنامنه الوتين	٤٤ - ٤٦	٦٥-٦٨
		١٢٥

المدثر

الآية	رقمها	الصفحة
– ياأيها المدثر . قم فأنذر . وثيابك فطهر . والرجز فاهجر	١ – ٥	١٠٠
– هو أهل التقوى وأهل المغفرة	٥٦	٣٠ ، ٣١

الإنسان

الآية	رقمها	الصفحة
– فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثما أو كفورا	٢٤	٦٤

٢ ـ فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة

ـ (إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ حديثا ...) ٧
ـ (إذا حدثتم حديثا عن رسول الله ﷺ ...) ٧
ـ (إذا حدثتم بالحديث عن رسول الله ﷺ ...) ٤ ، ٧
ـ (إذار حدثتكم عن رسول الله ﷺ بحديث ...) ٤ ، ٧
ـ (إذارأيتموهم فاقرفوهم ، واقتلوهم ...) ١٤٦
ـ (أنا أغنى الشركاء عن الشرك ...) ٢٢
ـ (أنا آخذ بحجزكم عن النار ...) ٥٣
ـ (أن جاريتين كانتا تغنيان بما تقارفت به الأنصار يوم بعاث ...) ١٤٥
ـ (إن العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه ...) ٥٦
ـ (إنه لم يكن نبي قبلي الا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير مايعلمه لهم ...) ٩٨
ـ (إنه لا ينبغي لنبي أن تكون له خائنة الأعين ...) ١٠٣
ـ (إعلم إنه ليس يسلم رجل حدّث بكل ماسمع ...) ١٧١
ـ (اللهم فقه في الدين وعلمه التأويل) ٤٧
ـ (اللهم لا تكلني إلى نفسي طرفة عين ...) ٤٩
ـ (بعثني الله تعالى بالرسالة ، فضقت بها ذرعا ...) ٣٩
ـ (بئس مطية الرجل زعموا) ١٨٢
ـ (تعريف للأمة لئلا يركن منهم أحد الي المشركين في شيء ...) ٤٩

- (رآني أبي عند قاص ٠٠٠) ١٦٦ — ١٦٦
- (رأى ابنه عند قاص ٠٠٠) — ١٦٧
- (سجد النبي ﷺ بالنجم ٠٠٠) — ١٢٥
- (سل ربك ، فان لكل نبي مسألة ٠٠٠) — ١٦٤
- (فو الذي هو أكرمه وأنزل عليه الكتاب ٠٠٠) — ٩٩
- (كان رجل لايزال يقص ٠٠٠) — ١٦٨
- (كان صنم من نحاس يقال له : إساف ، أو نائلة ٠٠٠) — ٩٨،٩٩
- (كان النبي ﷺ لا يأخذ بالقرف ٠٠٠) — ١٤٣
- (كان رسول الله ﷺ معصوما ٠٠٠) — ٤٧،١٨٩
- (كل شيء في القرآن وإن كادوا ٠٠٠) — ٣٨
- (٠٠٠ وكل شيء في القرآن كاد ٠٠٠) — ٣٨
- (كفى بالمرء كذبا ٠٠٠) — ١٧١
- (كفى بالمرء إثما ٠٠٠) — ١٧١
- (لا تسألني باللآت والعزى شيئا ٠٠٠) — ٩٩
- (لم يقص زمان أبي بكر ، ولا عمر ٠٠٠) — ١٦٦
- (ماسمعت رسول الله ﷺ يقول في زعموا ؟ — ١٨٢
- (وهل يكب الناس في النار على وجوهم ٠٠٠) — ٩
- (والله الذي لا إله غيره ٠٠٠) — ٨٨

- (والله ما نزلت آية إلا وقد علمت فيم أنزلت ٠ ٠ ٠) ٨٩

- (ياعبادي إنكم تبلغوا ضري ٠ ٠ ٠) ٢٣

- (ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني ٠ ٠ ٠) ٤٢، ٩٥

- (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ٠ ٠ ٠) ٥٥

- (ينفون عنه تحريف الغالين ٠ ٠ ٠) ٦٨

٣ ـ فهرس الأعلام

(أ)

آدم عليه السلام ٣٣،٣٤

ابراهيم ١٠٨

ابليس ٣٣

الأثرم ١١٠

الامام أحمد ١٤،٧٨،٨٤،٩٨،١٠٦،١٠٧،١٠٨،١٠٩، ١١٠،١٢٠،١٢١

١٣٥،١٥١، ١٥٢، ١٥٤، ١٨٢ .

أحمد بن صالح ١٧١

أحمد بن عبد الجبار العطاردي ١٦٣، ١٦٨

الأزدي ٨٣، ١٣٣

الأزهري ١٤٢

أسامة بن زيد ٩٨

الأسود ١٠٨

الأصمعي ١٤٤

الأعمش ١١٢، ١٥٢

أمية بن خلف ٧٠،٧١

أنس بن مالك ٥٦

أيوب ١٦٥

ابن اسحاق ٦٩، ٧٥،٩٩،١١٢

ابن الأثير ١٤٦، ١٦٧،١٨١

ابن تيمية (شيخ الإسلام) ١٥،١٦،٥٥

ابن جريج ٧٣، ١٠٥،١٠٦،١٠٩،١١٠،١١١

ابن الجوزي ٨٣

ابن أبي حاتم ٣٨،٦٩،٧٠،٧٣،٨٤،٨٧،١١٦،١١٧،١٦٤،١٧٣،١٧٩

ابن حبان ٤٣،٨٥،١١١،١٢٢،١٥٢،١٥٣،١٥٤،١٧٤

ابن حجر (الحافظ) ٥٥،٧٥،٧٦،٨١،١٠٧،١١٠،١٣٦،١٥٤،١٧٠، ١٧١،١٧٥،١٧٨،١٨٤

ابن حزم ١٧٣، ١٧٤

ابن خراش ٧٧

ابن خزيمة ٧٨،٧٩،١٢٣

ابن دريد ١٤١

ابن راهويه ٣٨،٤٣

ابن السكيت ٤١،١٤٢

ابن شهاب (الزهري) ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٦ ، ١١٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٢ ، ١٨٩ .

ابن أبي شيبة ١٦٥،١٦٦،١٧٠،١٨٢

ابن طاهر ١٣٦

ابن طاووس ١٣٦

ابن عساكر ١٦٤

ابن عباس ٤٦،٤٧،٤٩،٥١، ٦٨،٦٩،٧٠،٧١،٧٣،٧٤،٨٦،١١٢،١٢٤،١٢٥،

١٤٩،١٥٠،١٥١،١٦٢،١٨٩،

ابن عدي ٨٤،١٦٩،١٧٢

ابن عمر ١٦٥،١٦٧،١٦٨

ابن فارس ٣٧

ابن قيم الجوزية ٥١،٦٥

ابن كثير١٢٤،١٢٥،١٨٤

ابن ماجه ٧

ابن المديني (علي) ٨٤،١٢١،١٦٤،١٦٥

ابن مردويه ٦٩،٧٠،٧٣،١٤٩

ابن معين ٨٣،١٠٨،١٢١،١٢٢،١٣٤،١٣٦،١٥١

ابن منده ٨٢

ابن المنذر ١٦٢

ابن منظور ٣٧،١٤٢،١٤٣،١٤٤،١٨٠

أبو أحمد العسال ٧٧

أبو اسحاق الحربي ١٤٣

أبو بكر الباقلاني ٤٢

أبو بكر بن عياش ١٤٢

أبو جهل ٧٠، ٧١

أبو حاتم ٧٧، ٨٥، ١٠٥، ١٠٧، ١٢٠، ١٣٣، ١٣٦، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٢

أبو الحسن بن القطان الفاسي ١٧٣

أبو داود ١٠٣، ١٢١، ١٣٢، ١٣٣، ١٥٢، ١٧٠

أبوزرعة ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١

أبو سعيد الخدري ١٥٣، ١٥٤

أبو الشيخ ٤٣، ٧١، ٧٢، ٧٤، ٧٦، ١١٦، ١١٧، ١٢٠

أبو طالب ٤١، ٩٤، ٩٥، ٩٩

أبو عاصم الضحاك بن مخلد ٨٦

أبو العباس محمد بن يعقوب ١٦٣

أبو عبد الرحمن السلمي ١٦٥

أبو عبد الله الحافظ ١٦٧

أبو عبد الله (حذيفة بن اليمان) ١٨٢

أبو عبيد الله السري بن يحيى ١٦٩

أبوالعرب القيرواني ١٠٧

أبو علي النيسابوري ٧٨

أبو عمر بن عبد البر ٦٦

أبو عمرو بن العلاء ١٣٢

أبو قلابه ١٨٢

أبو كريب محمد بن العلاء ١٦٩، ١٧٠

أبو مسعود (عقبة بن عمرو بن ثعلبة) ١٨٢

أبو معشر ١١٩، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣

أبو نعيم ٨٨

أبو نعيم الفضل بن دكين ١٣٣

أبو نعيم بن عدي ٧٧

أبو هريرة ٣٩، ٤٣، ٥٤

أبو الوليد الباجي ٨٠

أم هانيء (بنت أبي طالب) ٨٣

(ب)

باذان ٧٣، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٩٠

بحيرى الراهب ٩٩

البخاري ٥٣، ٥٥، ٧٨، ٨٨، ١٢١، ١٢٤، ١٥٢، ١٨٢

البراء ٥٥

البرديجي ١١٠

البزار ١٢٥

البقاعي ٤٦

بكر بن العلاء (القاضي) ١٢٦

البيهقي ٧،٩٨،١٢٤،١٦٣،١٦٤،١٧٢،١٧٨،١٧٩

(ج)

جابربن زيد ١٨٨

جابر بن عبد الله ٦٩،٧٣،٨٣،٨٤،٨٧،٨٨،٨٩

جبرائيل ١١٩،١٢٦،١٢٧،١٦٤

جبير بن نفير ١١٦ ، ١١٧

جعفر ٧٢،٨٢

الجوزجاني ٨٣ ،١٧٧

الجوهري ٣٧

(ح)

الحاكم أبو عبد الله ٨٥

حجاج (بن داود) ٧٣، ١٠٥،١٠٦،١٠٨،١٠٩،١١٩،١٢٠،١٢١

الحسن البصري ٤٣،١٤٣

الحسن بن عطية العوفي ١٢٥

الحسين بن الحسن بن عطية العوفي ١٢٥

الحسين بن داود (ولقبه سنيد) ٧٣،١٠٥، ١٠٨،١١٩،١٢٠،١٢١

حضرمي ١٦٣،١٦٤،١٦٥،١٧٩

(خ)

خباب ١٦٧

الخطابي ١٨٠

الخطيب البغدادي ١٥١،١٦٩

الخلال ١٠٨،١١٠

خيثمة ١٠٨

(د)

الدار قطني ١١١،١٢١،١٦٨

الدارمي ٧

(ذ)

الذهبي ٧٦،٧٧،٨١،١١٢،١٢٢،١٣٥،١٥١

(ر)

الراغب الأصفهاني ١٨٠

(ز)

الزبيدي ١٤٥

الزرقاني ٥١

الزركشي (بدر الدين) ١٥

زيد بن حارثة ٩٨،٩٩

زيد بن الحباب ٨٧

(س)

السبكي (تقي الدين) ١٧

السخاوي ٧٨

السدي ٨٤

سعد بن محمد بن الحسن ١٥١

سعيد (بن أبي عروبة) ١٣٠،١٣٣،١٣٤،١٣٥،١٣٦،١٣٧،١٣٩

سعيد بن منصور ١٢٠

سفيان الثوري٨٤،٨٦،٨٧

سليمان الأحمسي ٨٨

سليمان بن طرخان التيمي ٨٥،١٣٤،١٦٤،١٨٠

السهيلي ٩٩

السيوطي ٤٠،٦٩،٧٠،٧١،٧٣،٧٤،٧٥،٨٣،٩٠،١١٦،١٢٠،١٤٩،١٥٦،١٦٢،
١٦٤،١٧٩

(ش)

الشاذكوني ٧٦

الشاطبي ٥٣

الشافعي ٨٦

شريح ١٨٠

شعبة ١٠٨، ١٣١، ١٧٧

الشعبي ١٣٢

شهر بن حوشب ١٦٣، ١٧٢، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٨٠

الشوكاني ١٢٥

(ص)

صالح بن أحمد ٧٨

صالح بن جزرة ٧٦، ١٧٧

(ض)

الضحاك بن مزاحم ٣٨، ١٦٢

(ط)

الطبري (محمد بن جرير) ٣٨، ٧٢. ٧٣، ٧٦، ٩٣، ٩٩، ١٠٥، ١١٩، ١٢٠، ١٣٠، ١٤٩

١٥١، ١٥٤، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٨٠، ١٨٥

(ع)

عاصم (بن أبي النجود) ١٦٥
عباس البحراني ١٣٦
عبد الجبار (القاضي) ١٢٨
عبد الحق ١٢٢
عبد الحميد بن بهرام ١٦٣، ١٧٢، ١٧٧
عبد الرحمن بن غنم ١٦٣، ١٦٤، ١٧٦، ١٨٠
عبد الرحمن بن مهدي ٨٤
عبد الرزاق ١٦٢
عبد الله بن أحمد ٨٤، ١٠٦، ١٦٤
عبد الله بن خباب بن الأرت ١٦٦
عبد الله بن مسعود ٧، ٨٨، ٨٩، ١٦٨
عبد الله بن أبي الهذيل ١٦٧
عبد الله بن مغفل المزني ١٦٨
عبد الله بن وهب (المصري) ١٧١
عبد الله ١٠٨
عبد الوهاب الخفاف ١٣٤
عطاء ١٤٩
عطية بن سعد بن جنادة العوفي ١٤٩، ١٥٠، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤

عقبة بن حريث التغلبي الكوفي ١٦٧

علي بن أبي طالب ٧،٨٨،٨٩

علي بن عاصم ١٠٨

عمر الحوضي ١٣٥

عمر بن الخطاب ١٥٠،١٥٩

عمرو بن شعيب ١٣٢

عياض (القاضي) ٥٦،٥٧،١٢٦،١٢٧

عيسى بن مريم ١٠٨

(ف)

الفارابي ١٤٣

فضلك الرازي ٧٧، ٨١

(ق)

القاسم ٧٣، ١١٩

قتادة ٦٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٦، ١٦٢، ١٨٥

(ك)

الكلبي ٧٣، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ١٥٣، ١٥٤

(ل)

ليث بن أبي سليم ٨٥

الليث (بن نصر بن سيار) ١٨٠

(م)

مالك (الإمام) ١٠٩، ١١٠، ١٧١

متمم بن نويرة ١٤٢

مجاهد ٦٩، ٧٣، ١٠٥، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١٦٢، ١٦٨، ١٨٥

محمد بن بكار بن الريان ١٢٢

محمد بن ثور ١٣٠

محمد بن جحادة ١٤٣

محمد بن حميد ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٢، ٨٣،

محمد بن سعد (صاحب الطبقات الكبرى) ١١٢

محمد بن سعد (شيخ الطبري) ١١٩

محمد بن سوقة ١٠٨

محمد الصادق ابراهيم عرجون (الدكتور) ١٢٩

محمدبن عبد الأعلى ١٣٠، ١٦٣

محمد بن قيس ١١٩، ١٢٠

محمد بن كعب القرظي ٦٩، ١١٩، ١٢٠

محمد بن أبي محمد ٧٠،٧١،٧٤،٧٥،١١٢

محمد محمد أبو شهبة (الدكتورر) ١٢٨

محمد محمد أبو شهبة (الدكتور) ١٢٨

محمد بن مسلم بن واره ٧٨،٧٩،٨١

مسروق ٨٨

مسلم (صاحب الصحيح) ٢٢،٥٣،٥٥،٦٥،٨٨،٩٨،١٦٥،

المعتمر بن سليمان ١٦٣

معمر ١٣٠،١٣٢،١٣٦،١٣٧،١٣٩،١٤٠

موسى عليه السلام ١٩

موسى بن هارون ١٧٢

(ن)

نافع ١٦٥

النحاس ٤٣

النسائي ٧٨،٨٣،٩٨،١٠٣،١٠٥،١٠٧،١٢٠،١٢١،١٥٢،١٧٠

نوح عليه السلام ٢٠

(هـ)

هشيم ١٥٢

(و)

الواحدي ١٤٩، ١٥٠

(ي)

يحيى القطان ٨٤، ١٢٢

يزيد بن زريع ١٣٠،١٣٣،١٣٤،١٣٥،١٣٦،١٨٩

يعقوب القمي ٧٢

يوسف عليه السلام ١٤١

يونس بن بكير ١٦٣،١٦٩،١٧٠،١٧١

٤ ـ فهرس الشعر

صدر البيت	قافيته	ص
قعيدك	فيبجعـــــا	١٤٢
والمـــرء	والألــــم	١٤٥

٥ ـ فهرس الأمثـــال

إياك أعني واسمعي يا جارة ٥٠

٦- فهرس الأمم والطوائف

ثقيف ٦٨،٦٩،١٤٩،١٥٥،١٥٦،١٥٧

الشُّرط ١٦٧،١٦٨

العجم ١٥٦

العرب ٨٦ ، ١٥٠، ١٥٦ ، ١٥٧، ١٥٨

العمالقة ١٦٦ ، ١٦٧

قريش ٤١ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٣ ، ٩٩ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٣٠ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ،٠

المنافقون ٦٣

اليهود (بنو اسرائيل) ١٩ ، ٦٣ ، ١٦١ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٦ ، ١٧٩ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٧٠

٧ ـ فهرس الأماكن

بدر ١٦٢

البصرة ٧٧، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٦٤٠

بغداد ١٦٩٠

تبوك ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، ١٨٤٠

جامعة أم القرى ١٣

الحبشة ١٢٠، ١٢٤.

الشام ٩٩، ١٦٣، ١٦٧، ١٨٣، ١٨٨.

العراق ١٦٩.

الكوفة ٧٧ ، ١٣٧ ، ١٦٩ .

المدينة المنورة ١٥٦ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٨٣ .

المسجد الحرام ١٩ .

المسجد الأقصى ١٩ .

مكة المشرفة ١٣ ، ٦٩ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ١١٥ ، ١٢٠ ، ١٥٠ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٨٣ ، ١٨٥ .

مؤتة ١٧٩ .

٨ - فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب

آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد للدكتور عويد المطرفي ٨،٩،٥٧ ، ١١٨

الأدب المفرد للإمام البخاري ١٨٢

اختصار علوم الحديث لابن كثير ٧٨

الأسماء والصفات للبيهقي ٧

إصلاح المنطق لابن السكيت ١٤١

إعراب القرآن للنحاس ٤٣

البداية والنهاية لابن كثير ١٢٤

تاج العروس للزبيدي ١٤٤ ، ١٤٥

تاريخ بغداد ١٥١

تفسير البقاعي (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور) ٤٦

تفسير ابن حيان (البحر المحيط) ٤٣

تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) ٧٦ ، ١١١ ، ١١٩ ، ١٣٠ ، ١٥١ ، ١٥٤ ، ١٨٥

تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ١٢٤ ، ١٧٨ ، ١٨٤

تقريب التهذيب ٧٥ ، ١٧٠ ، ١٧٤ ، ١٧٥

التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ٨٠

تنزيه القرآن عن المطاعن ١٢٨

تهذيب اللغة للأزهري ١٤٢

تهذيب التهذيب ٧٥ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١١٠ ، ١٣٦ ، ١٥٤ ، ١٧١

الجامع لأحكام القرآن ٤٦

جامع بيان العلم وفضله ٦٦

الجامع لابن جريج ١٠٦

جمهرة اللغة لابن دريد ١٤١

حلية الأولياء لأبي نعيم ٨٨

الدر المنثور في التفسير بالمأثور ٦٩ ، ، ٧٣ ، ٧٤ ، ٨٣ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٤٩ ، ١٦٢

دلائل النبوة للبيهقي ٩٨ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩

ديوان الأدب ١٤٣

روح المعاني للألوسي ٤٣

سنن الدارمي ٧

سنن ابن ماجه ٧

سؤالات الحاكم النيسابوري للدارقطني ١٦٨ ، ١٦٩

سيرة ابن اسحاق ٩٩

السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة ١٢٨

السيف المسلول في الذب عن الرسول صلى الله عليه وسلم للدكتور عويد المطرفي ١٦

السيف المسلول على من سب الرسول لتقي الدين السبكي ١٧

الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ٥٦ ، ١٢٦

شرح المواهب اللدنية للزرقاني ٥١

الصارم المسلول على من سب الرسول ٣٧

الصحاح للجوهري ٣٧

صحيح البخاري ٥٥ ، ٨٨ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ١٢٨

صحيح مسلم ٥٥ ، ٨٨ ، ١٦٥

الطبقات الكبرى لابن سعد ١١٢

غريب الحديث للحربي ١٤٣

غريب الحديث للخطابي ١٨٠

فتح الباري للحافظ ابن حجر ٥٥

فتح القدير للشوكاني ١٢٥

فتح المغيث للسخاوي ٧٨

القاموس المحيط ١٤٤

الكامل في ضعفاء الرجال ٨٤ ، ١٦٩

لباب النقول للسيوطي ٧٠ ، ٧١ ، ٧٤ ، ١١٦ ، ١٢٠ ، ١٤٩ ، ١٥٦

لسان العرب ٣٧ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٨٠

لسان الميزان ١٥١

المجروحين لابن حبان ١٢٢ ، ١٥٢ ، ١٧٤

المجمل لابن فارس ٣٧
مدارج السالكين ٥١ ، ٦٥
مسند أحمد ١٨٢
مسند ابن راهويه ٣٩
المصنف لابن أبي شيبه ١٦٥ ، ١٨٢
معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ٤٠
المغازي ليونس بن بكير ١٦٩ ، ١٧٠
مفتاح تحقيق التاريخ الإسلامي - كتاب القرن الرابع عشر الهجري (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) منهج ورسالة بحث وتحقيق للأستاذ الدكتور محمد الصادق عرجون ١٢٩
المفردات للراغب الأصفهاني ١٨٠
المواهب اللدنية للقسطلاني (ضمن شرحها للزرقاني) ٦٦
ميزان الاعتدال ٧٥ ، ٧٧ ، ٨١ ، ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٣٥ ، ١٥١
نكت الانتصار لنقل القرآن ٤٢
النهاية في غريب الحديث والأثر ١٤٣ ، ١٤٦ ، ١٦٧ ، ١٨٢

٩ - فهرس المصادر والمراجع

١ - آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والاجتهاد للدكتور عويد بن عياد المطرفي ، دار الفكر العربي بالقاهرة .

٢ - الإتقان في علوم القرآن للسيوطي تحقيق أبو الفضل ابراهيم ط١ عام ١٣٨٧ هـ ، مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني .

٣ - الإجابة لايراد ما استدركته عائشة على الصحابه - بدر الدين الزركشي - تحقيق سعيد الافغاني ، ط الثانية - المكتب الاسلامي - بيروت ١٣٩٠هـ .

٤ - الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم ،أشرف على طبعه أحمد شاكر، مطبعة العاصمة بالقاهرة .

٥ - أحوال الرجال للجوزجاني ، تحقيق السيد صبحي البدري السامرائي ، ط ١ عام ١٤٠٥ هـ ، مؤسسة الرسالة - بيروت .

٦ - الأدب المفرد للإمام البخاري ، ترتيب وتقديم كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب - بيروت ط ١ عام ١٤٠٤ هـ .

٧ - أسباب النزول للواحدي ، الطبعة الثانية ١٣٨٧ هـ ، مصطفى البابي الحلبي .

٨ - الاستيعاب لابن عبدالبر بهامش الإصابة للحافظ ابن حجر .

٩ - الأسماء والصفات للبيهقي ، تحقيق عماد الدين أحمد حيدر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ط ١ عام ١٤٠٥هـ .

١٠ - الاشتقاق لابن دريد ، تحقيق عبدالسلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي بمصر .

١١ – الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر ، الطبعة الأولى عام ١٣٢٨ هـ ، مطبعة السعادة بمصر .

١٢ – إعراب القرآن للنحاس ، تحقيق الدكتور زهير غازي زاهد ، وزارة الأوقاف بالعراق .

١٣ – الاعتصام للشاطبي ، دار المعرفة ، بيروت عام ١٤٠٢هـ .

١٤ – الأعلام لخير الدين الزركلي ، الطبعة الرابعة .

١٥ – إكمال الإعلام بتثليث الكلام لابن مالك ، تحقيق سعد بن حمدان الغامدي ، ط ١ عام ١٤٠٤ هـ – مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى بمكه .

١٦ – انباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر بالقاهرة ، ط١ عام ١٤٠٦هـ .

١٧ – الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير تأليف أحمد محمد شاكر ط ٣ ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح .

١٨ – البداية والنهاية لابن كثير ، مكتبة المعارف – بيروت .

١٩ – البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق محمد أبوالفضل ابراهيم ط ١ عام ١٣٧٦هـ ، دار إحياء الكتب العربية – مصر .

٢٠ – البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة بالرياض .

٢١ – البسيط المجلد الثالث لوحة ١٥٩ ، ميكروفلم بمركز البحث العلمي وإحياء التراث الاسلامي بجامعة أم القرى ، مصور من المكتبة الأزهرية رقم ٣٠٣ .

٢٢ – بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب لمحمود شكري الألوسي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط ٢ .

٢٣ - تاج العروس من جواهر القاموس لمحمد مرتضى الزبيدي ، دار مكتبة الحياة .
٢٤ - تاريخ قضاة الأندلسي للنباهي ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت .
٢٥ - تاريخ بغداد للخطيب البغدادي
٢٦ - تدريب الراوي للسيوطي ، حققه عبدالوهاب عبداللطيف ، ط ١ عام ١٣٧٩ هـ ، المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .
٢٧ - تذكرة الحفاظ للذهبي ، دار إحياء التراث العربي - بيروت .
٢٨ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض ، تحقيق الدكتور أحمد بكير محمود ، دار مكتبة الحياة - بيروت عام ١٣٨٧ هـ .
٢٩ - تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس للحافظ ابن حجر .
٣٠ - التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ، تحقيق الدكتور أبولبابة حسين ، دار اللواء بالرياض ، ط ١ عام ١٤٠٦ هـ .
٣١ - تفسير القرآن العظيم لابن كثير ، تحقيق عبدالعزيز غنيم ، محمد أحمد عاشور ، محمد ابراهيم البنا ، الشعب بمصر .
٣٢ - تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر ، تحقيق محمد عوامة ، ط ١ عام ١٤٠٦ هـ ، دار الرشيد - سوريا - حلب .
٣٣ - تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر ، حققه عبدالوهاب عبداللطيف ، ط ١ عام ١٣٨٠ ، مطابع دار الكتاب العربي بمصر .
٣٤ - التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح لزين الدين العراقي ، المكتبة السلفية بالمدينة ط ١ عام ١٣٨٩ هـ .

٣٥ – التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية للصاغاني حققه عبدالعليم الطحاوي ، مطبعة دار الكتب بالقاهرة ١٩٧٠ م .

٣٦ – تنزيه القرآن عن المطاعن للقاضي عبدالجبار ، الشركة الشرقية للنشر والتوزيع ، دار النهضة الحديثة – بيروت .

٣٧ – تهذيب الأسماء واللغات للنووي ، إدارة الطباعة المنيرية .

٣٨ – تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر .

٣٩ – تهذيب الكمال للمزي تحقيق الدكتور بشار عواد .

٤٠ – تهذيب اللغة للأزهري ، الدار المصرية للتأليف والترجمة

٤١ – جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، ط ٣ عام ١٣٧٣هـ .

٤٢ – الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور محمود الطحان ، مكتبة المعارف بالرياض عام ١٤٠٣هـ .

٤٣ – الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر بالقاهرة عام ١٣٨٧ هـ .

٤٤ – جامع الترمذي ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، البابي الحلبي وأولاده ، ط ١ عام ١٣٥٦ هـ بالقاهرة .

٤٥ – جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر ، المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ، ط ٢ عام ١٣٨٨ هـ .

٤٦ – الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ، دائرة المعارف العثمانية ، سنة ١٣٧١ هـ .

٤٧ – جمهرة النسب للكلبي تحقيق الدكتور ناجي حسن ، عالم الكتب ، ط ١ ، عام ١٩٨٦م .

٤٨ – جمهرة اللغة لابن دريد ، دار صادر ، بيروت .

٤٩ – حلية الأولياء لأبي نعيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

٥٠ – الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، دار الفكر – بيروت ، ط ٢ عام ١٤٠٣هـ .

٥١ – الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب لابن فرحون ، تحقيق الدكتور محمد الأحمدي أبو النور ، دار التراث للطبع والنشر بالقاهرة .

٥٢ – ديوان الأدب لإسحاق بن ابراهيم الفارابي ، تحقيق الدكتور أحمد مختار عمر ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٣٩٤ هـ .

٥٣ – ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور سيد حنفي حسين ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، عام ١٣٩٤هـ .

٥٤ – روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، إدارة الطباعة المنيرية .

٥٥ – الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية للسهيلي ، قدم له طه عبدالرؤوف سعد ، دار المعرفة – بيروت عام ١٣٩٨هـ .

٥٦ – سنن الدارمي ، دار احياء السنة النبوية .

٥٧ – سنن ابن ماجه ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي . ط ١ عام ١٤٠٣هـ .

٥٨ – سنن ابن ماجه تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي .

٥٩ – سنن ابن ماجه بحاشيه السندي ، المطبعة التازية ، ط ١ عام ١٣٤٩هـ .

٦٠ – سنن النسائي بشرح السيوطي ، دار احياء التراث العربي – بيروت .

٦١ – سنن ابي داود ، ضبط وتعليق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار احياء السنة النبوية .

٦٢ – سير اعلام النبلاء للذهبي ، مؤسسة الرسالة .

٦٣ – السيرة النبوية لابن هشام ، ضبط وتعليق محمد محي الدين عبدالحميد ، مطبعة حجازي بالقاهرة .

٦٤ – السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة للدكتور محمد محمد أبو شهبة ، دار الطباعه المحمدية بالقاهرة عام ١٣٩٠هـ .

٦٥ – شجرة النور الزكية في طبقات المالكية لمحمد بن محمد مخلوف، دار الفكر – بيروت .

٦٦ – شرح طرح التثريب لزين الدين العراقي ، دار احياء التراث العربي .

٦٧ – شرح علل الترمذي لابن رجب الحنبلي ، تحقيق الدكتور نور الدين عتر ، دار الملاح للطباعة والنشر ، ط ١ عام ١٣٩٨هـ .

٦٨ – شرح المواهب اللدنية للزرقاني ، دار المعرفة – بيروت ، ط ٢ عام ١٣٩٣ هـ .

٦٩ – شرح نخبة الفكر للحافظ ابن حجر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي عام ١٣٥٢هـ

٧٠ – شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ، تحقيق الدكتور محمد سعيد خطيب أوغلي ، دار إحياء السنة النبوية .

٧١ – الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم للقاضي عياض ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار الكتاب العربي – بيروت عام ١٤٠٤هـ .

٧٢ – صحيح البخاري ، دار ومطابع الشعب بمصر .

٧٣ – صحيح مسلم تحقيق وترقيم محمد فؤاد عبدالباقي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٧٤ – الضعفاء الكبير للعقيلي ، تحقيق الدكتور عبدالمعطي أمين قلعجي ، دار الكتب العلمية ، ط ١ عام ١٤٠٤هـ .

٧٥ – طبقات الحفاظ للسيوطي ، تحقيق علي محمد عمر ، مكتبة وهبه ، ط ١ ، عام ١٣٩٣هـ .

٧٦ – طبقات الحنابلة لابن رجب ، وقف على طبعة محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية عام ١٣٧٢هـ ،

٧٧ – الطبقات الكبرى لابن سعد ، دار صادر – بيروت .

٧٨ – طبقات فحول الشعراء لابن سلام ، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر ، مطبعة المدني .

٧٩ – غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، عني بنشره ج . برجستراسر ، دار الكتب العلمية – بيروت ط ٢ عام ١٤٠٠هـ .

٨٠ – غريب الحديث للحربي ، تحقيق الدكتور سليمان العايد ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى ط ١ عام ١٤٠٥ هـ .

٨١ – غريب الحديث للخطابي ، تحقيق عبدالكريم العزباوي ، مركز البحث العلمي بجامعة أم القرى عام ١٤٠٢هـ .

٨٢ – فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر ، المطبعة السلفية بالقاهرة عام ١٣٨٠هـ .

٨٣ – فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني البابي الحلبي وشركاه بمصر ، ط ٢ عام ١٣٨٣ هـ .

٨٤ – الفتح الكبير في ضم الزيادة الى الجامع الصغير للنبهاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط ٢ عام ١٤٠٢هـ.

٨٥ – فتح المغيث للسخاوي ، تحقيق وتعليق علي حسين علي ، إدارة البحوث الاسلامية بالجامعة السلفية ببنارس ، ط ١ عام ١٤٠٧ هـ .

٨٦ – فهرس الفهارس للكتاني باعتناء الدكتور إحسان عباس ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت .

٨٧ – الكامل في التاريخ لابن الأثير ، دار الكتاب العربي ببيروت ، ط ٣ عام ١٤٠٠هـ

٨٨ – الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ، دار الفكر – بيروت ، ط ١ عام ١٤٠٤هـ

٨٩ – لباب النقول في اسباب النزول للسيوطي،البابي الحلبي ، ط٢.

٩٠ – لسان العرب لابن منظور ، دار صادر عام ١٣٨٨هـ .

٩١ – لسان الميزان للحافظ ابن حجر ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ط ٣ عام ١٤٠٦هـ .

٩٢ – المجروحين لابن حبان ، تحقيق محمود ابراهيم زايد ، دار الوعي بحلب ، ط ١ عام ١٣٩٦هـ .

٩٣ – مجمع الأمثال للميداني ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار المعرفة – بيروت .

٩٤ – مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم ، تصوير الطبعة الأولى عام ١٣٩٨هـ .

٩٥ – المحبر لمحمد بن حبيب ، اعتنى بتصحيحه الدكتورة إيلزة ليخن شتيتر ، دار الآفاق الجديدة – بيروت .

٩٦ – مدارك السالكين لابن قيم الجوزية ، تحقيق محمد حامد الفقي ، مطبعة السنة المحمدية عام ١٣٧٥هـ .

٩٧ – مسند الإمام أحمد ، المكتب الإسلامي ، ط الخامسة عام ١٤٠٥ هـ .

٩٨ – مسند الإمام أحمد ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر .

٩٩ – المصنف لابن أبي شيبة ، تحقيق عامر العمري الأعظمي ، الدار السلفية بالهند .

١٠٠ – معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي ، تحقيق على محمد البجاوي ، دار الفكر العربي .

١٠١ – المغني في الضعفاء للذهبي ، تحقيق الدكتور نور الدين عتر .

١٠٢ – المفضليات للمفضل الضبي ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ، مطبعة المعارف ،مكتبتها بمصر عام ١٣٦١ هـ .

١٠٣ – مناقب الإمام الشافعي للبيهقي ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث بالقاهرة .

١٠٤ – المنمق في أخبار قريش لمحمد بن حبيب ، تحقيق وتعليق خورشيد أحمد فاروق ، مجلس دائرة المعارف العثمانية بالهند ، ط١ سنة ١٣٨٤ هـ .

١٠٥ – الموافقات للشاطبي ، عنى بضبطه وترقيمه محمد عبدالله دراز.

١٠٦ – المواهب اللدنية للقسطلاني (ضمن شرحها للزرقاني) دار المعرفة بيروت ط ٢ عام ١٣٩٣هـ .

١٠٧ – ميزان الاعتدال للذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، دار إحياء الكتب العربية بمصر ط ١ عام ١٣٨٢ هـ .

١٠٨ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة ط ٢ عام ١٤١٣هـ .

١٠٩ – نكت الانتصار لنقل القرآن للباقلاني ، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام .

١١٠ – النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، تحقيق الدكتور محمود الطناحي ، وطاهر الزاوي ، المكتبة الإسلامية .

١١١ – هدى الساري مقدمة فتح الباري للحافظ ابن حجر ، المطبعة السلفية ومكتبتها – مصر .

١١٢ – الوجيز في تفسير القرآن العزيز للواحدي ، بهامش مراج لبيد .

١٠ - فهرس مواضيع الكتاب

الصفحة

الموضوع	الصفحة
توجه ودعاء	٥
سبب التأليف	٦
وجوب اعتقاد الهدى والتقى في رسول الله صلى الله عليه وسلم	٧
وصف الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بأكرم الصفات وأجل الأخلاق وأفضل الأعمال	٩
امتنان الله تعالى على المؤمنين ببعث الله فيهم رسولاً من أنفسهم	١٠
تأديب الله المؤمنين لرسوله صلى الله عليه وسلم	١٠
إيجاب الإيمان به وتوقيره وتعظيمه صلى الله عليه وسلم	١٠
شرط تحقيق محبة الله	١١
إذاية رسول الله صلى الله عليه وسلم إذاية لله عز وجل	١١
منهج النظر في البحث عن معنى الخطاب بهذه الآيات الأربع من سورة الإسراء	١٢
حرج القلوب المؤمنة بوسوسة ساقط الروايات	١٣
تقديم مايدل عليه السياق من معنى	١٤
تقديم المعنى المستفاد من السياق على مايدل عليه سبب النزول	
الباب الأول عرض إجمالي لبيان معنى آيات سورة الإسراء	١٥
المعنى الإجمالي لآيات سورة الإسراء	١٨
بين يدي تفسير السورة	١٨

تنزيه الله تعالى لذاته العلية وتسليته لرسول الله صلى الله عليه وسلم	١٩
إيجاز الآيات لشئ من أحداث بني إسرائيل	١٩
سبب إعراض الكفار عن قبول الايمان بالله	٢٠
توعد الكفار المعرضين بالتدمير والإهلاك	٢١
إيثار الدنيا على الآخرة لا ينيل غير المقسوم منها	٢١
دعائم المجتمع المسلم	٢١
أساس الانحراف الفكري وقاعدة الضلال	٢٢
قاعدة الصلاح	٢٢
سبب عطف الأمر بطاعة الوالدين على الأمر بعبادة الله وحده	٢٢
النهي عن قتل الأولاد	٢٣
نهي الإنسان أن يقفو ماليس له به علم	٢٤
التكاليف الشرعية من الحكمة البالغة	٢٤
توبيخ المشركين على ادعائهم اتخاذ الله الملائكة إناثاً	٢٥
سبب عدم انتفاع المشركين بمواعظ القرآن	٢٥
الرد على من يزعم أن لله شريكا	٢٦
تسبيح جميع المخلوقات لله تعالى	٢٦
نفور المشركين على أدبارهم عند سماعهم لكلمة التوحيد	٢٦
تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما يلقاه من قومه	٢٧
إلزام الكفار بالتصديق بالبعث بعد الموت	٢٧
أمر المؤمنين بالتزام الأدب والملاطفة في المخاطبة	٢٨

تكريم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بتوجيه الخطاب له وتشريفه بحمل الرساله	٢٩
تفضيل بعض المخلوقات على بعض سنة من سنن الله عز وجل	٢٩
وجه ذكر زبور داود عليه السلام في مقام ذكرتفضيل بعض النبيين على بعض	٣٠
اجتماع الأنبياء على توحيد الله وتقديسه	٣٠
إبطال عقائد المشركين	٣١
أحتياج جميع المخلوقات لله تعالى وخوفها منه	٣١
تحذير المشركين المعارضين لرسول صلى الله عليه وسلم من إنزال العذاب عليهم	٣٢
وجه ذكر ثمود في معرض التهديد بإنزال العذاب	٣٢
تهديد ابليس وأتباعه بالتعذيب	٣٣
وجه ذكر عصيان إبليس بعد ذكر عصيان الكافرين	٣٣
التذكير بالنعم	٣٣
إخلاص في الشدة وكفر في الرخاء	٣٤
تكريم بني آدم مدعاة لاستجابتهم للإيمان	٣٤
الحث على اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم والإستجابة له	٣٤
اغتباط المؤمنين وفرحهم يوم القيامة	٣٥
عود الى التحذير من الكفر	٣٥
البحث في معنى الخطاب بهذه الآيات	٣٥

تحليل لغوي لبعض ألفاظ هذه الآيات	٣٦
أ – أسلوب كاد في الاستعمال العربي	٣٦
المراد بأسلوب كاد في هذه الآية	٣٨
تأييد مايدل عليه أسلوب كاد لغةً بما ورد رواية	٣٨
طريقة ما إذا أريد تقريب وقوع خبر كاد	٣٩
عصمة الله لرسوله من فتنة الناس سابقة له من الله قبل تفكيرهم في أمر فتنته .	٣٩
إقتضاء لولا الامتناعية عدم دكونه صلى الله عليه وسلم في شئ الى المشركين	٤٠
حاصل مايدل عليه أسلوب لولا في معنى الآية	٤٠
ثبات رسول الله صلى الله عليه وسلم على تبليغ رسالة الله إلى الخلق	٤١
ب – البحث الثاني أسلوب لولا في الاستعمال العربي	٤٢
المراد بأسلوب لولا في هذه الآية	٤٣
استحالة ركون رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحد من المشركين	٤٤
وجه الامتنان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتثبيت في مقام الدعوة	٤٥
الممنوع من فعل الشيئ لا يُعْقَلُ فعله منه	٤٥
لا محل لافتعال الاشكالات	٤٥
ظنون خاطئة وتوقعات ضالة	٤٦

خطاب الأمة وتحذيرها بتوجيه الخطاب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ٤٦
حسن توجيه ابن عباس للمراد بالخطاب في هذه الآية من فقهه في الدين وعلمه بالتأويل ٤٧
حاصل القول في بيان مورد هذه الآية ٤٨
وجه الخطاب بقوله اذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ٤٨
وجه مجئ التهديد بالعذاب شديداً في هذه الآية ٥٠
إياكِ أعني واسمعي ياجاره ٥٠
وجه الإبهام في التهديد بالعذاب في الآية الكريمة ٥١
أمر الأمة بالتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم ٥٢
وجه استحالة ركونه صلى الله عليه وسلم إلى المشركين ٥٢
تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقاه من أذى قومه ٥٣
قول الشاطبي في التثبيت بهذه الآية ٥٣
الرد على الشاطبي في تنظيره تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات بتثبيت المؤمنين في الدنيا والآخرة ٥٤
الفرق بين تثبيت النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت الذين آمنوا بالقول الثابت ٥٤
الرد على من يزعم أنه عوتب قبل وقوعه فيما يعاتب عليه ٥٧
تأييد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وتسليته في مقام اشتداد المشركين عليه ٥٩

أمر الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بالاشتغال بعبادة الله وترك أذى المشركين ٦٠
مايدل عليه الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى الله بالعبادة ٦١
وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بإعلاء دينه وإظهار شأنه وشرعه ٦٢
آيات توجيه وتربية وتعليم ، لاعتاب فيها ٦٣
تحذيره من اليهود ٦٣
تحذيره من المنافقين ٦٣
ومن تحذيره من المشركين والكافرين ٦٣
تحذيره من الكافرين والمنافقين معا ٦٤
تبرئة الإمام ابن قيم الجوزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الركون إلى المشركين بذرة من قلبه ٦٥
من بركة العلم نسبة القول إلى قائله ٦٦
الباب الثاني : ماقيل في أسباب نزول هذه الآيات وردنا عليه ٦٧
اختلاف الروايات في موضوع ماطلبته قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٩
ماقيل من أن سبب نزولها هو ماطلبته ثقيف ٦٩
ماقيل أن سبب نزولها ماطلبته قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٩
استشهاد السيوطي لماتزعمه هذه الرواية ٧١
وجه تقوية السيوطي لهذه الرواية ٧١
تكثر في غير ماحاجة إليه ٧٢

قول سعيد بن جبير	٧٢
أثر مجاهد	٧٣
أثر ابن شهاب	٧٣
بطلان هذا القول والرد على السيوطي رواية	٧٤
بطلان القول المنسوب الى سعيد بن جبير سنداً	٧٦
أحد حذاق الكذب	٧٦
طعن المحدثين في المتهمين من الرواة بالكذب من باب النصيحة للمؤمنين	٧٧
تبرؤ الإمام أحمد من ابن حميد راوي هذه القصة	٧٨
وجه الجمع بين قول من كَذَّبَ محمد بن حميد ، وبين من أثنى عليه ، أو كذَّبه مرة وذكر مايشعر بعلو إسناده	٧٩
تبرئة سعيد بن جبير من تبعة هذا القول الباطل	٨٢
جرح أحد رواة الأثر يبطل قبوله كلياً	٨٢
تضعيف رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير	٨٢
بطلان رواية الكلبي في سبب نزول هذه الآية	٨٣
اعتراف باذان بالكذب في الرواية	٨٤
اجتماع أهل العلم على ترك الرواية عن الكلبي	٨٤
وجه بطلان هذه الرواية	٨٥
اعتراف الكلبي باختلاق الرواية عن ابن عباس	٨٦
مضمون هذه الرواية يدل على اختلاقها	٨٦

أمر الله تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بالاشتغال بعبادة الله وترك أذى المشركين ٦٠
مايدل عليه الأمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوجه إلى الله بالعبادة ٦١
وعد الله لرسوله صلى الله عليه وسلم بإعلاء دينه وإظهار شأنه وشرعه ٦٢
آيات توجيه وتربية وتعليم ، لاعتاب فيها ٦٣
تحذيره من اليهود ٦٣
تحذيره من المنافقين ٦٣
ومن تحذيره من المشركين والكافرين ٦٣
تحذيره من الكافرين والمنافقين معا ٦٤
تبرئة الإمام ابن قيم الجوزية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الركون إلى المشركين بذرة من قلبه ٦٥
من بركة العلم نسبة القول إلى قائله ٦٦
الباب الثاني : ماقيل في أسباب نزول هذه الآيات وردنا عليه ٦٧
اختلاف الروايات في موضوع ماطلبته قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٩
ماقيل من أن سبب نزولها هو ماطلبته ثقيف ٦٩
ماقيل أن سبب نزولها ماطلبته قريش من رسول الله صلى الله عليه وسلم ٦٩
استشهاد السيوطي لماتزعمه هذه الرواية ٧١
وجه تقوية السيوطي لهذه الرواية ٧١
تكثر في غير ماحاجة إليه ٧٢

قول سعيد بن جبير	٧٢
أثر مجاهد	٧٣
أثر ابن شهاب	٧٣
بطلان هذا القول والرد على السيوطي رواية	٧٤
بطلان القول المنسوب الى سعيد بن جبير سنداً	٧٦
أحد حذاق الكذب	٧٦
طعن المحدثين في المتهمين من الرواة بالكذب من باب النصيحة للمؤمنين	٧٧
تبرؤ الإمام أحمد من ابن حميد راوي هذه القصة	٧٨
وجه الجمع بين قول من كَذَّبَ محمد بن حميد ، وبين من أثنى عليه ، أو كذَّبه مرة وذكر مايشعر بعلو إسناده	٧٩
تبرئة سعيد بن جبير من تبعة هذا القول الباطل	٨٢
جرح أحد رواة الأثر يبطل قبوله كلياً	٨٢
تضعيف رواية جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير	٨٢
بطلان رواية الكلبي في سبب نزول هذه الآية	٨٣
اعتراف باذان بالكذب في الرواية	٨٤
اجتماع أهل العلم على ترك الرواية عن الكلبي	٨٤
وجه بطلان هذه الرواية	٨٥
اعتراف الكلبي باختلاق الرواية عن ابن عباس	٨٦
مضمون هذه الرواية يدل على اختلاقها	٨٦

تنبيه الإمام الشافعي على أن كثرة الروايات في التفسير عن ابن عباس لم تثبت ٨٦
رد هذه الرواية المنسوبة إلى جابر تاريخياً ٨٧
الرد على مالو زعم زاعم أن جابراً سمع هذا من الصحابة المكيين ٨٨
إحاطة ابن مسعود بمعرفة نزول القرآن أغراضاً وزماناً ومكاناً ٨٨
إحاطة علي بمعرفة تنزلات القرآن زماناً ومكاناً وموضوعاً ٨٨
المقاطيع لا يقبلها أهل العلم بالحديث ٩٠
بين يدي نقد هذه الروايات دراية ٩٠
إدخال هذه الروايات الباطلة في كتب التفسير فرض على الناس قراءتها
خطر وجود مثل هذه الاكاذيب في الكتب المعتبرة عند المسلمين وبيان عذر ٩٠
ذكرها فيها ٩١
نقد هذه الروايات درايةً ٩٣
وجوه بطلان هذه الروايات ٩٤
إخلاص رسول الله صلى الله عليه وسلم لدعوته ، وتصميمه على تبليغ رسالته ٩٤
أصول الشريعة وقواعد الدعوة ، ومنهج السيرة يرد هذه الرواية ٩٦
تفسير الإجمال في الرواية بما يوافق استقامة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته على التوحيد هو الأصل ، ولا شيئ غيره ٩٧

كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للأصنام قبل النبوة وبعدها	٩٨
بغضه صلى الله عليه وسلم للأصنام بغض تليد ، وحفظ الله له مذ كان	٩٩
تزكية الله لخلق رسوله صلى الله عليه وسلم ، ودعوته وجميع منهجه	١٠١
مقام النبوة منزه عن كل أمور الجاهلية	١٠٣
فساد معنى رواية مجاهد	١٠٥
إتيان الأصنام إشراك بالله ، وكفر به	١٠٥
وجه بطلان هذه الرواية سنداً	١٠٥
تلقين سنيد لحجاج بن محمد المصيصي	١٠٦
وجه ذم سنيد بفعله هذا	١٠٦
وجوب احترام كتب أهل العلم ، وعدم التلاعب بها	١٠٧
حاصل رد هذه الرواية	١٠٧
صفاء النبوة ، ونزاهتها مقدم على كل قول من أقوال الناس مهما كانوا	١٠٧
سبب ورود مثل هذه الرواية عن حجاج بن محمد المصيصي	١٠٧
إعذار حجاج المصيصي عن مثل هذه الرواية الباطلة	١٠٩
تحذير الإمام أحمد من مراسيل ابن جريج	١٠٩
إمكان انتشار الموضوعات في مراسيل ابن جريج	١١٠
التحذير من تدليس ابن جريج	١١١
إجمال لما ترد به رواية ابن جريج هذه	١١١
سبب تكلم العلماء في تفسير مجاهد	١١٢
تهوين أمر الشرك بالله عادة أهل الكتاب المحرف	١١٢

نقد رواية محمد بن أبي محمد درايةً ، وبيان وجوه بطلانها	١١٢
لا رقة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على أحد في أمر الشرك بالله تعالى	١١٣
وجوه رقة قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته	١١٣
إخلاص العبادة لله وحده هو أصل دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم	١١٤
رد الرواية المنسوبة إلى ابن شهاب	١١٤
من البلايا مايضحك	١١٥
الأهداف الخبيثة لوضع مثل هذه الأباطيل	١١٦
الرواية المنسوبة إلى جبير بن نفير	١١٦
مايطلبه المشركون من تعنُّتات لا تجوز نسبته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم	١١٧
وجه الوهم في هذه الرواية	١١٧
محاولة غير موفقة لتفسير لفظ الفتنة بما ذكر في سبب النزول	١١٨
بطلان قصة الغرانيق سنداً ومتناً	١١٩
بطلانها سنداً	١٢٠
الاعتذار عن أبي معشر في روايته قصة الغرانيق	١٢٣
عدم ذكر البخاري لقصة الغرانيق في قصة سجود المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أنها لم تكن في الحادثة	١٢٣
ردها درايةً	١٢٣
توضيح وتصحيح لقول ابن كثير رحمه الله	١٢٤
رد الشوكاني لهذه القصة	١٢٥

رد القاضي عياض لهذه القصة الباطلة سندًا	١٢٦
رده إياها درايةً	١٢٧
رد شيخنا محمد محمد أبي شهبة لهذه القصة	١٢٨
الإشارة إلى رد شيخنا محمد الصادق عرجون لهذه الفرية في كتاب له لا يستغنى عن قراءته	١٢٩
قولان لقتادة في سبب نزول هذه الآية	١٣٠
ردنا لقولي قتادة هذين	١٣١
ردنا على من لو قال قائل : سعيد أثبت الناس في قتادة ليثبت هذه الرواية	١٣٣
الاعتذار عن يزيد بن زريع في نقله لهذه القصة	١٣٥
حاصل ردنا على ماجاء في الرواية الثانية عن قتادة	١٣٦
بطلان هاتين الروايتين درايةً	١٣٧
حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته يشهد ببراءته من المشركين وشركهم بالله	١٣٨
الإبهام يلف الروايتين في ردائه	١٣٩
بحث المشركين عن مخرج لكسب مواقفهم المعلنة	١٣٩
نجاح باهر ، وفشل ذريع	١٤٠
تحقيق لغوي بارع في بيان معنى المقارفة	١٤١
اصطفاء المعنى اللغوي المناسب لحال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الأصل عندنا	١٤٦
ماقيل من أنها نزلت في ثقيف	١٤٨

بطلان هذه الرواية إسناداً ١٥١

من أنواع الغش في الرواية ١٥٣

اعتراف الكلبي بالكذب ١٥٤

وجه خطر مثل هذه الأكاذيب ١٥٤

الاعتذار عن ذكر الطبري مثل هذه الرواية في تفسيره ١٥٤

وجوه بطلان هذه الرواية درايةً ١٥٥

إبطالها عقلياً ١٥٥

الرد على من يزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أَقَرَّ ثقيفاً على الكفر
سنة وهو في المدينة ١٥٦

إبطال هذه الرواية تاريخياً وعقلياً ١٥٦

الامتنان على أهل الحرم بنعمة الأمان الذي جعله الله فيه وأمر باحترامه ١٥٧

عقلاء ثقيف لا يرضون أن يجعلوا أنفسهم في مقام الجهل بماتعالمه الناس ١٥٧

ظهور الإستهزاء في هذه الرواية يعلن بطلانها ١٥٨

وجه الرد على من لو زعم زاعم أن المشركين هجموا بذلك على رسول الله
صلى الله عليه وسلم لفرط كفرهم بالله ١٥٩

خواطر القلب ، وهواجس النفس لا يطلع عليها إلا الله ١٥٩

تناقض مضمون الرواية يعلن بطلانها أيضا ١٥٩

غفلة عقول الرواة ١٦٠

ظهور سوء القصد فيما تحمله هذه الرواية يدفعها عن مقام النبوة المطهرة ١٦٠

الكلام على ماعُدَّ سبباً لنزول قوله (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ...) الآية ١٦١
القول فيمن نزلت فيه هذه الآية ١٦١
الأرض التي أرادوا إخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم منها ١٦٢
القول بأنها نزلت في اليهود ١٦٣
أ – رواية حضرمي ١٦٣
ب – رواية عبدالرحمن بن غنم ١٦٣
نقد رواية حضرمي روايةً ، ودرايةً ١٦٤
خطر القصاص على الناشئه ، وعوام المسلمين ١٦٥
أول ظهور القصاص ١٦٦
خوف الصحابة رضى الله عنهم على أبنائهم من خطر القصاص ١٦٦
كره الصحابة رضى الله عنهم للقصاص ١٦٧
القصاص لا يعتد برواياتهم ١٦٨
نقد رواية البيهقي ١٦٨
عموم الطعن في الراوي يضعف الاعتبار بمروياته ١٦٩
وصف الراوي بالخطأ في الرواية ينشر احتمال الخطأ في جميع مروياته ١٧٠
النهى عن أن يحدث المرء بكل ماسمع ١٧١
الكلام على مرويات عبدالحميد بن بهرام ١٧٢
الكلام على شهر بن حوشب ومروياته ١٧٢
مايعنيه ابن حزم بقوله ساقط ١٧٣

احتمال مايدل عليه قولهم يروي عن الثقات المعضلات ، وعن الأثبات المقلوبات ١٧٤
سبب ردهم رواية من وصف بالوهم في الرواية ١٧٥
احتمال وجيه لمصدر هذه الرواية ١٧٦
الرسول صلى الله عليه وسلم مبرأ من تصديق يهود في أمر الشرك بالله ١٧٦
مما جعل العلماء يتركون الرواية عن شهر بن حوشب ١٧٧
تشكك البيهقي في أمر هذه الرواية ١٧٨
رد ابن كثير لهذه الرواية ١٧٨
تضعيف السيوطي لإسناده هذه الرواية ١٧٩
رد هذه الرواية دراية ١٧٩
تحقيق لغوي في بيان معنى الزعم في لغة العرب ١٨٠
واجد الشيئ لا يخرج للبحث عنه ١٨٢
تبرئة رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق اليهود ،أو المشركين في شيئ مما تزعمه هذه الرواية ١٨٣
خبث الإختلاق ١٨٤
الرد على من زعم أن هذه الآية مدنية ١٨٤
تحقيق الحافظ ابن حجر في أن هذه الآية مكية ١٨٤
قول مجاهد ، وقتادة بمكية هذه الآية ، وانتصار ابن جرير لذلك أيضاً ١٨٥
تصحيح القرطبي للقول بمكية هذه الآية ١٨٥
مسك الختام ١٨٦

خلاصة البحث ونتائجه ١٨٦
تزكية الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم ١٨٨
فهرس فهارس الكتاب ١٩٢
١ – فهرس الآيـــات ١٩٣
٢ – فهرس الأحاديث والآثار ٢٠٤
٣ – فهرس الأعـلام ٢٠٧
٤ – فهرس الشـعر ٢٢٠
٥ – فهرس الأمثال ٢٢٠
٦ – فهرس الأمم والطوائف ٢٢١
٧ – فهرس الأمكنــة ٢٢١
٨ – فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب ٢٢٣
٩ – فهرس المصادر والمراجع ٢٢٧
١٠ – دليل مواضيع الكتـــاب ٢٣٧

حياة المؤلف في سطور

* الدكتور عويد بن عياد بن عايد الكحيلي المطرفي .

* ولد بقرية الواضح بوادي الصفراء من أعمال المدينة المنورة .
* درس الابتدائية والمتوسطة والثانوية بمكة المكرمة .
* نال وهو يعمل مدرساً بوزارة المعارف بمكة المكرمة - شهادة معهد المعلمين الليلي - قسم اللغة العربية ومدة الدراسة فيه ثلاث سنوات حين كان المعهد في المدرسة العزيزية الإبتدائية بالشامية بمكة المكرمة .
* عمل مدرساً بوزارة المعارف بمكة المكرمة ووكيلاً لمدرسة عمار بن ياسر الإبتدائية بمكة ثم استقال من وزارة المعارف .
* عمل موظفاً بالرئاسة العامة للإشراف الديني بالمسجد الحرام لمدة ثلاث سنوات ، ثم استقال منها لرغبته في مواصلة التعليم العالي .
* فالتحق بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية بمكة المكرمة ونال منها شهادة البكالوريوس في الشريعة والتربية بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى .
* والتحق بالدراسات العليا الشرعية بنفس الكلية وعين معيداً فيها أيضاً .
* نال الماجستير عام ١٣٩٨هـ في الكتاب والسنة وبتقدير ممتاز مع التوصية بطبع الرسالة على حساب الجامعة وتبادلها مع الجامعات الأخرى .
* نال شهادة الدكتوراة من نفس الكلية بجامعة الملك عبد العزيز شطر مكة المكرمة بمرتبة الشرف عام ١٤٠٠هـ .
* تولى رئاسة قسم القضاء لمدة سنتين بنفس الكلية .
* عين وكيلاً لكلية الشريعة والدراسات الإسلامية للدراسات العليا والبحث العلمي لمدة سنتين أيضاً .
* يعمل أستاذاً مساعداً في قسم الكتاب والسنة بكلية الدعوة وأصول الدين بالإضافة إلى قيامه بالإشراف على إعداد بعض الرسائل العلمية بالدراسات العليا في نفس القسم
* ناقش عدداً من الرسائل العلمية في نفس الجامعة .
* كان أحد أعضاء اللجنة التي كلفت بوضع أول لائحة للدراسات العليا لجامعة أم القرى .
* عضو اللجنة التحضيرية لموسوعة مكة العلمية والحضارية والتاريخية التي كونها معهد البحوث العلمية بجامعة أم القرى عام ١٤١٠هـ

* وكان عضو هيئة تحرير مجلة كلية الشريعة والدرسات الإسلامية بجامعة أم القرى في عامي ١٤٠٢ ، ١٤٠٣هـ
* ورئيساً للجنة التي وضعت أول لائحة داخلية لمركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى .
* وهو الآن عضو في المجلس العلمي لمركز البحوث التربوية والنفسية بالجامعة أيضاً .
* وعضو في لجنة الرد على حملات التنصير في العالم برابطة العالم الإسلامي
* وخبير بالمجمع الفقهي بمنظمة المؤتمر الإسلامي بجدة .

■ له مؤلفات منها :

١ - آيات عتاب المصطفى صلى الله عليه وسلم في ضوء العصمة والإجتهاد «مطبوع» .
٢ - داود وسليمان عليهما السلام في القرآن الكريم والسنة .
٣ - الطهر في أداء فرص الظهر .
٤ - السيف المسلول في الذَّب عن الرسول صلى الله عليه وسلم .
٥ - الأمانان .
٦ - ورقة بن نوفل في بُطنان الجنة .

■ وله أبحاث منها :

١ - التعليم وعلاقته بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية في المملكة العربية السعودية « منشور » .
٢ - هل دية المرأة على النصف من دية الرجل ؟
٣ - الأصول التربوية في غزوة بدر الكبرى
٤ - عمل مصححاً لصفحة ٣ ، ٦ في جريدة الندوة يوم أن كان طالباً بالكلية .
٥ - له مشاركات كثيرة متنوعة منشورة في الصحف والمجلات السعودية .
٦ - قدم أحاديث إذاعية في إذاعة القرآن الكريم .